

Bibliotheca Alexandrina
00207715


بساط
بيروت

الوصايا

الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناشر

دار الإيمان

دمشق - سورية - شارع مسلم البارودي - بناية دياب وطلس
ص.ب ١٠٠٦٥ دمشق. هاتف ٢٤٣٣٨٦
بيروت ص.ب ١٤/٥٦٣٤

الوصايا

للشيخ الأكبر

محي الدين أبي عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي

المعروف بابن عربي

المتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ هجرية

قدم له وبوبه وخرج أحاديثه ووضع فهارسه

لجنة التأليف والنشر في دار الإيمان



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه واهتدىٰ بهديه إلى يوم الدين وبعد :

ـ هذا الكتاب ـ الوصايا ـ لمؤلفه الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رحمه الله تعالى هو أحد أبواب الكتاب الكبير الموسوعة للشيخ وهو «الفتوحات المكية». بل هو فصل من فصوله أخذ منه وطبع منفرداً عنه ـ لأنه اهتم بالوصية المفهومة والملاحظة الدقيقة التربوية التي تأخذ بيد السالك المريد إلىٰ طريق أهل الله تعالىٰ بل إلىٰ صدق العبودية والاخلاص فيها مع الله تعالىٰ.

ـ وكان هذا الكتاب المفصّول بلغة مفهومة مبسطة يستطيع طالب العلم أن يستجلي ما أراده صاحبه، وكان اعتماد الشيخ رحمه الله الآية من القرآن وهو أصل الوصايا وحديث رسول الله ﷺ وهو الترجمة العملية للقرآن.

ـ إلا أن هذا الكتاب ـ الوصايا ـ كان ينقصه عدة أمور تخريج الآيات والأحاديث وعنونة الوصايا المبثوثة في ثنايا الكتاب مع فهرس عام تفصيلي. مع شرح بعض المفردات الغامضة وضبطها.

ـ طلبت مني دار الايمان العامرة بالقيام بهذه المهمة الصعبة وأرجو من الله أن يجعلني أهلاً لها. فأما تخريج الآيات عملٌ حاصلٌ وهناك من قام به قبلنا فجزاهم الله عنا كل خير.

ـ أما إيجاد الفهرس وتخريج الأحاديث فهذا ما قمنا به مع مقدمة تعريفية بمقام الشيخ الأكبر، وحل بعض ما يشكل عن الشيخ لدىٰ بعض الناس.

ـ أما الفهرس يسهل الطريق على طالب العلم بالرجوع إلى الوصية وفكرة الوصية وأحاديث الوصية وشيء يهم القارىء الكريم من الوصية.

ـ وأما تخريج الأحاديث ـ فيدرك القارىء قيمة الفكرة المطروحة وصحتها لإعتمادها على دليل صحيح أو غير صحيح. ويبين في نهاية الأمر أن الشيخ الأكبر يعتبر من الحفاظ للحديث الشريف وأنه حريص على أن لا يجانب الشريعة أو النص الشريف قيد أنملة.

ـ هذا من جانب العمل بالكتاب، أما عن صاحب الكتاب فلا بد من نبذة عن مولده وحياته ووفاته، وإليك ذلك:

ـ **مولد الشيخ ونشأته**[1]:

ـ ولد الشيخ ليلة الأثنين أو ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٦٠ هـ[2] في مرسية من شرق الأندلس في دولة السلطان محمد بن سعد بن مرديس وفي رواية مرديش سلطان شرق الأندلس في خلافة المستنجد بالله يوسف بن محمد ويكنىٰ أبا المظفر، وكان انتقاله رضي الله عنه من مرسية إلى اشبيلية مع والده عام ٥٦٨ هـ وعاصر بالأندلس خلافة كل من

(١) ترجمة حياة الشيخ من كلامه للأستاذ محمود محمود الغراب جزاه الله خيراً.

(٢) الموافق ٢٧ تموز ١١٦٤ م.

المستغني بالله الحسن بن يوسف بن محمد ثم أمير المؤمنين الناصر لـدين الله أبي العباس أحمد بن الإمام الحسن بن الإمام يوسف بن الإمام محمـد الذي بـويـع لــه في الخـامس والعشــرين من ذي القعـدة سنــة خمس وسبعـين وخمسمائة.

- اجتمع بكثير من علماء عصـره في مختلف البلاد التي زارهـا أو مر بهـا وكان منذ نشأتـه رضي الله عنه محبـاً لأهل الله وأوليـائه من عبـاد الله الصالحـين يـدافع عنهم، ويـذب عنهم في المجالس، ويشـد الرحال إليهم مهـما بعـد السفر بغية الاجتماع بهم والاستفادة من بركاتهم فكـان ذلك سببـاً لما فتـح الله عليه من العلوم الإلهية وا لإشارات الربانية.

- قام برحلات كثيرة داخل الأندلس وخارجها وكـانت أول رحلة قام بهـا إلى المغـرب من الأندلس في حيـاة والدتـه عام ٥٩٠ هـ حتىٰ وصـل تونس ثم عاد إلى الأندلس عام ٥٩٥ هـ ثم رحل ثانية إلى المغـرب في نفس السنة ثم عاد إلى الأندلس عام ٥٩٨ هـ وخرج منها في نفس السنة على الأرجح بعـد وفاة والدته في رحلته الثالثة إلىٰ مراكش ومنها إلى تونس ومنها رحل قاصـداً أداء فـريضة الحـج ماراً بـالإسكندريـة والقاهـرة، فوصـل مكة عـام ٥٩٨ هـ لأول مـرة ولم يعد بعـدها إلى الأنـدلس وهناك فتـح الله عليه بمـا سمـاه الفتح المكي أو ما يسمىٰ بـالفتوحـات المكية وقـد استغرق تـدوين وتسطير هذا الكتاب سبعة وثلاثين عاماً إبتدأ تدوينه عام ٥٩٨ هـ وانتهى منه عام ٦٣٥ هـ . ورحلة الشيخ مدونة في كتابه الفتوحات المكية.

- أقام الشيخ بدمشق إقامة تامة من عام ٦٢٩ هـ إلى أن تـوفاه الله فيهـا ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيـع الآخر سنـة ٦٣٨ هـ ودفن بسفح جبـل قاسيـون بالصـالحية وقبـره معروف ومشهـور حيثُ بني عنده مسجـد سمي باسمه وهو مسجد الشيخ محي الدين.

ـ فيما أحسب أن الشيخ الأكبر رحمه الله شيخ المحققين وأحد عباقـرة التاريـخ المشهورين ومربي السالكين وإمـام أهل الكشف، كـما لم يختلف أهل العلم في أحد كما اختلفوا في الشيخ رحمه الله

ـ وهناك أسباب كثيرة لهذا الاختـلاف في الشيخ ومنشـأ هذا الاختـلاف ـ ما جاء به في علوم التوحيد من كلمات وإشارات دقيقة ـ هي في الأصل لأهل الكشف في مقـام الاحسان الـذين هم محط توجيـه الشيخ، وخـطابه لهم ـ وليس لغيرهم ـ إذ هي لأقرانـه وأمثاله. فإن منتقدي الشيـخ ومعارضيـه لم يلتـزموا في قـراءة كتبه، شـرط المؤلف الذي نص عليـه بنفسه ـ وهـو مبدأ مجمع عليه عند أهل العلم في جميع أنواع العلوم ـ وبالمناسبة لا مجال في هذه المقدمة العاجلة أن نستقصي مثل هذا الموضوع فأحيل القارىء الكـريم إلى كتـاب الشيخ الأكبـر محي الدين بن العـربي لمؤلفـه الأستـاذ محمـود محمـود الغراب ـ وهو كتـاب يترجم حيـاة الشيخ من كـلامه، ومن خـلال القراءة تنتفي لدى القارىء كثير من الأوهام والتخيلات الفاسـدة ويعلم أن الشيخ الأكبر بحق من العلماء العاملين الملتزمين بالشريعة السمحة ظاهراً وباطناً.

والذين قدموا للاسلام أعظم الخدمات ولكن كثيـراً من الناس لا يـدركون الحق ـ والحق يحتـاج إلى من يبحث عنـه في مظانـه ومصـادره ـ وأكثـرهم يأخذون ظنون الناس وفهـومهم بدون تحقق وتتبـع ودراية وكم من النـاس هم أقماع القول.

وبعد التتبع والمقارنة رأيت أن الشيخ الأكبر رحمه الله ـ حريص كل الحرص على الالتزام بالنص والمفهوم الشرعي كامـلاً وهو يؤكـد هذا دائـماً ـ ويعلن عقيدته السليمة للناس وهي عقيدة أهل السنـة والجماعـة ـ أما إذا أشكـل علينا فهم بعض الكلام فهذا إلى حله سبل كثيرة.

منها ما قاله صاحب قلادة الجواهر عن السيد أحمد الرفاعي رحمه الله:

واعمل لحسن الظن بالتأويل في ... ما دق من شطح لسد الباب
وإذا نأى التأويل فانكر نسبة الـ ... منقول واحفظ حرمة الأحباب
واسلك طريق الهاشمي محمد ... فسواه مردود بكل كتاب[1]

ويمكن للقارىء الكريم ليتأكد من صحة التزام الشيخ رحمه الله تعالىٰ بالمبادىء الشرعية والنص الشرعي والمفهوم الشرعي أن يقرأ كتابه المعروف «روح القدس في محاسبة النفس» وأن يقرأ كتاب «الفقه عند الشيخ الأكبر رحمه الله» ليرى القارىء بنفسه حقائق تدمغ كل مبطل وتوضح أن الرجل في غاية التحقيق الشرعي والإيماني، وأن ما وجد في ما ينسب له من كتب مخالفات وشطحات ـ أن ذلك يجعلنا نتخذ تجاه هذا الكلام المريب في ظاهره المشكك في حاله ـ إما أن نرى ذلك افتراء عليه ودساً أو أن هذا يحتاج إلى تأويل وتفسير بما يتناسب مع الكلام الواضح البيّن فنكون قد أنصفنا الرجل والعلم والإسلام ـ فالهدف حفظ حرمة الأحباب واتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم كما مرّ معنا.

فالله نسأل أن يلهمنا السداد والصواب في كل قول وعمل والحمد لله رب العالمين.

محمد علي بلطه جي
مجاز في الشريعة

(١) قلادة الجواهر ص ٨.

كلمة عن رموز تخريج الأحاديث ومراجعها

اعتمدت لتخريج الأحاديث على مراجع أمهات في الحديث الشريف.

١ - جامع الأصول في أحاديث الرسول وهو ١٣ مجلد مع فهارسه بتخريج وتحقيق الأستاذ عبدالقادر الأرناؤوط. ورمزت عقب الحديث الذي كان هو مصدر تخريجه جا/جامع الأصول

٤/ الجزء الرابع

٣٣٥/رقم الصفحة.

٢ - ورجعت إلى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر وكان الرمز مجمع الزوائد/وهو ١٠ أجزاء بخمس مجلدات.

٣ - رجعت إلى كتاب كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث على ألسنة الناس للشيخ اسماعيل العجلوني الجراحي.

٤ - رجعت إلى كتاب احياء علوم الدين وتخريج الامام العراقي.

٥ - رجعت إلى كتاب الأذكار للنووي بتخريج الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.

٦ - واعتمدنا بشكل منفرد على صحيح البخاري ومسلم.

- وهناك أحاديث عدة في نهاية الكتاب لم أجد تخريجها ولم أقف عليها بنصوصها وهذا مبلغ علمي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

هذا الكتاب لشيخ مشايخ الصوفية وإمام أئمة الطرائق الإسلامية، العارف بالله فريد عصره ووحيد زمانه الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي.

الذي اخترناه من مؤلفاته التي بلغت أكثر من مائتي كتاب وأشهرها على الاطلاق كتابه (الفتوحات المكّية) الذي يعتبر من أكبر تراث العرب المسلمين في فلسفة الأخلاق والوجود ومعرفة النفس الإنسانية لما فيه من عمق في التعبير الى أبعد الحدود...

وتعميماً منا للفائدة، وحرصاً منا على اطلاع أكبر عدد ممكن من قرّاء العربية فقد جعلنا الباب الأخير منه في كتاب مستقل، وهو المشتمل على وصاياه رحمة الله عليه. وسمّيناه الوصايا نسبة لمضمونه.

وقد توفي رضي الله عنه في السادسة والسبعين من عمره ووفاته بالشام، وقبره بالصالحية في مسجد يُعرف باسمه.

والله نسأل أن ينفعنا من هذا العمل والمسلمين أجمعين.

والله من وراء القصد.

الناشـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى

الوصية ذكرى وضياء للمريد والسالك والواصل

الوصية رقم (١)

وصّى الإلــهُ وأوصتْ رُسْلُه فلذا كان التأسّي بهم من أفضلِ العملِ
لولا الوصيةُ كان الخلقُ في عمهٍ وبالوصيةِ دامَ الملكُ في الدولِ
فاعمَلْ عليها ولا تُهمل طريقَتَها إنّ الوصيةَ حُكم الله في الأزلِ
ذكّرتُ قوماً بما أوصى الإلهُ به وليس إحداثُ أمرٍ في الوصية لي
فلم يكن غير ما قالوه أو شرعوا من السلوك بهم في أقوم السُّبُلِ
فهديُ أحمد عينُ الدين أجمعِهِ وملّةُ المصطفى من أنور المِلَلِ
لِمَ تطمِس العينَ بل أعطته قوتها حتى يقيم الذين فيه من المَيَلِ
فخذ بسرّك عنه من مراكزه علواً إلى القمر الأعلى إلى زحلِ
إلى الثوابت لا تنْزَل بساحتها وانهض إلى الدرج العالي من الحمل
ومنه للقدم الكرسي ثم إلى العرق المحيط إلى الأشكال والمُثُلِ
إلى الطبيعة للنفس النزيهة للعقل المقيّد بالأعراض والعلَلِ
إلى العماء الذي ما فوقه نَفَسٌ منه إلى المنزل المنعوتِ بالأزلِ
وانظر الى الجبل الراسي على الجبل وقدْ رآه فلم يَبْرح ولم تَزُلِ
لولا العلو الذي في السُّفل ما سفَلت وجوهُنا تطلب المرئيّ بالمُقَلِ
لذلكمُ شرّع الله السجودَ لنا فنشهدُ الحق في علوٍ وفي سُفُلَ

هذي وصيتُنا إن كنتَ ذا نظرٍ — وإنها حيلةٌ من أحسنِ الحيلِ
ترى بها كلَّ معلومٍ بصورته — على حقيقةِ ما هو لا على البدلِ
حتى ترى المنظرَ الأعلى وليس له — سواك مجلىً فلا تبرح ولا تزلِ
فان دعاك إلى عينٍ تُسر بها — فلا تُجِبْهُ وكن منه على وَجَلِ
إنا إناثٌ لما فينا يُولّده — فلنحمد الله ما في الكون من رجلِ
إن الرجالَ الذين العرفُ عيّنهم — هم الإناثُ وهم سؤلي وهم أملي

اجتماع الكلمة قوة

الوصية رقم (٢)

قال الله تعالى في الوصية العامة **﴿شَرَعَ لكم من الدّينِ ما وصّى به نوحاً والذي أوْحَينا إليك وما وصّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه﴾**[1] فأمرَ الحق سبحانه بإقامة الدين ـ وهو شرعُ الوقت في كل زمان وملة ـ وأن نجتمع عليه ولا نتفرق فيه، فإن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب القاصية من الغنم، وهي: البعيدة التي شَردت وانفردت عما هي الجماعة عليه. وحكمة ذلك أن الله لا يُعقَلُ إلهاً إلا من حيث أسماؤه الحسنى لا من حيث هو معرىً عن هذه الأسماء الحسنى، فلا بد من توحيد عينه وكثرة أسمائه وبالمجموع هو الإله فيد الله ـ وهي القوة ـ مع الجماعة.

أوصى حكيم أولاده عند موته ـ وكانوا جماعة ـ فقال لهم: ائتوني بعصيّ، فجمعها وقال لهم: اكسروها ـ وهي مجموعة ـ فلم يقدروا على ذلك، ثم فرّقها فقال لهم: خذوها واحدة واحدة فاكسروها فكسروها، فقال لهم: هكذا أنتم بعدي أن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأبادكم. وكذلك القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامة الدِّين ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو، وكذلك الإنسانُ في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين

(١) سورة الشورى ـ آية ١٣.

الله لم يغلبه شيطان من الإنس ولا من الجن بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والمَلَك بلَمّته له.

معالم الأرض وجوارح الإنسان تشهد عليه

الوصية رقم (٣)

إذا عصيت الله بموضع فلا تبرح من ذلك الموضع حتى تعمل فيه طاعة وتقيم فيه عبادة، فكما يشهد عليك إذا استُشهِد يشهد لك وحينئذ تنتزح عنه، وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه فكن كما ذكرته لك أَعْبُدِ الله فيه، وكذلك ما يفارقك منك من قصِّ شاربٍ وحلق عانةٍ وقص أظفارٍ وتسريح شعرٍ وتنقية وسخ، لا يفارقك شيء من ذلك من بدنك إلا وأنت على طهارةٍ وذكرِ الله، تعالى عز وجل فإنه يُسأل عنك كيف تركك، وأقل عبادة تقدر عليها عند هذا كله أن تدعو الله في أن يتوب عليك عن أمره تعالى، حتى تكون مؤدياً واجباً في امتثالك أمرَ الله وهو قوله **﴿وقال ربُّكم ادعوني استجبْ لكم﴾** فأمرَك أن تدعوَه، ثم قال في هذه الآية **﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾** يعني هنا بالعبادة الدعاء أي: من يستكبر عن الذِّلة والمسكنة، فإن الدعاء سماه عبادة والعبادةُ ذلة وخضوع ومسكنة **﴿سيدخلون جهنمَ داخرين﴾**(١) أي أذلّاء، فإذا فعلوا ما أُمروا به جازاهم الله بدخول الجنة أعزّاء. ولقد دخلتُ يوماً الحمام لغُسل طرأ عليّ سحراً فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي بنَ اللهيب ـ وكان صاحبي ـ فاستدعى بالحلاق يحلق رأسه فصحتُ به يا أبا المعالي فقال لي من فوره قبل أن أتكلم: إني على طهارة قد فهمتُ عنك، فتعجبت من حضوره وسرعة فهمه ومراعاته للموطن وقرائن الأحوال وما يعرفه مني في ذلك، فقلت له: بارك الله فيك والله ما صحت بك إلا لتكون على طهارة وذكر عند مفارقة شعرك، فدعا لي ثم حلق رأسه. ومثل هذا قد أغفله الناس بل يقولون: إذا عصيتَ الله في موضع فتحول عنه لأنهم يخافون

---

(١) سورة غافر ـ آية ٦٠، ٦١.

عليك أن تذكرك البقعة بالمعصية فتستحليها فتزيد ذنباً الى ذنب، فما ذكروا ذلك إلا شفقة ولكن فاتَهم علمٌ كبير فأطع الله فيه وحينئذ تتحول عنه فتجمع بين ما قالوه وبين ما أوصيتُك به. وكلما ذكرت خطيئة أتيْتَها فتب عقيب ذكرك إياها واستغفر الله منها.

واذكر الله عندها بحسب ما كانت تلك المعصية، فإن رسول الله ﷺ يقول (اتبع السيئة الحسنة تمحها)[1] وقال تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾[2] ولكن ليكن لك ميزان في ذلك تعرف به مناسبات السيئات والحسنات التي تزنها.

حسن الظن بالله تعالى

الوصية رقم (٤) حسِّن الظنَّ بربك على كل حال ولا تسيء الظن فإنك لا تدري: هل أنت على آخر أنفاسك في كل نفس يخرج منك فتموت فتلقى الله على حُسن ظن به لا على سوء ظن، فإنك لا تدري لعل الله يقبضُك في ذلك النَّفس الخارج عنك. ودَعْ عنك ما قال من قال بسوء الظن في حياتك وحسن الظن بالله عند موتك، وهذا عند العلماء بالله مجهول فإنهم مع الله بأنفاسهم وفيه من الفائدة والعلم بالله أنك وفيت في ذلك الحق حقّه، فإن من حق الله عليك الإيمانَ بقوله ﴿**وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾[3] فلعل الله ينشئك في النفس الذي تظن أنه يأتيك نشأةَ الموت والانقلاب إليه وأنت على سوء ظن

---

(١) الحديث: رواه أحمد والحاكم وقال على شرطهما (خ ـ م) والبيهقي والترمذي. عن أبي ذر ومعاذ. وقال الترمذي حسن صحيح، ورواه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه بلفظ: اتق الله في عسرك ويسرك، ورواه ابو قرة الزبيدي في سننه عن طليب بن عرفة. كشف الخفاء، ٤٣/ج/١.

(٢) سورة هود ـ آية ١١٤.

(٣) سورة الواقعة آية ٦١.

بربك فتلقاه على ذلك، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه أنه عزّ وجل يقول ﴿**أنا عند ظن عبدي بي فليظنَّ بي خيراً**﴾[1] وما خص وقتاً من وقت. واجعل ظنك بالله علماً بأنه يعفو ويغفرُ ويتجاوز، وليكن داعيك الإلهي إلى هذا الظن قوله تعالى ﴿**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**﴾ فنهاك أن تقنط، وما نهاك عنه يجبُ عليك الانتهاءُ عنه. ثم أخبر ـ وخبره صدق لا يدخله نسخ، فإنه لو دخله نسخ لكان كذباً والكذب على الله محال ـ فقال ﴿**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ وما خص ذنباً من ذنب وأكدها بقوله (جميعاً﴾ ثم تَّمم فقال (إنه هو) فجاءبالضمير الذي يعود عليه (الغفور الرحيم)[2] من كونه سبقت رحمته غضبه. وكذلك قال (الذين أسرفوا) ولم يعيّن إسرافاً من إسراف، وجاء بالإسم الناقص الذي يعم كل مسرف، ثم أضاف العباد إليه لأنهم عباده كما قال الحقُّ عن العبد الصالح عيسى عليه السلام (**إن تعذبهم فإنهم عبادك**)[3] فأضافهم اليه تعالى وكفى شرفاً شرف الإضافة إلى الله تعالى.

ذكر الله وثمراته

الوصية رقم (٥)

عليكم بذكر الله في السر والعلن وفي أنفسكم وفي الملأ، فإن الله يقول ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾[4] فجعل جواب الذكر من العبد الذكرَ من الله، وأي ضراء على العبد أضر من الذنب؟ وكان يقول ﷺ في حال الضراء (الحمد لله

---

(١) الحديث: رواه الشيخان عن أبي هريرة رفعه بدون زيادة فليظن بيَّ خيراً. رواه البخاري ٤٢٨/١٣ في التوحيد، باب ذكر النبي (ص) وروايته عن ربه، ومسلم رقم ٢٦٧٥، في الذكر والدعاء. جـ ٤٧٧/٤.

(٢) سورة الزمر آية ٥٣، ٥٤.

(٣) سورة المائدة آية ١١٨.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٢.

على كل حال) وفي حال السراء (الحمد لله المنعم المفضل)[1] فإنك إذا أشعرت قلبك ذكرَ الله دائماً في كل حال لا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر، فيرزقك ذلك النور الكشف، فإنه بالنور يقع الكشف للأشياء، وإذا جاء الكشف جاء الحياء بصحبه، دليلك على ذلك استحياؤك من جارك وممن ترى له حقاً وقدراً. ولا شك أن الإيمان يعطيك تعظيم الحق عندك، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين، ووصيتنا إنما هي لكل مسلم مؤمن بالله وبما جاء من عند الله، والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه (وأنا معه - يعني مع العبد - حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)[2].

وقال الله تعالى **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾**[3] وأكبر الذكر ذكر الله على كل حال.

الاجتهاد بالقربات والطاعات

الوصية رقم (٦) ثابِرْ على إتيان جميع القرب جهدَ الاستطاعة في كل زمان وحال بما يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال، فإنك إن كنت مؤمناً فلن تخلص لك معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة فإنك مؤمن بها أنها معصية، فإن أضفت الى هذا التخليط استغفاراً وتوبة فطاعةٌ على طاعة وقربة إلى قربة، فيقوى جزءُ الطاعة التي خُلط بها العمل السيء، والإيمانُ من أقوى القرب وأعظمِها عند الله، فإنه الأساس الذي ابتنى عليه جميع القرب. ومن الإيمان حكمك على الله بما حكم به على نفسه في الخبر الذي صحَّ عنه تعالىٰ

(١) الحديث: لم أجده وفي معناه أحاديث صحيحة كثيرة.
(٢) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) سورة الأحزاب آية ٣٥.

الذي ذكر فيه (وإن تقرَّب مني شبراً تقرَّبتُ منه ذراعاً، وإن تقـرَّب مني ذراعاً تقربتُ منه باعاً، وان أتـاني يمشي أتيته هـرولة)[1] وسبب هـذا التضعيف من الله ولا أقـل من العبد ولا أضعف، فـإن العبد لا بـد له ان يتثبت من أجـل النية بالقربة إلى الله في الفعل، وإنه مأمور بأن يزن أفعـاله بميـزان الشرع فـلا بد من التثبط فيه، وإن أسرع ووصف بالسرعة فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك لا في نفس الفعل، فإن إقامة الميزان بـه تصح المعـاملة، وقربُ الله لا يحتاج إلى ميزان فإن ميزان الحق الموضوع الذي بيده هو الميزان الذي وزنتَ أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القـربة إلى الله، فـلا بد مَنْ هـذا نعته أن يكون في قربه منك أقوى وأكثرَ من قربك منه. فوصف نفسه بأنه يقرب منك في قربك منـه ضعف ما قـربت منه مثـلاً بمثل، لأنـك على الصـورة خلقت، وأول خلافة لك خلافتك على ذاتك فأنت خليفتـه في أرض بدنـك، ورعيتُك جوارحك وقواك الظاهرةُ والباطنة. فعين قربه منك قربُك منه وزيـادة وهي ما قال من الذراع والباع والهرولة والشبر إلى الشبر ذراع والذراع إلى الـذراع باع والمشي إذا ضاعفته هرولة، فهو في الأول الذي هو قربـك منه، هـو في الآخر الذي هو قربه منك فهو الأول والآخر وهذا هو القرب المناسب، فإن القـرب الإلهي من جميـع الخلق غير هـذا وهـو قـولـه **﴿ونحن أقـربُ إليـه من حبـلِ الوريد﴾**[2] فما أريد . هنا ذلـك القرب، وإنمـا أريد القـرب الذي هـو جزاء قرب العبد من الله. وليس للعبد قرب من الله إلا بـالايمان بمـا جاء من عنـد الله بعد الإيمان بالله وبالمبلغ عن الله تعالى.

---

(١) الحـديث: جزء من حـديث رواه البخاري ومسلم والتـرمـذي عن أبي هريرة. رواه البخـاري ١٣/٤٢٨ في التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ ، ومسلم رقم ٢٦٧٥، في الـذكر والـدعاء، بـاب الحث عـلى ذكر الله والترمذي رقم ٣٥٩٨ في الـدعوات، بـاب حسن الظن بـالله تعالى. جـ ٤/٤٧٧.

(٢) سورة ق ـ آية ١٦.

مجاهدة النفس

الوصية رقم (٧)

ألزم نفسكَ الحديث بعمل الخير وإن لم تفعل. ومهما حدثت نفسك بشر فاعزم على ترك ذلك لله إلا أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق، فإن الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشر الذي حدثت به نفسك كتبه لك حسنة، وقد ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ عن ربه عزّ وجل أنه يقول (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها)[١] و ـ ما ـ هنا ظرفية. فكل زمان يمر عليه في الحديث بعمل هذه الحسنة وإن لم يعملها فإن الله يكتبها له حسنة واحدة في كل زمان يصحبه الحديث بها فيه، بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت، فله بكل زمان حديث حسنة ولهذا قال: (ما لم يعملها) ثم قال تعالى (فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها) ومن هنا فرض العُشْر فيما سقت السماء إن علمت، فإن كانت من الحسنات المتعدية التي لها بقاء الأجر فإن الأجر يتجدد عليها ما بقيت إلى يوم القيامة كالصدقة الجارية مثل الأوقاف والعلم الذي يبثه في الناس والسنة الحسنة وأمثال ذلك. ثم تمم نعمه على عباده فقال تعالى (وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها) و ـ ما ـ هنا ظرفية كما كانت في الحسنة سواء والحكم كالحكم في الحديث والجزاء بالغاً ما بلغ. ثم قال (فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها) فجعل العدل في السيئة والفضلَ في الحسنة وهو قوله ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾[٢] وهو الفضل وهو ما زاد على المثل. ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنها تقول بحكم الأصل عليها الذي أنطقها في حق أبينا آدم بقولها ﴿**أتجعل فيها مَنْ يُفسد فيها ويسفك الدماء**﴾[٣] فما ذكرت إلا مساوينا وما تعرضتْ

---

(١) الحديث: هو طرف من حديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مع تتمة في الصفحة التالية.

(٢) سورة يونس ـ آية ٢٦.

(٣) سورة البقرة ـ آية ٣٠.

للحسن من ذلك، فإن الملأ الأعلى تغلب عليه الغيرة على جناب الله أن يهتضم، وعلمت من هذه النشأة العنصرية أنها لا بد أن تخالف ربها لما هي عليه من حقيقتها، وذلك عندها بالذوق من ذاتها وإنما هي في نشأتها أظهر، ولولا أن الملائكة في نشأتها على صورة نشأتنا ما ذكر الله عنهم أنهم يختصمون، والخصامُ ما يكون إلا مع الأضداد. والذي أخبر الله عن الملائكة في حقنا أنهم يقولون (ذاك عبدك يريد أن يعمل حسنة) فانظر قوة هذا الأصل ما أحكمَه لمن نظر.

ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذكر خيراً في أحد وسكت عن شره أين تكون درجته مع القول الجميل من الملائكة فيما ذكروه، ولكن نبّهتك على ما نبهتك عليه من ذلك لتعرف نشأتهم وما جبلوا عليه، فكل يعمل على شاكلته كما قال تعالى وأخبر أن الملائكة تقول (ذاك عبدك فلان يريد أن يعمل سيئة) وهو أبصر به فقال (أرقبوه فإنْ عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنه إنما تركها من جرائي) أي من أجلي فالملائكة المذكورة هنا هم الذين قال الله لنا فيهم ﴿إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين﴾[1] فالمرتبة والتولية أعطتهم أن يتكلموا بما تكلموا به. فلهم كتابة الحسن من غير تعريف بما يقدم الله إليهم به في ذلك، ويتكلمون في السيئة لم يعلمونه من فضل الله وتجاوزه. ولولا ما تكلموا في ذلك ما عرفنا ما هو الأمر فيه عند الله مثل ما يقولونه في مجالس الذكر في الشخص الذي يأتي إلى حاجته لا لأجل الذكر فأطلق الله للجميع المغفرة وقال (هم القوم لا يشقى جليسهم) فلولا سؤالهم وتعريفهم بهم ما عرفنا حكم الله فيهم، فكلامهم ـ عليهم السلام ـ تعليم ورحمة، وإن كان ظاهره كما يسبق إلى الأفهام القاصرة مع الأصل الذي

---

(١) سورة الانفطار آية ١٠.

نبهناك عليه، وقد قال الله تعالى في الحسنة والسيئة ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ وأزيد ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾[1] وأغفر بعد الجزاء لقوم وقبل الجزاء لقوم آخرين. فلا بد من المغفرة لكل مسرف على نفسه وإن لم يتب.

فمن تحقق بهذه الوصية عرف النسبة بين النشأة الإنسانية والملائكة وأن الأصل واحد كما أن ربنا واحد وله الأسماء المتقابلة فكان الوجود على صورة الأسماء.

كلمة النجاة وأفضل الذكر

الوصية رقم (٨)

ثابِرْ على كلمة الإسلام وهي قولك: لا إله إلا الله فإنها أفضل الأذكار بما تحوي عليه من زيادة علم، وقال ﷺ (أفضل ما قلتُه أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)[2] فهي كلمة جمعت بين النفي والإثبات، والقسمة منحصرة فلا يعرف ما تحوي عليه هذه الكلمة إلا من عرف وزنها وما تزن كما ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها.

فاعلم أنها كلمة توحيد، والتوحيد لا يماثله شيء إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً ولكان اثنين فصاعداً، فما ثمّ ما يزنه إلا المعادل والمماثل، وما ثم مماثل ولا معادل، فذلك هو المانع الذي منع لا إله إلا الله أن تدخل الميزان، فإن العامة من العلماء يرون أن الشرك الذي هو يقابل التوحيد لا يصح وجود القول به من العبد مع وجود التوحيد، فالإنسان: إما مشرك وإما موحد، فلا

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٠.

(٢) الحديث: جزء من حديث وهو: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له. رواه مالك عن طلحة بن عبيدالله بن كريز مرسلاً وأخرجه الترمذي وحسّنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وزاد له: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. كشف ١/١٧٣.

يزن التوحيد إلا الشرك ولا يجتمعان في ميزان. وعندنا إنما لم تدخل في الميزان لما ورد في الخبر لمن فهمه واعتبره وهو خبر صحيح عن الله، يقول الله ﴿**لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله**﴾(1) فما ذكر إلا السمواتِ والأرضَ لأن الميزان ليس له موضع إلا ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة من السدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال العباد، ولهذه الأعمال وُضع الميزان فلا يتعدى الميزان الموضع الذي لا تتعداه الأعمال، ثم قال (وعامرهن غيري) وما لها عامر إلا الله فالخبير تكفيه الإشارة، وفي لسان العموم من علماء الرسوم يعني بالغير الشريكَ الذي أثبته المشرك، لو كان له اشتراك في الخلق لكانت لا إله إلا الله تميل به في الميزان لأن لا إله إلا الله الأقوى على كلّ حال لكونِ المشرك يرجح جانب الله تعالى على جانب الذي أشرك به فقال فيهم: إنهم قالوا ﴿**ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زلفى**﴾(2) فإذ رفع ميزان الوجود لا ميزانُ التوحيد دخلت لا إله إلا الله فيه، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة وهو توحيد المشركين فتزنه ـ لا إله إلا الله ـ وتميل به، فإنه إذا لم يكن العامر غيرّ الله فلا تميل. وغاية ما ذكره إنما هو الله فإلى أين تميل وما ثم إلا واحدٌ في الكفتين؟ وما صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة لأنها هي التي حواها الميزان من كون لا إله إلا الله تَلفَّظ بها قائلها فكتبها الملك فهي لا إله إلا الله المكتوبة المخلوقة في النطق، ولو وضعت لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد، وإنما أراد الله أن يرى فضلَها أهلُ الموقف في صاحب السجلات ولا يراها ولا توضع إلا بعد دخول من شاء الله من الموحدين

---

(1) الحديث : معروف من حديث أبي سعيد مرفوعاً: لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله. رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن حبان والحاكم في المستدرك، وصححه العراقي على الإحياء.

(2) سورة الزمر ـ آية ٣.

النار، فإذا لم يبق في الموقف موحد قد قضى الله عليه أن يدخل النار، ثم بعد ذلك يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية عند ذلك يؤتى بصاحب السجلات ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة ممن لا حظّ له في النار وهو آخر من يوزن له من الخلق فإن لا إله إلا الله له البدء والختام. وقد يكون عين بدئها ختامَها كصاحب السجلات.

ثم اعلم أن الله ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها منفعة وأثقلها وزناً لأنه يقابل بها أضداداً كثيرة فلا بد أن يكون في ذلك الموضع في العامة من القوة ما يقابل به كل ضد، وهذا لا يتفطن له كل عارف من أهل الله إلا الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا، ولا شك أنه قال ﷺ (أفضل ما قلتُه أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)[1] وقد قال ما أشارت إلى فضله من ادعى الخصوص من الذكر بكلمة الله الله أو هو هو ولا شك أنه من جملة الأقوال التي (لا إله إلا الله) أفضلُ منها عند العلماء بالله.

فعليك يا وليَّ الله بالذكر الثابت في العموم فإنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى والمكانه الزلفى، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه، فإن الله ما وسّع رحمته إلا للشمول وبلوغِ المأمول، وما من أحد إلا وهو يطلب النجاة وإن جهل طريقها. فمن نفى بـ(لا إله) عينَه أثبت بـ(إلا الله) كونَه فتنفي عينك حكماً لا علماً وتوجب كون الحق حكماً وعلماً والإلهَ من له جميع الأسماء وليست إلا لعين واحدة وهي مسمى الله عامرِ السموات والأرض الذي بيده ميزان الرفع والخفض، فعليك بلزوم هذا الذكر الذي قرَن الله به وبالعلم به السعادةَ فعم.

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في الصفحة (٧).

محبة أهل الله

الوصية رقم (٩)

وإياك ومعاداة أهلِ لا إله إلّا الله فإنَّ لها من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله، وإن اخطؤا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته فقد حرمت محاربته، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة، وكلُّ من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدواً. وأقلُّ أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره، فإذا تحققتَ أنه عدو لله ـ وليس إلا المشرك ـ فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حق أبيه آزر، قال الله عزّ وجل ﴿**فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرّأ منه**﴾[1] هذا ميزانك بقول الله تعالى ﴿**لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم**﴾[2] كما فعل إبراهيم الخليل ﴿**أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾[3].

ومتى لا تعلم ذلك فلا تعادِ عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان والذي ينبغي لك أن تكره فعلَه لا عينه، والعدو لله إنما تكره عينه. ففرّق بين من تكره عينه ـ وهو عدو الله ـ وبين من تكره فعله و ـ هو المؤمن ـ أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم في الوقت. واحذر قوله تعالى في الصحيح عنه ﴿**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**﴾[4] فإنه إذا جُهِل أمره وعاداه فما وفى حق الحق في خلقه، فإنه ما يدري علم الله فيه وما بيّنه الله له حتى يتبرأ منه

---

(١) سورة التوبة ـ آية ١١٤.

(٢) سورة المجادلة ـ آية ٢٢.

(٣) سورة المجادلة ـ آية ٢٢.

(٤) الحديث: (من حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة تتمته: وما تقرب عبدي آلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر.. الخ). رواه البخاري في الرقائق باب التواضع. جـ ٥٤٢/٩.

ويتخـذه عدواً، وإذا علم حـاله الـظاهر ـ وإن كـان عـدو الله في نفس الأمـر وأنت لا تعلم ـ فَوَالِه لإقامة حق الله ولا تعاده، فإن الإسم الإلهي الظاهر يخاصمك عند الله فلا تجعل لله عليك حجة فتهلك فإنَّ لله ا لحجةَ البالغة، فعامل عبادَ الله بالشفقة والرحمة كما أن الله يرزقهم على كفرهم وشركهم ومع علمه بهم، وما رزقهم إلا لعلمه بأن الذي هم فيه ما هم فيه بهم بل هم فيه به لما قد ذكرنا بلسان العموم أن الله تعالى خالقُ كل شيء، وكفرهم وشركهم مخلوق فيهم، وبلسان الخصوص ـ ما ظهر حكم في موجود إلا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه، فلله الحجة البالغة على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجّة. فسلم الأمر إليه واعلم أنك على ما كنت عليه وعمَّ برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين ولا تقلْ: هذا نبات وجماد ما عندهم خير، نعم عندهم أخيار، أنت ما عندك خير، فاترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمةِ موجدِه في وجوده ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين، فيتعين عليك عند ذلك أن تتخذهم أعداء لأمر الله لك بذلك حيث نهاك أن تتخذ عدوه ولياً تُلقي إليه بالمودة، فإن اضطرك ضعفُ يقين إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تُلقي إليهم بمودة ولكن مسالمة لدفع الشر عنك ففوض الأمر إليه واعتمد في كل حال عليه إلى أن تلقاه.

أفضل القربات وأداء الفرائض

الوصية رقم (١٠)

وعليك بملازمة ما افترضه الله عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه، فإذا أكملت نشأة فرائضك ـ وإكمالُها فرض عليك ـ فحينئذ تتفرغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت، ولا تحقر شيئاً من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده، وما كلفك بأمر إلاّ وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في الرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما

كلفك به، إذ كان التكليف لا يتعلق إلا بأفعال المكلفين فيتعلق بـالمكلف من حيث فعله لا من حيث عينه.

واعلم أنك إذا ثابرت على أداء الفـرائض فإنـك تقربت إلى الله بـأحب الأمور المقربة إليه وإذا كنت صاحبَ هذه الصفة كنت سمعَ الحق وبصـره فلا يسمع إلا بك ولا يبصر إلا بـك، فيدُ الحق يـدك ﴿**إن الذين يبـايعونـك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾[1] وأيديهم ـ من حيث مـا هي يد الله ـ هي فوق أيديهم ـ من حيث ما هي أيديهم ـ فإنها المبايعة (اسم فاعل) والفاعل هو الله، فأيديهم يد الله فبأيديهم بايع تعالى وهم المبـايَعون. والأسبـاب كلها يـد الحق التي لها الاقتدار على إيجاد المسببات، وهذه هي المحبـة العظمى التي مـا ورد فيها نص جلي كما ورد في النوافل، فإن المثـابرة عـلى النوافـل توجب حبـاً إلهياً منصوصاً عليه بكون الحق سمعَ العبد وبصره كـما كان الأمـر بالعكس في حب أداء الفـرائض، ففي الفرض عبوديـة الاضـطرار وهي الأصليـة، وفي الفرع ـ وهو النفل ـ عبوديـة الاختيار، فـالحق فيها سمعـك وبصرك. وسمي نفلاً لأنه زائد كما أنك بالأصالة زائد في الوجـود إذ كان الله ولا أنت ثم كنت فزاد الوجود الحادث فأنت نفل في وجود الحق، فلا بـد لك من عمـل يسمى نفلاً وهو أصلك، ولا بد من عمل يسمى فـرضاً وهـو أصل الـوجود وهـو في وجود الحق، ففي أداء الفرض أنت لـه وفي النفل أنت لـك، وحبّه إيـاك من حيثما أنت له أعظم وأشدُّ من حبه إياك من حيث مـا أنت لك، وقـد ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى (ما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه وما زال العبـدُ يتقرب إليَّ بـالنوافـل حتى أحبه فـإذا أحببته كنتُ سمعـه الـذي به يسمـع وبصرَه الـذي به يبصر ويـده التي بها يبـطش ورجله التي بها يمشي، ولئن سـألني لأعطيّنـه ولئن استعاذني لأعيـذنه ومـا ترددت في شيء أنـا

---

(١) سورة الفتح ـ آية ١٠.

فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموتَ وأنا أكره مساءته[1] فانظر إلى ما تنتجه محبة الله فثابر على أداء ما يصح به وجودُ هذه المحبة الإلهية ولا يصح نفل إلا بعد الفرض، وفي النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه من الفروض تكمل الفرائض. ورد في الصحيح أنه يقول تعالى ﴿**انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها**﴾ فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال (انظروا هل لعبدي من تطوع) فإن كان له تطوّع قال الله تعالى: ﴿**أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه**﴾[2] ثم تؤخذ الأعمال على ذلكم، وليست النوافل إلا ما لها أصل في الفرائض، وما لا أصل له في الفرائض فذاك إنشاء عبادةمستقلة تسميها علماء الرسوم بدعة قال تعالى ﴿**ورهبانية ابتدعوها**﴾[3] وسماها رسول الله ﷺ سنة حسنة، والذي سنّها له أجرُها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

ولما لم يكن في قوّة النفل أن يسد مسد الفرض جعَلَ في نفس النفل فروضاً لتجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الأصل، ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها.

قيمة الكلمة

الوصية رقم (١١) وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإنَّ أقوالَك من جملة عملك ولهذا قيل: « من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه. واعلم أن الله راعى أقوال

---

(١) الحديث: تقدم تخريجه في ص(١٣).

(٢) الحديث: هو طرف من حديث أخرجه أبو داود في سننه في باب كل صلاة لم يتمها صاحبها تتم من تطوعه وهو حديث صحيح.

(٢) سورة الحديد ـ آية ٢٧.

عباده فإن الله عند لسان كل قائل، فما نهاك الله عنه أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده، فإن الله سائلك عنه. روينا أن المَلك لا يكتب على العبد ما يعمله حتى يتكلم به، قال تعالى ﴿ما يَلفظُ من قولٍ إلا لديهِ رقيبٌ عتيد﴾[1] يريد الملكَ الذي يحصي عليك أقوالك يقول تعالى﴿إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾[2] وأقوالك من أفعالك، انظر في قوله تعالى ﴿ولا تقولوا لمن يقتلُ في سبيل الله أمواتٌ﴾[3] فنهاك عن القول فإنه كذّب الله من قال مثلَ هذا القول، فإن الله قال فيهم إنهم أحياء عند ربهم يرزقون ألا تراه تعالى يقول ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم﴾[4] وقال ﴿لا يحبُّ الله الجهر بالسوء من القول﴾[5] وقال ﴿لا خيرَ في كثير من نجواهم﴾[6] وهو القول فإذا تكلمت فتكلمْ بميزان ما شرع الله لك أن تتكلم به، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلاّ حقاً.

فعليك بقول الحق الذي يُرضي الله، فما كلُّ حق يقال يُرضي الله فإن النميمة حق والغيبة حق وهي لا تُرضي الله، وقد نهينا أن نغتاب وأن نُنُمّ بأحد. ومن مراعاة الله الأقوال ما روينا في صحيح مسلم عن الله عز وجلّ أنه قال: لما مطرت السماء قال تعالى (أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر، فمن قال: مُطِرنا بنَوْءِ كذا وكذا فهو كافر بي مؤمنٌ بالكواكب وأما من قال: مِطرنا بفضلِ الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي كافر بالكواكب)[7] فراعى أقوال القائلين.

---

(١) سورة ق ـ آية ١٨.
(٢) سورة انفطار ـ آية ١٢.
(٣) سورة البقرة ـ آية ١٥٤.
(٤) سورة آل عمران ـ آية ١٦٩.
(٥) سورة النساء ـ آية ١٤٨.
(٦) سورة النساء ـ آية ١١٤.
(٧) الحديث أخرجه البخاري ومسلم والموطأ وابو داود عن زيد بن خالد رضي الله عنه رواه البخاري ٢/٢٧٧، في صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم. ومسلم رقم ٧١ في

وكان أبو هريرة إذا مطرت السماء يقول: مُطرنا بنوءالفتح ثم يتلو (ما يفتحِ الله للناس من رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها)[1] ولو كنتَ تعتقد أن الله هو الذي وضع الأسباب ونصبها وأجرى العادة بأنه يفعل الأشياء عندها لا بها فمع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله وتتلفظ به، فإنه كما نهاك عن أمور نهاك عن القول وإن كان حقاً.

وانظر ما أحكمَ قول الله عزّ وجلّ في قوله ﴿**مؤمن بي كافر بالكواكب وكافر بي مؤمن بالكواكب**﴾ فإنه مهما قال بفضل الله فقد ستر الكوكب حيث لم ينطق باسمه، ومن قال: بالكواكب فقد ستر الله وإن اعتقد أنه الفاعل منزلُ المطر ولكن لم يتلفظ باسمه فجاء تعالى بلفظ الكفر الذي هو الستر، فإياك والاستمطار بالأنواء أن تتلفظ به فأحرى أن تعتقده فإن اعتقادك إن كنت مؤمناً أن الله إنمانصبها أدلة عادية ـ وكلٌّ دليل عادي يجوز خرق العادة فيه ـ فاحذر من غوائل العادات ولا تصرفنّك عن حدود الله التي حدّ لك فلا تتعداها فإن الله ما حدّها حتى راعاها وذلك في كل شيء. ورد في الخبر الصحيح (إن الرجل يتكلم بالكلمةِ من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفاً، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغَ ما بلغت فيُرفع بها في عليين)[2] فلا تنطق إلا بما يُرضي الله لا بما يسخط الله عليك، وذلك لا يتمكن لك إلا بمعرفة ما حده لك في

الإيمان باب كفر من قال مطرنا بالنوء، والموطأ ١/١٩٢ في الاستسقاء باب الاستمطار بالنجوم، وأبو داود، رقم ٣٩٠٦ في الطب باب ١ باب في النجوم والنسائي ٣/١٦٥ في الاستسقاء باب كراهية الاستمطار بالكواكب. جـ ١١/٥٧٧.

(١) سورة فاطر ـ اية ٢.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والترمذي، رواه البخاري ١١/٢٦٦ في الرقائق، باب حفظ اللسان، ومسلم رقم ٢٩٨٨، في الزهد باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، والموطأ ٩٨٥ في الكلام، باب ما يكره من الكلام والترمذي رقم ٣٣١٥٠ في الزهد باب فيمن تكلم الكلمة ليضحك بها الناس جـ ١١/٧٣٠.

نطقك. وهذا باب أغفله الناس قال رسـول الله ﷺ (وهل يَكُبُّ النـاسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم)[1] وقال الحكيم (لا شيء أحق بسجنٍ من لسـان) وقد جعله الله خلف بـابين: الشفتـين والأسنـان ومـع هـذا يكـثر الفضول ويفتح الأبواب.

الصورة ذات الروح

وصية قم (١٢)

وإياك أنْ تُصور صورةً بيدك من شأنها أن يكون لها روح، فإن ذلـك أمر يهونه الناس على أنفسهم وهو عند الله عظيم، والمصورون أشـدُّ الناس عـذاباً يـوم القيامـة يقال للمصـور يوم القيـامة: أحي مـا خلقت أو انفخ فيـه روحاً وليس بنافـخ وقـد ورد في الصحيح عن الله تعـالى أنه قـال (ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة)[2] وإن العبد إذا راعى هذا القدر وتركه لما ورد عن الله فيه ولم يزاحم الربوبية في تصوير شيء لا من الحيوان ولا من غيره فـإنه يـطلع على حياة كل صـورة في العالم فيراه كله حيواناً ناطقاً يسبـح بحمد الله، وإذا سـامح نفسـه في تصويـر النبات وما ليس له روح في الشاهد في نظر البصر في المعتاد فلا يطلع على مثل هذا الكشف أبداً، فـإنه في نفس الأمـر لكل صـورة من العالم روح أخـذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما يقال عنه: إنه ليس بحيوان، وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم، ولهذا سماها بالدار الحيوان فما ترى فيها شيئاً إلا حياً ناطقـاً بخلاف حالك في الدنيا كما روي في الصحيح أن الحصى سبح في كف رسول

---

(١) الحديث : جزء من حـديث يخاطب فيـه النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنـه فقال: ثكلتـك أمك وهـل يكب الناس في النار على وجـوههم إلا حصائد ألسنتهم. رواه الترمـذي وقـال: حسن صحيح. الأذكار ٢٨٧.

(٢) الحديث: هو طرف من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي زرعة رحمـه الله رواه البخاري ٣٢٤/١٠ في اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيـوان، ومسلم رقم ٢١١١ في اللباس بـاب تحريم تصوير صورة الحيوان. جا ٨٠٢/٤.

الله ﷺ فجعل الناس خرق العادة في تسبيح الحصى وأخطأوا، وإنما خرقُ العادةِ في سمعِ السامعين ذلك، فإنه لم يزل مسبحاً كما أخبر الله إلا أن يسبح بتسبيح خاص أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى قبل ذلك يسبح به ولا على تلك الكيفية فحينئذ يكون خرقُ العادة في الحصى لا في سمع السامع، والذي في سمع السامع كونه سَمِعَ نطق من لم تجر العادة أن يسمعه.

عيادة المريض وأثرها النفسي

الوصية رقم (١٣)

وعليك يا أخي بعيادة المرضى لما فيها من الاعتبار والذكرى فإن الله خلق الإنسان من ضعف فينبهك النظر إليه في عيادتك على أصلك لتفتقر إلى الله في قوة يقويك به على طاعته، ولأن الله عند عبده إذا مرض ألا ترى إلى المريض ماله استغاثة إلا بالله ولا ذكرى إلا لله، فلا يزال الحق بلسانه منطوقاً به وفي قلبه التجاء إليه، فالمريض لا يزال مع الله أي مريض كان ولو تطبب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها ومع ذلك فلا يغفل عن الله، وذلك لحضور الله عنده. وأن الله يوم القيامة يقول (يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده؟) الحديث هو صحيح فقوله (لوجدتني عنده) هو ذكر المريض ربه في سره وعلانيته، وكذلك إذا استطعمك أحد من خلق الله تعالى أو استسقاك فأطعمه واسقِه إذا كنت واجداً لذلك، فإنه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلا أن هذا المستطعم والمستسقي قد أنزلك منزلة الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم، وهذا نظر قلّ منْ يعتبره. انظر إلى السائل إذا سأل كيف يرفع صوته يقول: يا الله أعطني فما نطّقه الله إلا اسمه في هذا الحال، وما رفع صوته إلا ليسمعك أنت

حتى تعطيه فقد سماك بالاسم الله والتجأ إليك برفع الصوت التجاءه إلى الله، ومنْ أنزلك منزلة سيده فينبغي لك أن لا تحرمه وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه، فإن هذا الحديث الذي سقناه آنفاً في مرض العبد (إن الله يقول: يا ابن آدم اسْتَطْعَمْتُك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف اطْعِمْك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه، أما لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي، يا ابن آدم اسْتَسْقَيْتُك فلم تسقِني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً استسقاك فلم تسقه، أما لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي[1]) خرّج هذا الحديث مسلمٌ عن محمد بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ، فأنزل الله نفسه في هذا الخبر منزلة عبده. فالعبد الحاضر مع الله الذاكر لله في كل حال في مثل هذا الحال يرى الحق أنه الذي استطعمه واستسقاه فيبادر لما طلب الحق منه، فانه لا يدري يوم القيامة لعله يقام في حال هذا الشخص الذي استطعمه واستسقاه من الحاجة فيكافئه الله على ذلك وهو قوله (لوجدت ذلك عندي) أي تلك الطعمة والشربة كنت أرفعها لك وأربيها حتى تجيئني يوم القيامة فأردها عليك أحسن وأطيب وأعظم مما كانت!، فإن لم تكن لك همة أن ترى أن هذا الذي استسقاك قد أنزلك منزلة من بيده قضاء حاجته إذ جعلك الله خليفة عنه فلا أقلَّ أن تقضي حاجة هذا السائل بنية التجارة طلباً للربح وتضاعف الحسنة، فكيف إذا وقفتَ على مثل هذا الخبر ورأيت ان الله هو الذي سألك ما أنت مستخلف فيه؟ فإن الكل لله وقد أمرك بالإنفاق مما استخلفك فيه فقال ﴿**وأنفقوا مِمّا جعلكم مُسْتخلفين فيه**﴾[2] وعظّم لك

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٥٦٩ في البر والصلة باب فضل عيادة المريض. عن أبي هريرة. جا ٥٧٣/٩.

(٢) سورة الحديد ـ آية ٧.

الأجر فيه.

إذا أنفقت فلا تردَّ سائلاً ولو بكلمة طيبة، والقَهُ طلق الـوجه مسـروراً به فإنك إنما تلقى الله. وكان الحسين أو الحسن عليهما السلام إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول: أهلاً والله وسهلاً بحاملٍ زادي إلى الآخرة، لأنـه رآه قد حمل عنه فكان له مثل الـراحلة، لأن الإنسان إذا أنعم الله عليـه نعمة ولم يُحمِّل فضلها غيره فإنه يأتي بها يوم القيامة وهـو حاملهـا حتى يُسأل عنهـا، فلهذا كان الحسن يقول: إن السائل حامـل زاده إلى الآخرة فيـرفع عنـه مؤنة الحمل.

الظلمات من الظلم والمظالم

الوصية رقم (١٤)

وإياكم ومظالمَ العبـاد فإن الـظلم ظلماتٌ يـوم القيامـة. وظلم العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها إليهم، وقد يكـون ذلك بـالحال بما تراه عليه من الاضطرار وأنت قادر واجد لِسَدّ خلته ودفع ضرورتـه فيتعين عليك أن تعلم أن له بحاله حقاً في مالك، فإن الله ما أطلعك عليه إلا لتدفع إليه حقه، ؛ وإلا فأنت مسؤول، فإن لم يكن لك قدرة بما تسد خلّته فاعلم أن الله ما أطلعك على حاله سدىً فاعلم أنه يريد منك أن تعينه بكلمة طيبة عند من تعلم أنـه يسد خلتـه، وإن لم تعمل فـلا أقلَّ من دعـوة تدعـوها لـه، ولا يكون هذا إلا بعد بذل المجهود واليأس حتى لا يبقى عندك إلا الدعاء. ومهما غفلت عن هذا القدر فأنت من جملة من ظلم صاحب هـذا الحال، هـذا كله إن مـات ذلك المحتـاج من تلك الحاجة، فـإن لم يمت وسـدَّ خلته غيـرك من المؤمنين فقد أسقط أخوك عنك هـذه المطالبـة من حيث لا تشعر، فـإن المؤمن أخو المؤمن لا يُسْلِمه ولا يظلِمه، وإن لم ينوِ المعطي ذلـك ولكن هكذا هـو في نفس الأمر، وكذا يقبله الله. فإذا أعطيت أنت سائلاً في حال ضرورته فانوِ في

ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأول الذي حَـرَمه وتجعـل ذلك إيثـاراً منك لحنانك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه، إذ لو أعطاه لقنع بما أعطاه ولم تكن تنال أنت ذلك الخير، فبهذه النية عطاء العـارفين أصحـاب الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم **﴿وأما السائل فلا تنهر﴾**[1] سواء كان ذلك في القوت المحسوس أو المعنوي، فإن العلم والإفادة من هذ الباب، فإن الضال يطلب الهداية، والجـائع يـطلب الإطعام، والعاريَ يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وحره وتستر عورتـه، والجاني العـالم بأنـك قادر عـلى مؤاخذتـه يطلب منك العفـو عن جنايتـه، فاهـد الحيران واطعم الجـائع واسقِ الـظمآن واكسُ العريان، واعلم أنـك فقير لكـل ما يُفتقـر إليك فيـه وأن الله غني عن العالمين ومع هذا يجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم ويسألهم أن يسألوه في دفع المضـار عنهم وإيصال المنـافع لهم فـأنت أولى أن تعامـل عبـاد الله بمثـل هـذا لحاجتك إلى الله في مثل هذه الأمور. خرّج مسلم في الصحيح عن عبدالله بن عبـدالرحمن بن بهـرام الدرامي عن مـروان بن محمد الـدمشقي عن سعيد بن عبدالعزيز عن ربيعة بن يـزيد عن أبي ادريس الخـولاني عن أبي ذر رضي الله عنهم غن النبي ﷺ فيـما روى عن الله تبارك وتعـالى أنه قـال (يـا عبـادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محـرماً فـلا تَظَالَمـوا، يا عبـادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فـاستطعمـوني أطعمكم، يا عبـادي كلكم عارٍ إلا من كسـوتُـه فـاستكسـوني أكسُكُم؛ يـا عبادي إنكم تخـطئون بـالليل والنهـار وأنا أغفـر الذنـوب جميعـاً فاستغفروني أغفـرْ لكم)[2] والحق يعطيـك هذا كله من غـير سؤال منك إيـاه فيه، ولكن مع هذا أمرَك أن تسأله فيعطيك إجابة لسؤالك ليريك عنايتـه بك حيث قَبِـل سؤالك. وهـذه منزلـة أخرى زائـدة على مـا أعطاك. , وإذا كـان

(١) سورة الضحى ـ آية ١٠.

(٢) الحديث يأتي بتمامه بالصفحة التالية مع تخريجه.

سؤالك عن أمره وقد علم منك أنك تسأله ولا بد من ضرورة أصل ما خلقت عليـه من الحاجـة والسؤال لتكون في سؤالـك مؤدياً واجباً فتُجزى جـزاءَ من امتثل أمرَ الله فتزيد خيراً إلى خير، فما أمرك إلا رحمة بك وإيصال خير إليك، ولينبهك على أن حاجتك إليه لا إلى غيره فإنه ما خلقك إلا لعبادته أي لِتَـذِل له.

فالذي أوصيك به الوقوفُ عند أوامر الحق ونـواهيه والفهمُ عنـه في ذلك حتى تكونَ من العلماء بما أراده الحق منك في أمره ونهيه، فإيـاك أن تكون ممن لم يسأل ربه، فإن من لم يسأل ربه فقد بخله، هذا في حق العموم، فإن فرطت فيما أوصيك به فلا تلومنّ إلا نفسـك، فإنـك إن كنتَ جاهـلاً فقد علمتـك، وإن كنت ناسياً وغافلاً فقـد نبهتُك وذكّـرتُك، وإنْ كنت مؤمنـاً فإن الـذكرى تنفعك فإني قد امتثلتُ أمرَ الله بما ذكرتك به، وانتفاعُك بالذكرى شاهـدٌ لك بالإيمان، قـال الله عز وجـل في حقي وفي حقك ﴿**وذَكِّـر فإنَّ الـذكرى تنفَـعُ المؤمنين**﴾[1] فإن لم تنفعك الذكـرى فاتَّهِم نفسـك في إيمانها، فـإن الله صادق وقد أخبر بأن الذكرى تنفع المؤمنين.

ومن تمام هذا الخبر الإلهي الذي أوردناه بعد قوله (أغفر لكم) أن قال (يا عبادي إنكم لن تَبْلغوا ضَري فتَضُرّوني، ولن تبلغـوا نفْعي فَتَنْفعوني) ومعلوم أنه سبحانه لا يتضرر ولا ينتفع فإنه الغني عن العالمـين، ولكنْ لمّا أنـزل نفسه منزلة عبده ـ فيما ذكرناه من الاستـطعام والاستسقـاء ـ نبّهنا بـالعجز عن بلوغ الغاية في ضرّ العبـاد له أو في نفعهم إيـاه، فمن المحال بلوغ الغـاية في ذلـك ولكون الله قد قال في حق قوم إنهم اتّبعوا ما أسخط الله وهو في الظاهـر ضرر نزه نفسه عن ذلك، وكذلك من فعل فعلاً يرضي الله به ويفرحه كالتـائب في فرح الله بتوبة عبده فكان هذا الخبر كالدواء لما يـطرأ من المرض من ذلـك في

---

(١) سورة الذاريات ـ آية ٥٥.

بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله ﴿ليسَ كمِثْلِهِ شيء﴾[1].

ثم من تمام هذا الخبر قوله (يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته ما نقصَ ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخْيَطُ إذا دخل في البحر) هذا كله دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة، فاستعمل يا وليّ هذه الأدوية، يقول الله **﴿إنما هي أعمالُكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلّا نفسه﴾**[2].

ومن سأل عن حاجة فقد ذلَّ، ومن ذل لغيرِ الله فقد ضلّ، وظلم نفسه ولم يسلك بها طريق هداها. وهذه وصيتي إياك فالزمها ونصيحتي فاعلمها، وما زال الله تعالى يوصي عباده في كتابه وعلى ألسنة رسله، فكل من أوصاك بما في استعماله سعادتُك فهو رسول من الله إليك فاشكره عند ربك.

الأدب وحق العلماء

وصية رقم (١٥)

إذا رأيت عالماً لم يستعمله علمُه فاستعمل أنت علمه فيك في أذنك معه حتى توفي العالِمَ حقه من حيث ما هو عالمٌ، ولا تحجب عن ذلك بحاله السيء، فإن له عند الله درجةَ علمه فإن الإنسان يحشر يوم القيامةَ مع من

---

(١) سورة الشورى - آية ١١.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم والترمذي عن أبي ادريس الخولاني، رواه مسلم رقم ٢٥٧٧ في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم ٢٤٩٧ في صفة القيامة، جا ٥/١١.

أحب، ومن تـأدب مع صفـة إلهية كسبهـا يـوم القيامة وحشر فيهـا. وعليـك بـالقيام بكـل ما تعلم أن الله يحبـه منك فتبـادر إليه فـإنك إذا تحليت بـه على طريق التحبب إلى الله تعالى أحبـك، وإذا أحبك أسعـدك بالعلم بـه وبتجليه وبدار كرامته فينعِّمُك في بلائك. والذي يحبه تعـالى أمور كثيـرة أذكرُ منهـا ما تيسر على جهة الوصية والنصيحة، فمن ذلك التجمّـل لله فإنـه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصـلاة فإنـك مأمـور به قـال الله تعالى **﴿يـا بني آدم خُذوا زينَتكم عندَ كلِّ مسجد﴾**[1] وقال في معرض الإنكار **﴿قُل من حرّمَ زينـةَ الله التي أخرجَ لعبادِه والطيباتِ من الرزق؟ قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نُفصِّلُ الآيـات لقومٍ يعلمـون﴾**[2] وأكثر من هـذا البيان في مثل هذا في القرآن فـلا يكون، ولا فـرق بين زينـةِ الله وزينة الحيـاة الدنيا إلاّ بالقصد والنية، وإنما عين الزينة (هي هي، ما هي) أمر آخر، فالنية روح الأمور، وإنما لكـل امرىء مـا نوى فـالهجرة من حيثُ مـا كانت هجـرةً واحدة العين، فمن كانت هجرته إلى الله ورسولـه فهجرتـه إلى الله ورسولـه، ومَنْ كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هـاجر إليـه، وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثـة الذين لا يكلمهم الله يـوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وفيه (ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وَفَى، وإن لم يعطه منها لم يَفِ)[3] فالأعمال بالنيـات وهي أحد أركان بيت الإسلام وورد في الصحيح في مسلم أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ (يا رسول الله إني أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً، فقال رسـول الله

---

(١) سورة الأعراف آية ٣١.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٢، ٣٣.

(٣) الحـديث: أخرجـه البخاري ومسلم والتـرمذي عن أبي هـريرة. رواه البخـاري ١٣/١٧٤ في الأحكام، باب من بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا. ومسلم رقم ١٠٨ في الإيمان باب بيان غلظ تحريم اسبال إزار والمن بالعطية والترمذي رقم ١٥٩٥ في السير بـاب ما جـاء في نكث البيعة. جا ٤/ ٧٠.

ﷺ إن الله جميل يحب الجمال)[1] وقال (إن الله أولى من يُتجمّل له).

ومن هذا الباب) كونُ الله تعالى لم يبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلا في صورة دِحْية[2] وكان أجملَ أهل زمانه وبلغ من أثر جماله في الخلق أنه لما قدِم المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلا ألقت ما في بطنها، فكأن الحق يقول يبشر نبيه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية (يا محمد ما بيني وبينك إلا صورة الجمال) يخبره تعالى بما له في نفَسه سبحانه منه بالجمال، فمن فاته التجمّل لله كما قلناه فقد فاته من الله هذا الحب الخاص المعين، وإذا فاته هذا الحب الخاص المعين فاته من الله ما ينتجه من علم وتجلٍّ وكرامةٍ في دار السعادة، ومنزلةٍ في كثيب الرؤية، وشهودٍ معنوي علمي روحي في هذه الدار الدنيا في سلوكه ومشاهده، ولكن كما قلنا ينوي بذلك التجمل لله لا للزينة والفخر بعرض الدنيا والزّهو والعجبِ والبطر على غيره.

ومن ذلك الرجوع الى الله عند الفتنة فإن الله يحب كل مُفتَّنٍ تواب كذا قال رسول الله ﷺ، قال الله تعالى ﴿خَلَق الموتَ والحياة لِيَبْلُوكُم أَيُّكم أحسنُ عملاً﴾[3] والبلاء والفتنة بمعنى واحد، وليس إلا الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدعوى ﴿إنْ هي إلا فتنتُك﴾[4] أي اختبارك (تُضِلُّ بها من تشاء) أي تحيِّره (وتهدي بها من تشاء) أي تبين له طريق نجاته فيها.

(وأعظم الفتن) النساءُ والمالُ والولد والجاه، هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبداً من عباده أو بواحد منها، وقام فيها مقام الحق في نصبها له، ورجع إلى

---

(١) الحديث: رواه الإمام أحمد عن أبي ريحانة، ومسلم والترمذي عن أبي مسعود. ان الله جميل يحب الجمال. كشف الخفاء.

(٢) دِحْية الكلبي رضي الله عنه رجل من الصحابة كان مشهوراً بجماله الشديد.

(٣) سورة الملك آية ٢.

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٥

الله فيها ولم يقف معها من حيث عينها، وأخذها نعمة إلهية أنعم الله عليه بها ردّته اليه تعالى، وأقامته في مقام الشكر وحقه الذي هو رؤية النعمة منه تعالى كما ذكر ابن ماجه في سننه عن رسول الله ﷺ أنه قال (أوحى الله لموسى عليه السلام فقال له: يا موسى أشكر لي حق الشكر قال موسى: يا رب من يقدر على ذلك؟ قال: يا موسى إذا رأيت النعمة مني فذلك حق الشكر)[١] ولمّا غفر الله لنبيه محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبشّره في ذلك بقوله تعالى ﴿**لِيَغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر**﴾[٢] قام حتى تورمت قدماه شكراً لله تعالى على ذلك، فما فَتَر ولا جَنَح إلى الراحة. ولمّا قيل له في ذلك، وسئل في الرفق بنفسه قال ﷺ (أفلا أكونُ عبداً شكوراً)[٣] وذلك لما سمع الله تعالى يقول ﴿**بلِ الله فاعْبُدْ وكُنْ من الشاكرين**﴾[٤] فإن لم يقم في مقام شكر المنعم فاته من الله هذا الحبُّ الخاص بهذا المقام الذي لا يناله من الله إلا الشكور، فإن الله يقول ﴿**وقليلٌ من عباديَ الشكور**﴾[٥] وإذا فاته فاته ماله من العلم بالله والتجلي والنعيم ومنزله الخاصّ به في دار الكرامة وكثيب الرؤية يوم الزور الأعظم، فإنه لكل حب إلهي من صفة خاصة علمٌ وتجلٍّ ونعيمٌ ومنزلةٌ لا بد من ذلك يمتاز بها صاحب تلك الصفة من غيره.

(فأما فتنة النساء) فصورة رجوعه إلى الله في محبتهن بأن يرى أن الكل أحبَّ بعضه وحنَّ إليه، فما أحبّ سوى نفسه، لأن المرأة ـ في الأصل ـ خُلقت من الرجل من ضلعه القصري، فيُنـزلها من نفسه منزلة الصورة التي خلق الله الإنسانَ الكامل عليها، وهي صورة الحق، فجعلها الحق مجلى له،

---

(١) الحديث: رواه بن ماجه في سننه.

(٢) سورة الفتح آية ٢.

(٣) الحديث عند مسلم من رواية عروة عن عائشة رضي الله عنها. العراقي على الأحياء ـ باب الشكر.

(٤) سورة الزمر آية ٦٦.

(٥) سورة سبأ ـ آية ١٣.

وإذا كان الشيء مجلى للناظر فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلا نفسه، فإذا رأى في هذه المرأة نفسه بشدة حبه فيها وميله إليها رأى صورته، وقد تبين لك أن صورته صورة الحق التي أوجده عليها، فما رأى إلا الحق ولكن بشهوة حب والتذاذ وصلة، فَفَنِي فيها فناءَ حق بحب صدق، وقابلها بذاته مقابلة المِثْلية، ولذلك فني فيها لأنه ما من جزء فيه إلا وهو فيها، والمحبةُ قد سرت في جميع أجزائه فتعلق كلُّه بها فلذلك فنى في مثله الفناءَ الكلي، بخلاف حبه في غير مثله فاتحد بمحبوبه إلى أن قال:

* أنا من أهوى وَمَن أهوى أنا *

وقال الآخرون في هذا المقام (أنا الله) فإذا أحببت شخصاً مثلك هذا **الحب، وردّك إلى الله شهودك** فيه هذا الرد فأنت ممن أحبه الله، وكانت هذه **الفتنة فتنة أعطتك** المهداة.

وأما الطريقة الأخرى في حب النساء فإنهن محالُّ الأنفعال والتكوين لظهور الأعيان والأمثال في كل نوع، ولا شك أن الله ما أحب أعيان العالم في حال عدمه إلا لكون تلك الأعيانِ محالَّ الانفعال، فلما توجه عليها من كونه مريداً قال لها (كن) فكانت فظهر مُلْكه بهافي الوجود، وأعطت تلك الأعيانُ لله حقّه في ألوهيته فكان إلهاً فعبدته تعالى بجميع الأسماء بالحال، سواءٌ علمتَ تلك الأسماءَ أو لم تعلمها، فما بقي اسمٌ لله إلا والعبدُ قد قام فيه بصورته وحاله وإن لم يعلم نتيجةَ ذلك الاسم، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله (أو استأثرت به في علم غيبك أو علّمته أحداً من خلقك)[1] يعني من أسمائه، أي يعرف عينه حتى يفصله من غيره علماً، فإن

(١) الحديث: طرف من حديث رواه ابن السني في عمل اليوم الليلة. باب ما يقول إذا أصاب هم أو حزن رقم ٣٣٤ ـ قال الحافظ بعد تخريجه حديث غريب. وقد ذكر بن السني عقب حديث أبي موسى المذكور هنا عن عبدالله بن مسعود نحوه. وحديث بن مسعود أثبت منه سنداً وأشهر رجالاً وهو حديث حسن وقد صححه بعض الأئمة أذكار ص١٠٤.

كثيراً من الأمور في الإنسان بالصورة والحال ولا يعلم بها ويعلم الله منه أن ذلك فيه، فإذا أحبّ المرأة لما ذكرناه فقد ردّه حُبُّها إلى الله فكانت نعمت الفتنة في حقه، فأحبه الله بِرجعته إليه في حبه إياها.

وأما تعلقه بامرأة خاصة في ذلك دون غيرها ـ وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها سارية في كل امرأة ـ فذلك لمناسبة روحانية بين هذين الشخصين في أصل النشأة والمزاج الطبيعي والنظر الروحي، فمنه ما يجري إلى أجل مسمى، ومنه ما يجري إلى غير أجل، بل أجله الموتَ، والتعلق لا يزول كحب النبي ﷺ عائشة، فإنه كان يحبها أكثر من حبه جميع نسائه، وحُبُّه أبا بكر أيضاً وهو أبوها، فهذه المناسبات الشواني هي التي تعين الأشخاص. والسبب الأول هو ما ذكرناه. وكذلك الحبُّ المطلق، والسماع المطلق، والرؤية المطلقة التي يكون عليها بعض عباد الله، ما تختص بشخص في العالم دون شخص، فكل حاضر عنده له محبوب وبه مشغول. ومع هذا لا بد من ميل خاص لبعض الأشخاص لمناسبة خاصة مع هذا الاطلاق لا بد من ذلك، فإن نشأة العالم تعطي في آحاده هذا لا بد من تقييد، والكامل مَنْ يجمع بين التقييد والاطلاق، فالاطلاقُ مثل قول النبي ﷺ (حُبِّبَ إليّ مِنْ دنياكم ثلاثٌ: النساء)[1] وما خصّ امرأةً من امرأة. ومثلُ التقييد ما روي من حبه عائشة أكثرَ من سائر نسائه، لنسبة إلهية روحانية قيّدته بها دون غيرها، مع كونه يحبُّ النساء. فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفايةٌ لمن فهم.

(وأما الركن الثاني) من بين الفتن وهو: الجاه المعبَّر عنه بالرياسة، يقول فيه الطائفة التي لا علم لها منهم (آخر ما يخرج من قلوب الصديقين: حبُّ

---

(١) الحديث: أخرجه النسائي عن أنس بن مالك. رواه النسائي في عشرة النساء باب حب النساء. واسناده حسن. جا ٤/٧٦٦.

الرياسة) فالعارفون من أصحاب هذا القول ما يقولون ذلك على ما تفهمه العامة من أهل الطريق منهم، وإنما ذلك ما نبيّنه من مقصود الكمل من أهل الله بذلك وذلك أن في نفس الإنسان أموراً كثيرة خبأها الله فيها ﴿**ألا يسجدوا لله الذي يخرجُ الخَبْءَ في السمواتِ والأرضِ ويعلَمُ ما تُخْفونَ وما تُعْلِنون**﴾[1] أي ما ظهر منكم وما خفي مما لا تعلمونه منكم فيكم، فلا يزال الحق يخرج لعبده من نفسه مما أخفاه فيها ما لم يكن يعرف أن ذلك في نفسه، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل ولا يحس به من نفسه، كذلك ما خبأه الله في نفوس الخلق ألا تراه يقول ﷺ (مَنْ عرف نفسه عرف ربه)[2] وما كلُّ أحد يعرف نفسه، مع أن نفسه عينُه لا غيرُ ذلك. فلا يزال الحق يخرج للإنسان من نفسه ما خبأه فيها، فيشهده فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه قبل ذلك، فقالت الطائفة الكثيرة (آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حبُّ الرياسة) فيظهرُ لهم إذا خرج فيحبون الرياسة بحب غير حُبّ العامة لها، فإنهم يحبونها من كونهم على ما قال الله فيهم إنه سمعهم وبصرهم، وذكر جميع قواهم وأعضائهم، فإذا كانوا بهذه المثابة فما أحبوا الرياسة إلا الرئيسُ على العالم فإنهم عبيده، وما كان الرئيس إلا بالمرؤوس وجوداً وتقديراً فحبُّه للمرؤوس أشد الحب لأنه المثبت له الرياسة، فلا أحبَّ من المَلِك في ملكه لأن ملكه المثبتُ له ملكاً آخر، وأبقى عليه اسم الملك، فهذا معنى (آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حبُّ الرياسة) لهم فيرونه

---

(١) سورة النمل ـ آية ٢٥.

(٢) الحديث: قال ابن تيمية موضوع، وقال النووي قبله ليس بثابت. ويحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله: وكتب الصوفية مشحونة به وقال عنه الشيخ محيي الدين بن عربي وهو معدود من الحفاظ. وهذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وألف الحافظ والسيوطي تأليف لطيف سماه القول الأشبه في حديث: من عرف نفسه عرف ربه. وقال النجم وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي عن عائشة سئل رسول الله ﷺ من أعرف الناس بربه قال: أعرفهم بنفسه. كشف الخفاء في حرف الميم والنون.

ويشهدونه ذوقاً، لا أنه يخرج من قلوبهم، فلا يحبون الرياسة فإنهم إن لم يحبوا الرياسة فما حصل لهم العلم بها ذوقاً بالصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ (إن الله خلق آدم على صورته)[1] في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته فاعلم ذلك.

(والجاه امضاء الكلمة) ولا أمضى كلمةً من قوله ﴿**إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾[2] فأعظم الجاه من كان جاهه بالله إذا كان الله قوى هذا العبد، فيرى هذا العبدُ مع بقاء عينه، فيعلم عند ذلك أنه المثل الذي لا يُماثل، فإنه عبدٌ ربٌّ[3]، والله عز وجل ربٌّ لا عبدٌ فله الجمعية وللحق الانفراد.

(وأما الركن الثالث) وهو المال وما سُمي المال بهذا الإسم إلا لكونه يُمال إليه طبعاً، فاختبر الله به عباده حيث جعل تيسر بعض الأمور بوجوده، وعلق قلوب الخلق بمحبة صاحب المال وتعظيمه ولو كان بخيلاً، فان العيون تنظر إليه بعين التعظيم لتوهم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال، وربما يكون صاحب المال أشدّ الناس فقراً إليهم في نفسه، ولا يجد في نفسه الاكتفاء ولا القناعة بما عنده، فهو يطلب الزيادة عما بيده. ولمّا رأي العالم ميل القلوب إلى رب المال لأجل المال أحبوا المال، فطلب العارفون وجهاً إلهياً

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة والحديث قال ﷺ: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته، رواه البخاري إلى قوله الوجه، رقم ١٣٢/٥ في العتق باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه ومسلم رقم ٢٦١٢ في البر والصلة باب النهي عن ضرب الوجه. جا ٥٢/٧.

ـ أقول: إن الحديث جواب لرجل يضرب طفلاً على وجهه فكان الحديث: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته [أي صورة الطفل].

(٢) سورة يس اية ـ ٨٢.

(٣) عبد رب ـ أي رباني. قد تحقق بالحديث القدسي الذي مر معنا ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت بصره.

يحبون به المال، إذ ولا بد من حبه وهنا موضع الفتنة والابتلاء التي لها الضلالة والمهداة.

فأما العارفون فنظروا إلى أمور إلهية منها قوله تعالى ﴿وأقْرِضوا الله قرضاً حسناً﴾(١) فما خاطب إلا أصحاب الجدة، فأحبوا المال ليكونوا من أهل هذا الخطاب فيلتذوا بسماعه حيث كانوا، فإذا أقرضوه ورأوا أن الصدقة تقع بيد الرحمن فحصل لهم بالمال وإعطائه مناولة الحق منهم، ذلك كانت وُصلة المناولة. وقد شرف الله آدم بقوله ﴿لِمَا خلقتُ بيديّ﴾(٣) فمن يُعطيه عن سؤاله القرضَ أتمُّ في الالتذاذ بالشرف ممن خلقه بيده، فلولا المال ما سمعوا ولا كانوا أهلاً لهذا الخطاب الإلهي، ولا حصل لهم بالقرض هذا التناولُ الرباني، فإن ذلك يعم الوُصلة مع الله، فاختبرهم الله بالمال، ثم اختبرهم بالسؤال منه، وأنزل الحقُّ نفسه منزلة السائلين من عباده أهلِ الحاجة من أهل الثروة منهم والمالِ بقوله في الحديث المتقدم في هذا الباب(٣) (يا عبدي استطعمتُك فلم تُطعمني واستسقيتُك فلم تسقني) فكان لهم بهذا النظر حبُّ المالِ فتنةً مهداة إلى مثل هذا.

(وأما فتنة الولد) فلكونه سرّ أبيه وقطعةً من كبده وألصقَ الأشياء به، فحبُّه حبُّ الشيءِ نفسه، ولا شيء أحبُّ إلى الشيء من نفسه. فاختبره الله بنفسه في صورةٍ خارجة عنه سماها ولداً ليرى: هل يحجبه النظر إليه عما كلفه الحق من إقامته الحقوق عليه؟ يقول رسول الله ﷺ في حق ابنته فاطمة ومكانتها من قلبه المكانةَ التي لا تجهل (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعتُ يدها)(٤) وجلدَ عمر بن الخطاب ابنه في الزنى فمات ونفسُه بذاك طيبة، وجاد

(١) سورة المزمل آية ٢٠.

(٢) سورة ص آية ٧٥.

(٣) صحيفة ١٩.

(٤) الحديث: أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود عن جابر بن عبدالله. رواه مسلم رقم ١٦٨٩ في =

ماعزٌ بنفسه والمرأة في إقامة الحد عليها الذي فيه إتلاف نفوسهما، حتى قال في توبتهما رسول الله ﷺ (إنها لو فرِّقتْ على الأمة لَكَفَتْها) [1] وأي توبة أعظمُ من أن جادا بنفسهما، والجودُ بإقامة الحق المكروه على الولد أعظمُ في البلاء، يقول الله في موت الولد في حق الولد (ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا عندي جزاء إلا الجنة) [2] فمن أحكم هذه الأركان التي هي من أعظم الفتن وأكبر المحن، وآثرَ جناب الحق ورعاه فيها فذلك الرجلُ الذي لا أعظمَ منه في جنسه.

إن الله وتر يحب الوتر

الوصية رقم (١٦)

(ومن وصيتي إياك) أنك لا تنام إلّا على وتر، لأن الإنسان إذا نام قبض الله روحه إليه في الصورة التي يرى نفسه فيها إن رأى رؤيا، فإن شاء ردّها إليه إن كان لم يَنْقَضِ عُمُرُه، وإن شاء أمسكها إن كان قد جاء أجله. فالاحتياط أن الإنسان الحازم لا ينام إلا على وتر، فإذا نام على وتر نام على حالة وعمل يحبه الله، وورد في الخبر الصحيح (إن الله وتر يحب الوتر) [3] فما أحب إلا نفسه، وأيُّ عناية وقرب أعظمُ من أن أنزلك منزلةَ نفسه في حبه إياك إذا

= الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره. والنسائي ٧٢/٨ في السارق باب ما يكون حرزاً وما لا يكون حرزاً، وأبو داود رقم ٤٣٧٤ في الحدود، باب في الحد يشفع فيه. جا ٥٨٠/٣.

(١) الحديث عن توبة ماعز والمرأة الغامدية. ورد عن مسلم بلفظ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم، وهو من حديث بريدة. الإحياء باب التوبة.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري ٢٠٧/١١ في الرقائق، باب العمل الذي يبغي به وجه الله. جا ٤٣٥/٦.

(٣) الحديث: طرف من حديث أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي عن علي بن أبي طالب رواه الترمذي رقم ٤٥٣ في الصلاة، باب ما جاء في الوتر ليس بحتم، وأبو داود رقم ١٤١٦ في الصلاة باب استحباب الوتر، والنسائي رقم ٣٢٨/٣ في قيام الليل، باب الأمر بالوتر. وهو حديث حسن. حسنه الترمذي وغيره. وكامل الحديث: ان الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن. جا ٤٣/٦.

كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العدد والكمية، وقد أمرك الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ فقال (أوتروا يا أهلَ القرآن)[1] وأهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصته، وكذلك إذا اكتحلت فاكتحلْ وتْراً، في كل عين واحدة أو ثلاثة، فإن كل عين عضوٌ مستقل بنفسه، وكذلك إذا طَعِمَت فلا تنزع يدك إلا عن وتر، وكذلك شربُك الماء في حسواتك إياه اجعله وتراً، وإذا أخذك الفُواق[2] اشرب من الماء سبع حسوات فإنه ينقطع عنك، هذا جربته بنفسي، وإذا تنفستَ في شربك فتنفس ثلاث مرات، وأزل القدح عن فِيْك عند التنفس، هكذا أمرَك رسول الله ﷺ فإنه أهنأ وأمرأ وأروى، وإذا تكلمت بالكلمة لتفهم السامع فأعدها ثلاث مرات وتراً حتى تُفهم عنك، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ، فإني ما أوصيك إلا بما جرت السنة الإلهية عليه ! وهذا هو عين الاتباع الذي أمرك الله تعالى به في القرآن فقال (قل: إنْ كنتم تحبُّون الله فاتْبعوني يُحببكم الله)[3] فهذه محبة الجزاء، وأما محبته الأولى التي ليست جزاءً، فهي المحبة التي وفقك بها للأتباع، فحبك قد جعله الله بين حبين إلهيين: حب منة، وحب جزاء، فصارت المحبة بينك وبين الله وتراً: حبُّ المنة وهو الذي أعطاك التوفيق للاتباع، وحبُّك إياه، وحبُّه إياك جزاء من كونك اتبعت ما شرعه لك **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ﴾**[4] وبهذه الآية ثبتت عصمة رسول الله ﷺ، فإنه لم لو يكن معصوماً ما صح التأسي به، فنحن نتأسى برسول الله ﷺ في جميع حركاته وسكناته وأفعاله وأحواله وأقواله، ما يُنه عن شيء من ذلك على التعيين في كتاب أو سنة، مثلُ نكاح الهبة خالصةً لك من دون المؤمنين،! ومثلُ وجوبِ قيامِ

---

(١) الحديث: طرف من الحديث السابق.

(٢) الفواق: ترجيع الشهقة العالية.

(٣) سورة آل عمران آية ٣١.

(٤) سورة الأحزاب آية ٢١.

الليل عليه والتهجد، فهو ﷺ يقومه فرضاً ونحن نقومه تأسياً وندباً، فاشتركنا في القيام. يقول أبو هريرة (أوصاني خليلي ﷺ بثلاث) فأوْتَر في وصيته، وفيها (وأن لا أنام إلا على وترٍ)[1] وورد في الحديث الصحيح (إن لله تسعةً وتسعين إسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة)[2] فإن الله وتر يحب الوتر. وقد تقدم في هذا الكتاب في باب سؤالات الترمذي الحكيم، وهو آخر أبواب فصل المعارف في حب الله التوابين والمتطهرين والشاكرين والصابرين والمحسنين وغيرهم مما ورد أن الله يحب إتيانه، كما وردت أشياءُ لا يحبها الله قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها.

المراقبة لله في المنع والعطاء وحكمة القدر

الوصيّة رقم (١٧)

وعليك بمراقبة الله عزّ وجلّ فيما أخذ منك وفيما أعطاك، فإنه تعالى ما أخذ منك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين، وإذا أحبك عاملك معاملةً المحب محبوبه. فكان لك حيث تريد إذا اقتضت إرادتك مصلحتك، وإذا لم تقتض إرادتك مصلحتك فعل بحبه إياك معك ما تقتضيه المصلحة في حقك، وإن كنت تكره في الحال فعله معك، فإنك تحمد بعد ذلك عاقبة أمرك، فإن الله غير متَّهم في مصالح عبده إذا أحبه. فميزانك في حبه إياك أن تنظر الى ما

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ٤٧/٣ في التطوع باب من لم يصلي الضحى في الحضر وفي الصوم باب صيام أيام البيض. ورواه مسلم رقم ٧٢١ في صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان. وأبو داود رقم ٢٤٣٢ في الصلاة باب في الوتر قبل النوم والترمذي رقم ٧٦٠ في الصوم والنسائي ٢٢٩/٣ في قيام الليل باب الحديث عن الوتر قبل النوم جا ١١٣/٦.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. رواه البخاري ١١/ ١٨٠ في الدعوات باب أسماء الله عز وجل مائة اسم غير واحد، ومسلم رقم ٢٦٧٧ في الذكر والدعاء، باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها. جا ٤/ ١٧٣.

رزقك من الصبر على ما أخذه منك، ورزقك فيه من مال أو أهل، أو ما كان مما يعز عليك فراقه، وما من شيء يزول عنك من المألوفات إلا ولك عوض منه عند الله إلا الله قال بعضهم:

لكـلِّ شيء إذا فـارقتَـه عِـوَضٌ   وليس لله إنْ فـارقتَ من عَوَضِ

فإنه لا مثل له، وكذلك إذا أعطاك وأنعم عليك، ومن جملة ما أنعم به عليك وأعطاك الصبر على ما أخذه منك، فأعطاك لتشكر كما أخذ منك لتصبر فإنه تعالى يحب الشاكرين، وإذا أحبك حُبَّ الشاكرين غفر لك، قال رسول الله ﷺ في رجل رأى غصنَ شوكٍ في طريق الناس فنحّاه فشكر الله فعله فغفر له (إن الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق) وهو ما ذكرناه (وأرفعها قولُ لا إله إلا الله)[1] فالمؤمن الموفق يبحث عن شُعب الإيمان فيأتيها كلَّها، وبحثُه عن ذلك من جملة شعب الإيمان، فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة وملأ يديه من الخير، وما شكرك الله بسبب أمر أتيته مما شرع لك الاتيان به إلا لتزيد في أعمال البر، كما أنك إذا شكرته على ما أعطاك وما أنعم به عليك زادك من نعمه لقوله ﴿لئِنْ شكرْتُمْ لأزيدَنَّكُم﴾[2]، ووصف نفسه بأنه يشكر عباده فهو الشكور، فزده كما زادك لشكرك. ومع هذا فأعتقد أن كل شيء عنده بمقدار، وكلّ شيء في الدنيا يجري إلى أجلٍ مسمى عند الله، فما تمّ شيء في العالم إلا وهو لله، فإن أخذه منك فما أخذه إلا إليه، وإن أعطاك فما أعطاك إلا منه، فالأمر كلُّه منه وإليه وكفى بك ـ إذا علمت أن الأمر على ما أعلمتك ـ أن تكون مع الله تشهده في جميع أحوالك، من

---

(١) الحديث: أخرجه الستة إلا الموطأ. رواه البخاري في الإيمان باب أمور الإيمان ١/٤٨ بلفظ الإيمان بضع وستون شعبة. ومسلم باب بيان عدد شعب الإيمان رقم ٣٥ وأبو داود في السنة باب رد الإرجاء رقم ٤٦٧٦ والترمذي في الإيمان والنسائي فيه باب ذكر شعب الإيمان ٨/١١٠ وأخرجه ابن ماجة في المقدمة رقم ٥٧ بلفظ الإيمان بضع وستون باباً. جا ١/٢٣٥.

(٢) سورة إبراهيم ـ آية ٧.

أخذ وعطاء فإنك لن تخلو في نَفَسِك من أخذ وعطاء إلهي ، أول ذلك أنفاسك التي بها حياتك. فيأخذ منك نَفَسك الخارج بما خرج من ذكر بقلب أو لسان، فإن كان خيراً ضاعف لك أجره. وإن كان غيرَ ذلك فمن كرمه وعفوه يغفر لك ذلك، ويعطيك نَفَسَك الداخل بما شاء وهو وارد وقتك، فإن ورد بخير فهو نعمة من الله فقابِلْها بالشكر، وإن كان غيرَ ذلك مما لا يرضي الله فاسأله المغفرة والتجاوزَ والتوبة، فإنه ما قضى بالذنوب على عباده إلا ليستغفروه فيغفرَ لهم ويتوبوا إليه فيتوب عليهم. ورد في الحديث (لو لمْ تُذنبوا لجاء الله بقومٍ يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم ويتوبُ عليهم)[1] حتى لا يتعطل حكم من الأحكام الإلهية في الدنيا، وورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلٌّ شيء عنده بأجلٍ مسمى)[2] فإذا انتهى أجله انقضى وجاء غيره، وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرفاً إيانا بما هو الأمر عليه لِنُسلّم الأمر إليه فنرزقَ درجة التسليم والتفويض مع بذل المجهود فيما يحبه منا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال: إن كان في المخالفة فبالتوبة والاستغفار، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة رسول الله، ونجد عزاً في نفوسنا بمعرفتنا أن كل شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمى وللصابرين حمدٌ يخصهم وهو: الحمد لله على كل حال، وللشاكرين حمدٌ يخصهم وهو: الحمد لله المنعم المفضل، هكذا كان يحمد رسول الله ﷺ ربَّه عزّ وجلَّ في حال السراء والضراء، والتأسي برسول الله

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم عن أبي هريرة والحديث كامله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويتوبون. . الخ). أخرجه مسلم رقم ٢٧٤٩ في التوبة باب سقوط الذنوب والاستغفار. جا ٨/٣٨.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم والبخاري وأبو داود والنسائي عن أسامة بن زيد. رواه البخاري ٣/١٢٤ في الجنائز باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله عليه. ومسلم رقم ٩٢٣ في الجنائز باب البكاء على الميت. وأبو داود رقم ٣١٢٥ في الجنائز باب البكاء على الميت، والنسائي ٤/٢١ في الجنائز باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة. جا ٦/٤٣٧.

ﷺ في ذلك أولى من أن تستنبط حمداً آخر فإنه لا أعلى مما وضعه العالِم المكمَّل الذي شهد الله له بالعلم به وأكرمه برسالته واختصاصه وأمرنا بالاقتداء به واتباعه، فلا تُحْدِث أمراً ما استطعت فإنك إذا سننت سنةً لم يجيء مثلُها عن رسول الله ﷺ وهي حسنة فإن لك أجرَها وأجرَ مَنْ عمل بها، وإذا تركت تسنينها اتباعاً لكون رسول الله ﷺ لم يسنها فإن أجرك في اتباعك ذلك ـ أعني ترك التسنين ـ أعظم من أجرك من حيث ما سننت بكثير، فإنّ النبي ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أمته، وكان يكره لهم أن يسألوه في أشياء مخافةَ أن يُنزل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلّا بمشقة، ومن سَنّ فقد كلَّف، وكان النبي ﷺ أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً، فلهذا قلنا: الاتباعُ في الترك أعظمُ أجراً من التسنين، فاجعلْ بالك لما ذكرته لك. ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبلَ رضي الله عنه أنه مات وما أكل البطِّيخ، فقيل له في ذلك، فقال: ما بلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله، فلمّا لم تبلغه الكيفية في ذلك تركه. وبمثل هذا تقدّم علماء هذه الأمة على علماء سائر الأمم هكذا هكذا وإلّا فلا لا، فهذا الإمام علِم وتحقّقَ معنى قوله تعالى عن نبيه ﷺ ﴿فاتَّبِعوني يحببكم الله﴾(١) وقوله ﴿لقد كان لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ﴾(٢) والاشتغالُ بما سنَّ ﷺ من قولٍ وفعلٍ وحالٍ أكثرُ من أن نحيط به، فكيف أن نتفرع لنسنَّ؟ فلا نكلف الأمةَ أكثر مما ورد.

الشرك الخفي وأخطاره

وصية م (١٨) عليك بأداء الأوجب من حق الله وهو: أن لا تشركَ بالله شيئاً من الشرك الخفي الذي هو: الاعتمادُ على الأسباب الموضوعة، والركون إليها بالقلب

---

(١) سورة آل عمران ـ آية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب ـ آية ٢١.

والطمأنينة بها، وهي: سكون القلب إليها وعندها، فإن ذلك من أعـظم رُزْء ديني في المؤمن، وهو قوله تعالى من باب الإشارة ﴿وَما يُؤمنُ أكثرُهُم بـالله إلاّ وهم مُشْرِكون﴾[1] يعني ـ والله أعلم به ـ هذا الشركَ الخفي الذي يكون معه الإيمان بوجود الله، والنقض في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال لا في الألوهـة، فـإن ذلك هـو الشرك الجـلي الذي ينـاقض الإيمان بتـوحيد الله في الألـوهة لا الإيمـانَ بوجـود الله. ورد في الحديث الصحيـح عن رسـول الله ﷺ أنـه قـال (أتدرون ما حقُّ الله على العباد؟ حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركـوا به شيئاً)[2] فأتى بلفظة (شيء) و(شيء) نكرة، فدخل فيه الشركُ الجـلي والخفي، ثم قال (أتدرون ما حقُّهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم)[2] فـاجعل بـالك من قـوله (أن لا يعـذبهم) فإنهم إذا لم يشـركوا بـالله شيئـاً لم يتعلق لهم خـاطـر إلا بـالله إذ لم يكن لهم تـوجـه إلا إلى الله، وإذا أشـركـوا بـالله الشرك المناقض للإسـلام، أو الشـرك الخفي الـذي هـو النـظرُ الى الأسبـاب المعتادة، فإن الله قد عذبهم بالاعتماد عليهـا لأنها معرضـة للفقد، ففي حـال وجودهايتعذبون بتوهم فقدها وبما ينقص منها، وإذا فقدوها تعذبـوا بفقدهـا، فهم معذبون على كل حـال في وجود الأسبـاب وفقدهـا، وإذا لم يشركـوا بالله شيئـاً من الأسباب استـراحوا ولا يبـالون بفقـدها ولا بـوجودهـا، فإن الـذي اعتمدوا عليه ـ وهو الله ـ قادرٌ عـلى إتيان الأمـور من حيث لا يحتسبون، كـما قـال تعالى ﴿ومن يتّقِ الله يجعـل له مخـرجاً ويـرزقه من حيث لا يحتسب﴾[3]

---

(١) سورة يوسف ـ اية ١٠٦.

(٢) الحـديث: طرف من حـديث رواه معاذ بن جبـل رضي الله عنه. أخـرجـه مسلم والبخـاري والترمذي. وفيه بدل «أتدرون» وأتدري يا معاذ» رواه البخاري ٣٠١/١٣ في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته الى توحيد الله. ومسلم رقم ٣٠ في الإيمان باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً. والترمذي رقم ٢٦٤٥ في الإيمان باب ما جاء في اختلاف هذه الأمة جا ٣٦١/٩.

(٣) سورة الطلاق ـ آية ٣.

ولقد قال بعضهم في ذلك نظماً وهو:

ومَــنْ يــتّــق الله يجـعــل لــه كــما قــالَ مـن أمــره مخــرجـا
ويـــرزقـــه من غـــير حُسبــانـــه وإن ضـــاق أمـــرٌ بـــه فـــرَّجـا

علائم التقوى والتحقق بها

فمن علامة التحقق بالتقوى أن يـأتي للمتقي رزقه من حيث لا يحتسب، وإذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى، ولا اعتمدَ على الله، فـإن معنى التقـوى في بعض وجوههـا أن تتخذ الله وقـاية من تـأثـير الأسبـاب في قلبـك باعتمادك عليها، والانسان أبصرُ بنفسه وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثقُ وبمـا تسكن إليه نفسه، ولا يقول: إن الله أمرني بالسعي على العيال، وأوجب عليّ النفقة عليهم فلا بـد من الكد في الأسبـاب التي جرت العـادة أن يرزقهم الله عنـدها، فهـذا لا يناقض مـا قلنـاه، فنحن إنمـا نهينـاك عن الاعتمـاد عليهـا بقلبك، والسكون عندها، ما قلنا لك: لا تعمل بها. ولقد نمتُ عنـد تقييدي هذا الوجه، ثم رجعتُ إلى نفسي وأنا أنشد بيتين لم أكن أعـرفهما قبـل ذلك، وهما:

لا تــعــتــمــد إلا عــلى الله فــكــلُّ أمــرٍ بــيــدِ الله
وهــذه الأســبــابُ حـجّــابــه فــلا تــكــنْ إلا مــع الله

فانظر في نفسك: فإنْ وجدت أن القلبَ سكن إليها فاتهم إيمانـك واعلم أنك لست ذلك الرجل، وإن وجدت قلبك ساكناً مع الله واستوى عندك حالة فقد السبب المعين، وحالةُ وجوده فـاعلم أنك ذلـك الرجـل الذي آمن ولم يشـرك بالله شيئاً، وأنك من القليل، فإن رزقك من حيث لا تحتسب فـذلك بُشـرى من الله أنك من المتقين.

ومن سر هــذه الآيـة أن الله وإن رزقــك من السبب المعتـاد الــذي في

خزانتك وتحت حكمك وتصريفك، وأنت متقٍ، أي: قد اتخذت الله وقاية لأنه الواقي فإنك مرزوق من حيث لا تحتسب، فإنه ليس في حسبانك أن الله يرزقك؛ ولا بد مما بيدك ومن الحاصل عندك، فما رزقك إلا من حيث لا تحتسب، وإن أكلتَ وارتزقت من ذلك الذي بيدك. فاعلم ذلك فإنه معنى دقيق ولا يشعر به إلا أهلُ المراقبة الإلهية الذين يراقبون بواطنهم وقلوبهم، فإن الوقاية ليست إلا الله تمنعُ العبد من أن يصل إلى الأسباب بحكم الاعتماد عليها لاعتماده على الله عزّ وجل وهذا معنى قوله (يجعل له مخ رجا)[1] فهذا مخرج التقوى في هذه الآية وهي وصيةُ الله عبده وإعلامه بما هو الأمر عليه.

من تواضع لله

الوصية رقم (١٩)

واحذر يا أخي أن تريد علواً في الأرض، والزم الخمول، وإن أعلى الله كلمتك فما أعلى إلا الحق، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق فذلك إليه عز وجل، والذي يلزمك التواضع والذلة والانكسارُ فإنه إنما أنشأك من الأرض فلا تعلُ عليها فإنها أمُّك، ومن تكبر على أمه فقد عقّها، وعقوقُ الوالدين حرام. ثم إنه قد ورد في الحديث (إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاًمن الدنيا إلّا وضعه)[2] فإن كنت أنت ذلك الشيء فانتظر وضع الله إياك، وما أخاف على من هذه صفته إلا أن الله تعالى إذا وضعه يضعه في النار، وذلك إذا رفع ذلك الشيء نفسه لا إذا رفعه الله فذلك ليس إليه، إلا أنه لا بد أن يراقب الله فيما أعطاه من الرفعة في الأرض بولاية وتقدم يخدم من أجله ويغشى بابه

---

(١) سورة الطلاق ـ آية ٣.

(٢) . الحديث : أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي. ورد هذا الحديث: بصيغة «حق على الله» أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي عن أنس بن مالك رواه البخاري ٦/٥٥ في الجواد باب ناقة النبي ﷺ وفي الرقائق باب التواضع وأبو داود رقم ٤٨٠٢ في الأدب باب كراهية الرفعة في الأمور والنسائي ٦/٢٢٧ في الخيل باب السبق. جا ٥/٤٠.

ويلزم ركابه، فلا يبرح ناظراً في عبوديته وأصله فإنه خُلِق من ضعف ومن أصل موصوف بأنه ذلول، ويعلم ان تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصب لا لذاته، فإنه إذا عزل عنها لم يبق له ذلك الوزن الذي كان يتخيله، وينتقل ذلك إلى من أقامه الله في تلك المنزلة، فالعلو للمنزلة لا لذاته. فمن أراد العلو في الأرض فقد أراد الولاية فيها، وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية (إنها يوم القيامة حسرةٌ وندامة)[1] فلا تكن من الجاهلين.

فالذي أوصيك به أنك لا تريد علواً في الأرض، وإن أعلاك الله لا تطلب أنت من الله إلا أن تكون في نفسك صاحب ذلة ومسكنة وخشوع، فإنك لن تحصِّل ذلك إلا أن يكون الحق مشهوداً لك. وليس مدار الخلق والأكابر إلا على أن يحصل لهم مقام الشهود فإنه الوجود المطلوب.

حكم غسل الجمعة

الوصية رقم (٢٠) **عليك بالاغتسال في كل يوم جمعة، واجعله قبل رَوَاحك إلى صلاة الجمعة، وإذا اغتسلت فانوِ فيه أنك تؤدي واجباً،** فإنه قد ورد في الصحيح **(أن غسل الجمعة واجبٌ على كل مسلم)**[2] وقد ورد عن رسول الله ﷺ **(حقٌ على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام)**[3] فتجمع بين الحدثين

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم وهو طرف من حديث أبي هريرة. والحديث بكامله انكم ستحرصون على الإمارة وستكون حسرة وندامة يوم القيامة. جا ٤/٥٩.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والموطأ وأبو داود عن أبي سعيد الخدري. أخرجه البخاري ٢/٢٩٨ في الجمعة باب فضل الغسل يوم الجمعة. ومسلم رقم ٨٤٦ في الجمعة باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، والموطأ ١/١٠٢ في الجمعة باب العمل في غسل الجمعة. وأبو داود رقم ٣٤١ في الطهارة باب الغسل يوم الجمعة، والنسائي ٢/٩٢ في الجمعة باب الأمر بالسواك يوم الجمعة. جا ٧/٣٢٣.

(٣) الحديث: رواه البخاري في الجمعة ٢/٨٣١ هل على من يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان ومسلم رقم ٨٤٩ في الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة. عن أبي هريرة رضي الله عنه. جا ٧/٣٣١.

بغسل الجمعة، وذلك ان الله خلق سبعة أيام وهي أيام الجمعة، فإذا انقضت جمعةٌ ودارت الأيام فهي الجديدة الدائرة فلا تنصرف عنك دورة إلا عن طهارة تحدثها فيها إكراماً لذاتك وتقديساً وتنظيفاً، كما جاء في السواك (إنه مطهرة للفم ومرضاةٌ للرب)[1] وكذلك الغسلُ في الأسبوع مطهرة للبدن ومرضاة للرب، أي العبد فعل فعلاً يُرضي الله به من حيث إن الله أمره بذلك فامتثل أمره.

المراء في الدين

الوصية رقم (٢١) وإياك والمِراء في شيء من الدين ـ وهو الجدال ـ فلا تخلو من أحد أمرين: إما أن تكون محقاً أو مبطلاً كما يفعل فقهاءُ زماننا اليوم في مجالس مناظراتهم، ينوون في ذلك تنقيحَ خواطرهم، فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهباً لا يعتقده، وقولاً لا يرتضيه وهو يجادل به صاحب الحق الذي يعتقد فيه أنه حق، ثم تخدعه النفس في ذلك بأن يقول له: إنما نفعل ذلك لتنقيح الخاطر لا لإقامة الباطل، وما علم أن الله عند لسان كل قائل، وأن العامي إذا سمع مقالته بالباطل وظهوره على صاحب الحق ـ وهو عنده أنه فقيه ـ عمل العامي المقلد على ذلك الباطل لما رأى من ظهوره على صاحب الحق، وعجزِ صاحب الحق عن مقاومته، فلا يزال الإثم يتعلق به ما دام هذا السامع يعمل بما سمع منه، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابت أنه قال (أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة لمن ترك المراءَ وإنْ كان محقاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحاً)[2] ومنه المراءُ في الباطل، وكان رسول الله ﷺ يمزح

(١) الحديث: هو طرف من حديث رواه الديلمي في الفردوس عن أنس رضي الله عنه.

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود عن أبي أمامة الباهلي. رواه ابو داود، رقم ٤٨٠٠ في الأدب باب حسن الخلق واسناده صحيح. جا ١١/٧٣٤.

ولكن لا يقول إلا حقاً.

عموم مكارم الأخلاق

الوصية رقم (٢٢)

وعليك بحسن الأخلاق، وإتيان مكارمها، وتجنّب سفسافها، فإن النبي ﷺ يقول (إنما بُعثت لإتمم مكارِمَ الأخلاق)[١] وإنه ﷺ قد ضمن بيتاً في أعلى الجنة لمن حَسّن خلقه. ولما كانت الأخلاق الحسنة عبارة عن أن تفعل مع المتخلِّق معه بتصرّف أخلاقك معه في معاملتك إياه - وعلمتَ أن أغراض الخلق متباينة، وأنه إنْ أرضى زيداً أسخط عدوّه عمراً، لا بد من ذلك - فمن المحال أن تكونَ في خُلُقٍ كريم يرضي جميع الخلائق، ولّما رأينا ان الأمر على هذا الحد، وأدخلَ الله نفسه مع عباده في الصحبة - كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لربه (أنتَ الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل)[٢] وقال (وهو معكم أينما كنتم)[٣] وقال (إذ يقول لصاحبه: ﴿لا تحزَنْ إن الله معنا﴾[٤]وقال ﴿إنني معكما أسمعُ وأرى﴾[٥]قلنا فلا تصرفْ مكارم الأخلاق إلّا في صحبة الله خاصة. فكلُّ ما يرضي الله تأتيه، وكلُّ ما لا يرضيه تجتنبه، وسواء كانت

(١) الحديث: أخرجه الموطأ عن مالك بن أنس. وورد أيضاً: إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق أخرجه الموطأ ٢/٩٠٤ في حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق واسناده منقطع ولكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي بها إلى درجة الحسن. قال الزرقاني: رواه أحمد وقاسم ابن أصبغ والحاكم والخرائطي برجال الصحيح عن محمد بن عجلان عن أبي صلح عن أبي هريرة وقال ابن عبد البر: وهو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح أبي هريرة وغيره، وللطبراني عن جابر مرفوعاً: إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال. جا ٤/٤.

(٢) الحديث: قدم لهذا الحديث الإمام النووي رضي الله عنه في أذكاره فقال: وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجة بالأسانيد الصحيحة عن عبدالله بن سرجن رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: اللهم أنت الصاحب في السفر.. الخ) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح أذكار ١٨٩.

(٣) سورة الحديد آية ٤.

(٤) سورة التوبة آية ٤٠.

(٥) سورة طه آية ٤٦.

المعاملة والخلق مما يخص جانب الحق، أو يتعدى إلى الغير، وأنها وإن تعدت إلى الغير فإنها مما يرضي الله، وسواء عندك سخط ذلك الغير أو رضي، فإنه: إنْ كان مؤمناً رضي بما يُرضي الله، وإن كان عدواً لله فلا اعتبار له عندنا، فإن الله يقول (إنما المؤمنون إخوةٌ)[1] وقال ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة﴾[2] فحسنُ الخلق إنما هو فيما يرضي الله، فلا تصرفه إلا مع الله سواء كان ذلك في الخلق، أو فيما يختص بجناب الله. فمن راعى جناب الله انتفع به جميعُ المؤمنين وأهلِ الذمة، فإن الله حقاً على كل مؤمن في معاملة كل أحد من خلق الله على الاطلاق من كل صنف من مَلَك وجانّ وإنسان وحيوان ونبات ومعدن وجماد ومؤمن وغير مؤمن. وقد ذكرنا ذلك في رسالة الأخلاق لنا كتبنا بها إلى بعض إخواننا (سنة إحدى وتسعين وخمسمائة) وهي جزء لطيف غريب في معناه، فيه معاملة جميع الخلق بالخلق الحسن الذي يليق به. وحسن الخلق بحسب أحوال من تصرفها فيه ومعه، وهذا أمر عام، والتفصيل فيه لك بالواقع، فانظر فيه فإنه اكثر من أن تحصى آحاده، لما في ذلك من التطويل، والله الموفق لا ربَّ غيره. وكذلك تجنب سفسافَ الأخلاق، ولا تعرف مكارم الأخلاق من سفسافها إلّا حتى تعرف مصارفها، فإذا عرفت مصارفها علمتَ مكارمها وسفسافها. وهو علم شريف خفي، فلا يفوتَنَّك علم مصارف الأخلاق فإن ذلك يختلف باختلاف الوجوه.

الهجرة من الإيمان

الوصية رقم (٢٣) وعليك بالهجرة ولا تقم بين أظهر الكفار، فإن في ذلك إهانة دين الإسلام وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، فإن الله ما أمر بالقتال إلا لتكون

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

(٢) سورة المجادلة آية ١.

كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى. وإياك والإقامةَ أو الدخول تحت ذمة كافر ما استطعت، واعلم أن المقيمَ بين أظهُرِ الكفار ـ مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانيهم ـ لا حظَّ له في الإسلام، فإن النبي ﷺ قد تبرأ منه، ولا يتبرأ رسول الله ﷺ من مسلم. وقد ثبت عنه أنه ﷺ قال (أنا بريء من مسلم يقيمُ بين أظهر المشركين)[1] فما اعتبر له كلمة الإسلام وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين أظهر المشركين: (إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرضُ الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾[2] فلهذا حجّرنا في هذا الزمان على الناس زيارةَ بيت المقدس والإقامة فيه، لكونه بيدِ الكفار، فالولاية لهم والتحكم في المسلمين، والمسلمون معهم على أسوأ حال ـ نعوذ بالله من تحكم الأهواء ـ فالزائرون اليوم البيت المقدّس، والمقيمون فيه من المسلمين هم الذين قال الله فيهم **﴿ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا﴾[3] وكذلك فلتهاجر عن كلِّ خلقٍ مذموم شرعاً قد ذمه الحقُّ في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ.**

العمل بمقتضى العلم

الوصية رقم (٢٤) وعليك باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك، فإن السخي الكامل السخاء من سخي بنفسه على العلم، فكان بحكم ما شرّع الله له

---

(١) الحديث: أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي. وهو طرف من حديث جرير بن عبدالله أخرجه الترمذي رقم ١٦٠/٤ في السير باب كراهية المقام بين أظهر المشركين وأبو داود رقم ٢٦٤٥ في الجهاد باب ما يقاتل المشركون، والنسائي ٣٦/٨ في القسامة باب القود، وأخرجه النسائي عن اسماعيل بن قيس مرسلاً ولم يذكر جريراً.

(٢) سورة النساء ـ آية ٩٧.

(٣) سورة الكهف ١٠٤.

فعلم وعمل وعلّم من لم يعلم. وقد أثنى رسولُ الله ﷺ على من قبل العلم وعمل به وعلّمه، وذمَّ نقيضَ ذلك. فثبت عنه ﷺ أنه قال (مثلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمَثَلِ غيثٍ أصاب أرضاً فكانت منها طائفةٌ قبلت الماء فأنبتَتِ الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفع الله به الناسَ فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً إنما هي قيعان لا تُمْسك ماءً ولا تنبِتْ كلأً فكذلك من فقه في دين الله، ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعمل وعلّم. ومثلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً مثلُ القيعان التي لم تمسك ماءً ولا أنبتت كلأً)[1] فكنْ يا أخي ممن علِمَ وعَمِلَ، ولا تكن ممن علم وترك العمل، فتكونَ كالسراج أو الشمعة تضيء للناس وتحرقُ نفسك، ! فإنك إذا علمت جعل الله لك فرقاناً ونوراً، وورّثك ذلك العمل علماً آخر لم تكن تعلمه من العلم بالله وبمالك فيه منفعة عند الله في آخرتك، فاجهد أن تكون من العلماء العاملين المرشدين.

التودد لعباد الله المؤمنين

الوصية رقم (٢٥) وعليك بالتودد لعباد الله من المؤمنين بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائجهم. واعلم أن المؤمنين أجمعهم جسد واحد كإنسان واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى، كذلك المؤمن اذا أصيب أخوه بمصيبة فكأنه أصيب بها، فيتألم لتألمه. ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين فما ثبتت أخوة الإيمان بينه وبينهم، فإن الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان، وبهذا وقع المثل من النبي ﷺ في الحديث الثابت، وهو قوله ﷺ (مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري، رواه البخاري ١/٨٥ في العلم باب فضل من علم وعلّم، ومسلم رقم ٢٢٨٢ في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم. جا ١/٢٨٤.

وتراحمهم مثلُ الجسـد إذا اشتكى منه عضـو تداعى لـه سائـر الجسد بـالحمى والسهر)[1] واعلم أنّ المؤمن كثيرٌ بـأخيه، وأن (المؤمن) لمـا كان من أسـماء الله مـع ما ينضـاف إلى ذلك من خلقـه على الصـورة ثبتَ النسب، والمؤمن أخـو المؤمن لا يُسْلمه ولا يخذله، فمن كان مؤمناً بالله ـ من حيث ما هو الله مؤمن ـ فإنه يصدّقه في فعله وقوله وحاله، وهذه هي العصمة، فإن الله من كونه مؤمناً يصدّقه في ذلك، ولا يصدق الله إلا الصادق، فإنّ تصـديقَ الكاذب عـلى الله محالٌ فإن الكذبَ عليه محـال، وتصديق الكـاذب كذب بـلا شك، فمن ثبت إيمانه بالله ـ من كون الله مؤمناً ـ فإن هذا العبد لا شـك أنه من الصـادقين في جميع أموره مع الله، لأنه مؤمن بأن الله مؤمن به أيضاً. فتَنَبَّه لمـا دَلَلْتُكَ عليـه ووصّيتُك به في الإيمـان بالله من كـونه مؤمنـاً تنتفع، فـإني قد أريتُـك الطريقَ المـوصلَ الى نيـل ذلـك، واعتصمْ بـالله ومن يعتَصِمْ بـالله هُـدِي إلى صـراطٍ مستقيم﴾[2] فإن الله على صراط مستقيم، وليس إلاّ ما شرعه لعباده.

عند نزول المصائب

الوصية رقم (٦٢) لا تكتـرث لما يصيبـك الله به من الـرزايا في مـالِكَ ومن يعِـزُّ عليك من أهلك ممـا يسمى في العـرف رزيـة ومُصـابـاً، وقـل ﴿**إنّـا لله وإنّـا إليـه راجعون**﴾[3] عند نزولها بك، وقلْ فيها كما قـال عمرُ بن الخـطاب رضي الله عنـه (ما أصـابتني من مصيبة إلا رأيتُ أن لله عـليّ فيها ثـلاث نعمٍ: النعمة

---

(١) الحديث: أخرجـه البخـاري ومسلم عن النعمـان بن بشـير، رواه البخـاري ١١/٣٦٦ في الأدب بـاب رحمة النـاس والبهائم، ومسلم رقم ٢٥٨٦ في البـر والصلة باب تـراحم المؤمنين وتعاطفهم. جا ٦/٥٤٧.

(٢) سورة آل عمران ـ آية ١٠١.

(٣) سورة البقرة ـ آية ١٥٦.

الـواحدة حيث لم تكن المصيبـة في ديني، والنعمة الثـانية حيث لم يكن مـا هو أكثر منها، فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والنعمة الثالثة ما جعل الله لي فيها من الأجر بالكفارة لما كنا نتوقاه من سيئات أعمالنا. واعلم ان المؤمن في الدنيا كثير الرزايا، لأن الله يحب أن يُطهره حتى ينقلب إليه طاهراً مـطهراً من دنس المخالفات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يُقام فيها، فلا يزال المؤمن مُرْزأً في عمـوم أحوالـه، وقد ثبت عن رسـول الله ﷺ في ذلـك (مثـلُ المؤمن كَمَثـلِ الخامة[1] من الزرعِ، تصرَعُها الريحُ مرةً، وتَعْدِلُها أخرى حتى تَهيجَ).

التحلي بالقران وتلاوته

الوصية رقم (٢٧) عليك بتلاوةِ القرآنِ وتَدَبرِه، وانظرْ في تلاوتك إلى ما حُمِدَ فيه من النعوت والصفات التي وَصَفَ الله بها من أحبّه من عباده فاتّصف بها، ومـا ذمّ الله في القرآن من النعوتِ والصفات التي اتّصفَ بها مَنْ مَقَتَهُ الله فاجْتَنِبْهـا، فإنّ الله ما ذكرها لك وأنزلها في كتابه عليك وعرّفكِ بها إلاّ لتعمل بذلك، فإذا قـرأت القرآن فكن أنت بالقرآن لما في القرآن، واجتهد أن تحفَظه بالعمل كما حفـظته بالتلاوة فإنه لا أحد أشدُّ عذاباً يـومَ القيامـة من شخصٍ حفِظَ آيةً من كتـابِ الله ثم نَسِيَهَا، كذلك مَنْ حفظ آيـة ثم ترك العملَ بها كانت عليه شاهدةً يوم القيامة وحسرةً، وإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ في أحوال مَنْ يقرأُ القـرآنَ، ومن لا يقرؤُه من مؤمنٍ ومنافقٍ فقال ﷺ (مَثَلُ المؤمنِ الـذي يقرأ القـرآنَ مَثَلُ الأتْـرُجَّةِ ريحُهـا طيّبٌ) يعني بها التـلاوةَ والقراءةَ فـإنها أنفاسٌ تخـرج، فشبّهها

---

(١) الخامة: هي الـزرع الذي عـلى ساق واحـد، فهو ضعيف لم يشتـد. اهـ. الحفني على الجـامع الصغير.

(٢) الحـديث: أخرجـه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هـريرة.٦ وورد الحـديث: مثـل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح تفيئها فإذا اعتدلت تلقّى البلاء». رواه البخاري ١٠/٩٣ في المرضى باب ما جاء في كفـارة المرضى، ومسلم رقم ٢٨٠٩ في صفـات المنافقـين. باب مثل المؤمن كالزرع، والترمذي رقم ٢٨٧٠ في الأمثال جا ١/٢٧١.

بالروائح التي تعطيها الأنفاس (وَطَعْمُها طيّبٌ) يعني بها الإيمانَ، ولذلك قال (ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رضي بالله ربّاً، وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبيّاً) فنسب الطعم للإيمان، ثم قال (وَمَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ التمرِ طعمُها طيّبٌ) من حيث إنه مؤمن ذو إيمان (ولا ريحَ لها) من حيث إنه غيرُ تالٍ في الحال التي لا يكون فيها تالياً وإن كان من حُفّاظ القرآن، ثم قال (وَمَثَلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآن كَمَثَلِ الرَّيْحانَةِ ريحُها طيّبٌ) لأن القرآن طيب، وليس سوى أنفاس التالي والقارىء في وقت تلاوته وحالِ قراءته (وطعمُهَا مُرٌّ) لأن النفاق كفرُ الباطن، ولأن الحلاوةَ للإيمان لأنها مستلذة، ثم قال (ومَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعمُها مرٌّ ولا ريحَ لها)[1] لأنه غيرُ قارىء في الحال. وعلى هذا المساق كلُّ كلامٍ طيب فيه رضا الله صورتُه من المؤمن والمنافق صورةُ القرآن في التمثيل، غير أن القرآن منزلتُه لا تخفى، فإنّ كلامَ الله لا يُضاهيه شيء من كلِّ كلامٍ مقربٍ إلى الله. فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره أن يُحضر في ذكره ذلك ذكراً من الأذكار الواردة في القرآن فيذكر الله به، ليكونَ قارئاً في الذكر، وإذا كان قارئاً فيكون حاكياً للذكر الذي ذكر الله به نفسَه، وإذا كان كذلك فقد أنزل نفسَه فيه منزلةَ ربه منه وهو قوله ﴿فأجِرْهُ حتى يسمعَ كلاَمَ الله﴾[2] وقولُه (سَمِع اللهُ لِمَنْ حَمِده) ويُقال للقارىء يوم القيامة (إقرأ وارْقَ) ورُقِيُّه في الدنيا في أيام التكليف في قرآنه أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته، بأن يكون الحقُّ هو الذي يتلو على لسان عبده، كما يكون سَمْعه الذي به يسمع، وبَصَرَه الذي به يُبصر، ويديه اللتين

(١) الحديث: أخرجه الجماعة إلا الموطأ عن أبي موسى الأشعري. رواه البخاري رقم ٥٨/٩ في فضائل القرآن باب فضل القرآن على سائر الكلام، ومسلم رقم ٧٩٧ في صلاة المسافرين باب فضيلة حافظ القرآن، والترمذي رقم ٢٨٦٩ في الأمثال باب ما جاء في مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء وأبو داود رقم ٤٨٣٠ في الأدب باب ما يؤمر أن يجالس، والنسائي ١٢٤/٨ في المقدمة باب فضل من تعلم القرآن وعلّمه جا ٤٥٣/٢.

(٢) سورة التوبة آية ٦.

بهما يَبْطش، ورجليه اللتين بهما يسعى، كذلك هو لسانُه الذي به ينطقُ ويتكلم، فلا يحمد الله ولا يسبحه ولا يهلله إلا بما ورد في القرآن عن استحضار منه لذلك، فيرقى من قراءته بنفسه إلى قراءته بربه، فيكونُ الحقُّ هو الذي يتلو كتابَه، فيرتفعُ يومَ القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قرآنه، ويقف عندها إلى الدرجة التي تليق بتلك الآية، التي يكون الحقُّ هو التالي لها بلسان هذا العبد عن حضورٍ من العبد التالي لذلك، فإنّ أفضلَ الكلام كلامُ الله الخاصُّ المعروفُ.

صحبة أهل الذكر ومجالستهم

الوصية رقم (٢٨) وعليك بمجالسَةِ مَنْ تنتفعُ بمجالسته في دينك من علمٍ تستفيده منه، أو عملٍ يكون فيه، أو خُلُقٍ حَسَنٍ يكون عليه، فإنّ الإنسان إذا جالسَ مَنْ تُذَكِّره مجالستُه الآخرة فلا بدّ أن يتحلى منها بقدْر ما يوفقه الله لذلك، وإذا كان الجليس له هذا التعدي فاتخذ الله جليساً بالذكر، والذكرُ القرآنُ وهو أعظم الذكر، قال تعالى ﴿**إنّا نحن نَزّلْنا الذِّكْرَ**﴾[1] أي القرآن، وقال (أنا جليسُ من ذكرني) وقال ﷺ (أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّتُه[2]) وخاصة المَلِكِ جلساؤه في أغلب أحوالهم، والله له الأخلاق - وهي الأسماء الحسنى الإلهيةُ - فمن كان الحق جليسَه فهو أنيسه، فلا بد أن ينال من مكارم أخلاقه على قدْر مُدةِ مجالسته. ومَنْ جلس إلى قومٍ يذكرون الله فإن الله يُدخله معهم في رحمته، فهم القومُ الذين لا يشقى جليسُهم، فكيف يشقى مَنْ كان الحق جليسَه؟ وقد ورد في الحديث الثابت (إنّ الجليسَ الصالحَ كصاحب المسك: إنْ لم يُصبْك منه أصابك من ريحِه، والجليسُ السوء كصاحب الكير إنْ لم

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) الحديث: رواه النسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي عن أنس مرفوعاً وصححه الحاكم وهو طرف من حديث أنس رضي الله عنه. كشف ٢٩٣.

يُصبْك من شررِه أصابك من دُخانه)[1] وهـو أنه من خـالط أصحاب الـرِّيَبِ ارْتِيْبَ فيه، وذلك لما غلب على الناس من سوء الظن بالناس لخبث بواطنهم. وهنا فائدةٌ أنبهك عليها أغفلها النـاس، وهي تدعـو إلى حسن الظن بـالناس ليكون محلك طاهراً من السوء، وذلك أنك إذا رأيت من يعاشر الأشرارَ وهـو خيّرٌ عندك فلا تسيءْ الظنَّ بـه لصحبته الأشـرارَ، بل وحَسِّن الـظنَّ بالأشـرارِ لصحبتهم، ذلك الخيّر، واجعلْ المناسبة في الخيْر لا في الشر، فإن الله ما سأل أحداً قطُّ يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق، ويسأله عن سوء الظن بالخلق. ويكفيـك هذا نصحـاً إن قبلت، ووصيةً إن عملت بهـا. والذاكِـرُ ربَّه حيـاتُه متصلةٌ دائماً لا تنقطع بالموت، فهو حي - وإن مات - بحيـاةٍ هي خيرٌ وأتمُّ من حياة المقتول في سبيل الله، إلا أن يكونَ المقتولُ في سبيل الله من الذاكرين فله حياةُ الشهيد وحياةُ الذاكر، فالذاكر حي وإن مات، والذي لا يذكرُ الله ميت وإنْ كان في الدنيا من الأحياء، فإنه حيٌّ بالحياة الحيـوانية، وجميـعُ العالم حيٌّ بحياة الذكر، فَمَثَلُ الذي يذكر ربَّه، والذي لا يذكـر ربه مَثَـلُ الحي والميت، كذا مثّله رسول الله ﷺ، وأمـا ما ادعيتُـه في وصيتي لك بـالذكـرِ أنّ الذاكِـرَ أفضلُ من الشهيد الذي لا يذكر الله فلما صحَّ عن رسول الله ﷺ في قوله (ألا أنبّئكم) أو كـما قـال (**بخـيْرٍ لكم من أن تلقَـوا عـدوَّكم فيضـربـوا رِقـابكم وتضرِبوا رقـابَهم؟ ذكرُ الله**)[2] فـذكر ضـربَ الرِّقـاب وهو الشهـادة، فذكـرُ العبدِ ربَّه أفضلُ من قتل الشهيد. وثبت عنه أن الذاكر حيٌّ، فخرج من ذلك أن حياة الذاكر خيرٌ من حياة الشهيد إذا لم يكن ذاكراً ربَّه عزّ وجلّ.

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه أبو داود عن أنس بن مالك. رواه أبو داود رقم ٤٨٢٩ في الأدب باب من يؤمر من يجالس واسناده صحيح. جا ٥٠٧/٨.

(٢) الحديث: أخرجه الموطأ والترمـذي عن أبي الدرداء، رواه المـوطأ مـوقوفـاً ٢١١/١ في القرآن. باب ما جاء في ذكر الله تعالى، والترمـذي مرفـوعاً رقم ٣٣٧٤ في الـدعوات بـاب رقم ٦ وهو حديث صحيح. جا ٥١٤/٩.

القيام بحدود الله

الوصية رقم (٢٩) وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه، فإنك مسؤولٌ من الله عن ذلك. فإن كنت ذا سلطان تَعَيَّنَ عليك إقامة حدود الله فيمن ولاّك الله عليه، وكلّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، وليس سوى إقامة حدود الله فيهم. وأقلُّ الولاياتِ ولايتُك على نفسك وجوارِحك فأقم فيها حدود الله إلى الخلافة الكبرى، فإنك نائبُ الله على كل حال في نفسك فما فوقها. وقد ورد الحديث الثابت في القائم بحدود الله والواقع فيها فمثَّلهما رسول الله ﷺ (بقومٍ استهمّوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا: إنا نخرق في نصيبنا لا نؤذي من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً)[1] فإذا خطر لك يا وليّ خاطرٌ يأمرك بالخير فذلك لَمَّةُ المَلَك، ثم يأتي بعد ذلك خاطرٌ ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله فذلك لَمَّةُ الشيطان، ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع، وإذا خطر لك خاطرٌ يأمرك بفعل الشر فذلك لمةُ الشيطان فإذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعلِ ذلك الشر فذلك لَمّةُ الملك، وأنت السفينةُ إنْ انخرقتْ هلكتَ وهلك جميعُ من فيك. فعليك بعلمِ الشريعة فإنك لن تعلم حدود الله حتى تقومِ بها وتعرف من يقع فيها ممن قام بها، إلا أن تعلم عليم علم الشريعة، فتعيَّنَ عليك طلبُ علم الشريعة لإقامة حدود الله.

طهر نفسك من البخل والرزق مقسوم

الوصية رقم (٣٠) وعليك بالصدقة فإن الله قد ذكر المتصدقين والمتصدقات وهي: فرض، ونفل، فالفرض منها يسمى زكاة، والنفل منها يسمى تطوعاً، وبالفرض منها

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير، رواه البخاري رقم ٥/٩٤ في الشركة باب هل يقرع في القسمة، والترمذي رقم ١٧٤، في الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب. جا ٣/٥٩٦.

يزول عنك اسم البخل، وبصدقة التطوع منها تنال الدرجات العلى، وتتصف بصفة الكرم والجود والإيثار والسخاء وإياك والبخل، ثم إنه عليك في مالك حق زائد على الزكاة المفروضة، وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك بحيث إنك إذا لم تعطه من فضل مالك شيئاً هلك هو وعائلته - إن كانت له عائلة أو هو في نفسه - فيتعين عليك أن تواسيه من مالك: إما بالهبة، أو بالقرض فلا بد من العطاء، وذلك العطاء صدقة، حتى إني سمعت بعض علمائنا بأشبيلية يقول في حديث (هل علي غيرها؟) يعني في الزكاة المفروضة (قال: لا إلا أن تطوّع)[1] قال لي ذلك الفقيه: فيجب عليك، فاستحسنتُ ذلك منه رحمه الله. وإنما سمّى الله الانسانَ متصدقاً وسمى ذلك العطاء صدقةً فرضاً كان أو نفلاً - لأنه أعطى ذلك عن شدة وقهر لنفسه، فإنه في جبلّته وأصل نشأته خلقه الله هلوعاً إذا مسّه الشرُّ جزوعاً،! وإذا مسّه الخير منوعاً لكونه مجبولاً على البخل، فإن الله يقول فيه **﴿وإذا مسّه الخيرُ مَنوعاً﴾[2] فقال ﷺ في فضل الصدقة وزمانها (أن تصدّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ وتأمُل الحياة والغنى)[3] يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[4]** أي الناجون، لأن الإنسان إذا كان له مال ويأمُل الحياة فإنه يخاف أن يفتقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته لنوائب الزمان وأمله بطول حياته، فيؤديه ذلك إلى البخل بما عنده من المال، والإمساك عن

---

(١) الحديث: لم أجده وفي معناه كثير.

(٢) سورة المعارج - آية ٢١.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه والحديث هو: قيل لرسول الله ﷺ أي الصدقة خير قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح. تأمل الغنى وتخشى الفقر...) رواه البخاري ٥/٢٧٩ في الوصايا باب الصدقة عند الموت، ومسلم رقم ١٠٣٢ في الزكاة باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الشحيح الصحيح، وأبو داود رقم ٢٨٦٥ في الوصايا باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية، والنسائي ٦/٧-٣٣ في الوصايا باب الكراهية في تأخير الوصية جا ١١/٦٢٧.

(٤) سورة الحشر آية ٩ وسورة التغابن آية ١٦.

الصدقة والتوسعة على المحتاجين مما آتاه الله من الخير، فهو يكنزه، ولا ينفقه ولا يؤدي زكاته حتى يُكوى به جنبه وجبينه وظهره كما قال تعالى فيهم ﴿**يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتُكوى بها جباهُهم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنَزْتُم لأنفسكم فذُوقوا ما كنتم تكنِزون**﴾[1] إذا منع الحق الواجب عليه من الزكاة والقرض، فلهذا العطاء عن شدة سُمّيت صدقة، يقال: رمح صَدْقٌ أي صلب، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً في البخيل والمتصدق فقال ﷺ (مثلُ البخيل والمتصدِّق كمثلِ رجلين عليهما جنتان من حديد وقد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما[2] فجعلَ المتصدق كلّما تصدّق بصدقة انبسطت عليه حتى تُجُنّ بنانه وتعفوَ أثرهُ، وجعل البخيل كلما همّ بصدقةٍ قلصتْ وأخذت كلُّ حلْقةٍ مكانها فإياك والبخل فإنه يُرديك ويُوردك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة، ولا يجعلك تتكرم وتتصدق إلا استعمالُ العلم، فإنك إذا علمت أن رزقك لا يأكله ولا يقتات به ولا يحيا به غيرُك، ولو اجتمع أهلُ السموات والأرض على أن يحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا، وإذا علمت أنّ رزق غيرك فيما أنت مالكُه لا بدّ أن يصل إليه حتى يتغذى به ويحيا، وأنّ أهلَ السموات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه الذي هو في ملكك ما أطاقوا فادفع إليه ماله إذا خطر لك خاطرُ الصدقة تتصف بالكرم والثناء الجميل، وأنتَ ما أعطيتَه إلا ما هو له بحقٍ في نفس الأمر عند الله، وأنت محمودٌ فإذا علمت هذا هان عليك إخراجُ ما بيدك وأُلحقت بأهلِ الكرم وكتبت في المتصدقين، وإن أخرجت ذلك عن تردد ومكابدة وأتبعتَه نفسك ورأيتَ بذلك جن لك فضلاً على مَنْ أوصلتَه تلك الراحة، فإياك أن تجهل على أحد كما تحب أن لا يجهل عليك. وقد كان رسول الله ﷺ يقول في

---

(١) سورة التوبة ـ آية ٣٥.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه باب مثل المنفق والبخيل. عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح مسلم ٢/ ٧٠٨.

تعوّذاته (وأعوذ بك أن أجهَـلَ أو يُجْهَل عـليّ)[1] فمن حكم فيك بـالعلم فقد أنصفك.

مجاهدة النفس والهوى

الوصية رقم (٣١)

وعليك بالجهادِ الأكبر، وهو جهادُ هواك فإنه أكبر أعـدائك، وهـو أقربُ الأعداء إليك الذين يلونك، فإنه بـين جنبيك، والله يقـول سبحانـه ﴿يا أيّهـا الذين آمنوا قاتلوا الذينَ يَلُونكم من الكفارِ﴾[2]، ولا أكفر عندك من نفسك فإنها في كل نَفَسٍ تكفر نعمةَ الله عليها من بعد ما جاءتها، فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهادَ خَلَص لك الجهادُ الآخرُ في الأعـداء، الذي إنْ قُتِلت فيـه كنتَ من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون، فرحين بمـا آتاهُم الله من فضله ويَسْتَبْشِـرون بـالـذين لم يلحقـوا بهم من خَلفهم. وقــد علمت فضلَ المجاهد في سبيل الله في حال جهاده حتى يرجع إلى أهله، بما اكتسبـه من أجرٍ أو غنيمـةٍ أنه كـالصائم القـائِم القانِتِ بـآياتِ الله لا يَفـتر من صـلاةٍ ولا من صيامٍ حتى يرجعَ المجاهد، وقد علمت بالحديث الصحيح أنّ الصومَ لا مِثْـلَ له، وقد قـام الجهاد مقـامه ومقـام الصلاة، وثبت هـذا عن رسول الله ﷺ، وهذا في الجهاد الفرض الذي تعين ويعصي الانسان بتركه لا بدّ من ذلـك، ولا يزال العبد العالمُ الناصحُ نفسه المستبريء لدينه في جهادٍ أبـداً لأنه مجبـولٌ على خلافِ ما دعاه الحق إليه، فإنه بالأصالة متبعٌ هواه الذي هو بمنزلـة الإرادة في حق الحق، فيفعـلُ الحقُّ ما يـريده فـإننا كلنـا عبيد ولا تحجـيرَ عليه، ويـريد الانسانُ أن يفعل ما يهوى وعليه التحجير، فـما هو مـطلَقُ الإرادة. فهذا هـو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهداً أبداً، ولذلك طلب أصحابُ الهمم أنّ يلحقوا بدرجات العارفـين بالله حتى تكـون إرادتهم إرادةَ الحق، أي يريـدون

---

(١) الحديث: لم أجده في الصحيحين ولا في السنن ولا مجمع الزوائد.

(٢) سورة التوبة ـ آية ١٢٣.

جميعَ ما يريده الحق، وهـو: ما هم الخلقُ عليـه ، فيريـدونه من حيث إن الله أراد إيجاده، ويكرهون منه بكراهة الحق ما كرهـه الحقُّ ووصف نفسه بـأنه لا يرضاه، فهو يريـده ولا يرضـاه، ويريـده ويكرهـه في عين إرادتـه إن أراد أن يكـون مؤمناً، وإلا فقـد انسلخ من الإيمان نعـوذ بالله من ذلـك فـإنـه غـايـة الحرمان، وهذا هو الحق الممقوت، كما تقول في الغِيبة: إنها الحقُّ المنهي عنه.

رافع الدرجات ماحي الخطايا

الوصية رقم (٣٢) وعليك بإسبـاغ الوضـوء على المكـاره وذلك في زمـان البرد، واحـذر من الالتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحر فتسبغَ الوضوء لالتذاذك به في زمان الحـر، فتتخيل أنـك ممن أسبغ الـوضوء عبـادةً، وأنت ما أسبغتـه إلّا لوجـود الالتذاذ لما أعطاه الحالُ والزمان من شدة الحر، فإذا أسبغته في شدة البرد صار لك عادةً، وقال رسول الله ﷺ (الخير عادةٌ)[١] فـاصحبْ تلك النية في زمـان الحر، فإن غلبتك النفسُ على الاسبـاغ بما تجـده من اللذة المحسوسـةِ في ذلك فاعلم أنّ الالتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحر وإزالتـه، فانـوِ في ذلك دفـعَ الألم عن نفسك، فإنـك مأجـورٌ في دفع المضـار عنك، ألا تـرى قاتـلَ نفسِه كيف حرم الله عليه الجنة، فحقُّ النفسِ على صاحبها أعـظمُ من حق الغير عليـه، وكـذلك يؤجـر في دفع الألم عن نفسـه. وإن الله يرفـع باسبـاغ الوضـوء على المكاره درجة العبد ويمحو الله به الخطايا، قال ﷺ (ألا أنبِّئكم بما يَمْحو الله بـه الخطايا ويرفَعُ به الدرجات؟ إسباغُ الوضوء عـلى المكاره) فهـذا محو الخـطايا، فإنه تنظيفٌ وتطهير، ثم قال (وكثْرَة الخُطا إلى المساجد) فهذا رفعُ درجات فإنه سلوك في صمـود ومشي، ثم قال تمـامَ الحـديث وهـو (وانتـظارُ الصـلاةِ بعـد

---

(١) الحديث: رواه ابن ماجة والطبراني في الكبير وأبو نعيم وآخرون عن معاوية مرفوعاً والحديث: الخير عادة والشر لجاجة. كشف ١/٤٧٦.

الصلاة، فذلكُمُ الرِّباط. فذلكُمُ الرِّباطُ، فذلكُمُ الرِّباطُ)[1] والرباط: الملازمة من رَبَطت الشيء، وبالانتظار قد ألزم نفسَه فربط الصلاة بالصلاة المنتظرة بمراقبة دخول وقتها ليؤديها في وقتها وأيُّ لزوم أعظمُ من هذا؟ فإنه يومٌ واحد مقسم على خمس صلوات ما منها صلاة يؤديها فيفرغُ منها إلا وقد ألزم نفسه مراقبة دخول وقت الأخرى إلى أن يفرغ اليوم ويأتي يوم آخر فلا يزال كذلك، فما ثمّ زمان لا يكون فيه مراقباً لوقت أداء صلاة، لذلك أكده ﷺ بقوله ثلاث مرات. فانظر إلى علْمِ رسول الله ﷺ بالأمور حتى أنزل كلَّ عملٍ في الدنيا منزلته في الآخرة وعيّن حكمه وأعطاه حقه، فذكر وضوءاً ومشياً وانتظاراً، وذكر محواً ورفع درجة ورباطاً ثلاثاً لثلاث، هذا يدلك على شهوده مواضع الحِكم .فمن هنا وأمثاله قال عن نفسه (إنه أُوتي جوامِعَ الكَلِم)

حقوق المسلم

الوصية رقم (٣٣)

وعليك بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم، وساوِ بينهم كما سوّى الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل: هذا ذو سلطان وجاهٍ ومالٍ وكبير، وهذا صغيرٌ وفقير وحقير، ولا تخفر صغيراً[2] ولا كبيراً في ذمته، واجعل الإسلامَ كلَّه كالشخص الواحد، والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص، وكذلك هو الأمر فإن الإسلام ماله وجودٌ إلا بالمسلمين، كما أن الإنسان ماله وجودٌ إلا بأعضائه وجميعِ قواه الظاهرة والباطنة. وهذا الذي ذكرنا هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك (المسلمون تتكافؤ دماؤهم[3] ويسعى

(١) الحديث: أخرجه مسلم والموطأ والترمذي والنسائي، رواه مسلم رقم ٢٥١ في الطهارة باب فضل أسباغ الوضوء على المماره. والموطأ ١٦١/١ في قصر الصلاة باب انتظار الصلاة والمشي إليها، والترمذي رقم ٥١ في الطهارة باب ما جاء في اسباغ الوضوء. والنسائي ٨٩/١/٩٠ في الطهارة باب فضل اسباغ الوضوء جا ٤٢٠/٩.

(٢) أخفره: نقض عهده وغدر. كما في مختار الصحاح.

(٣) أي تتساوى في القصاص والديات. اهـ النهاية لابن الأثير.

بـذمتهم أدناهم، وهم يـدٌ واحدة عـلى من سواهم)[1] وقـال ﷺ (المسلمـون كـرجـلٍ واحـد إن اشتكى عينـه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسـه اشتكى كله)[2] ومع هذا التمثيل فأنزل كلٍ واحد منزلته، كما أنك تعامـل كلَّ عضـو منك بما يليق به وما خلق له، فتغضُّ بصرك عن أمر لا يعطيه السمع، وتفتح سمعـك لشيء لا يعطيـه البصر، وتصـرف يـدك في أمـر لا يكـون لـرجلك، وهكذا جميعُ قواك، فتنزل كلَّ عضو منك فيما خلق له كذلك. وإن اشترك المسلمون في الإسلام وساويت بينهم فأعط العـالم حقه من التعـظيم والأصغاء إلى ما يأتي بـه،وأعطِ الجاهـل حقه من تـذكيرك إيـاه وتنبيه عـلى طلبِ العلم والسعادة، وأعطِ الغافل حقه بأن توقظه من نومِ غفلته بالتذكر لما غفل عنـه مما هو عـالم به غـيرُ مستعمل ٍ علمـه فيه، وكـذلك الـطائع والمُخـالف، واعط السلطان حقه من السمع والطاعة فيما هو مباحٌ لك فعلُه وتركه. فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع، فيعود لأمر السلطان ونهيه ما كان مبـاحاً قبـل ذلك واجباً أو محظوراً با لحكم المشروع من الله فيقوله ﴿وأُولي الأمرِ منكم﴾[3] وأعطِ الصغير حقه من الرفق به والرحمة له والشفقة عليـه، وأعطِ الكبير حقـه من الشرف والتوقير، فإن من السنة رحمةَ الصغير وتوقير الكبير ومعرفة شـرفه. ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (ليس مِنّا منْ لم يرحَمْ صغيرنا ويعرفْ شـرفَ كبيرنا)[4] وفي حديثٍ (ويوقرْ كبيرنا) وعليك برحمة الخلق أجمعَ ومراعـاتهم

---

(١) الحديث: طرف حديث أخرجه أبو داود عن عمرو بن شعيب، ورواه أبو داود رقم ٤٥٣٠ في الديات باب أيقاد المسـلم بالكافر واسناده حسن. جا ١٠/ ٢٥٥.

(٢) الحديث: سبق تخريجه في ص٤٢ وهو حديث مثل المؤمنين في توادهم. ولكنـه في رواية مسلم مثل المسلمون كرجل واحـد ان اشتكى...) أخرجـه مسلم رقم ٢٥٨٦ في البر والصلة بـاب تراحم المؤمنين وتعاطفهم. جا ٦/ ٥٤٧.

(٣) سورة النساء آية ٥٩.

(٤) الحديث: أخرجه ابو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رواه أبو داود رقم ٤٩٤٣ في الأدب باب الرحمة، والترمـذي رقم ١٩٢١ في البر بـاب رقم ١٥، وقال التـرمذي هذا حديث حسن صحيح.

كائن ما كانوا، فانهم عبيدُ الله وخلقُ الله وإن عَصَوْا، وإنْ فضل بعضُهم بعضاً، فإنك إذا فعلت ذلك أُجِزْت فإنه ﷺ قد ذكر أنه (في كلِّ ذي كبدٍ رطبة أجر)(1) ألا ترى إلى الحديث الوارد في البَغِيِّ أن بغياً من بغايا بني اسرائيل (وهي الزانية) مرت على كلب قد خرج لسانه من العطش وهو على رأس بئر فلما نظرت إلى حاله نزعت خفها وملأته بالماء من البئر، وسقت الكلب، فشكر الله فعلها فغفر لها بكلب. وأخبرني الحسنُ الوجيهُ المدرِّس بملطية الفارسيُّ عن والي بخارى (وكان ظالماً مسرفاً على نفسه) فرأى كلباً أجرب في يوم شديد البرد وهو ينتفض من البرد؛ فأمر بعض شاكريّته فاحتمل الكلب الى بيته وجعله في موضع حار، وأطعمه وسقاه وَدَفِىءِ الكلب، فرأى في النوم أو سمع هاتفاً (الشك مني) يقول له: يا فلان كنتَ كلباً فوهبناك لكلب، فما لقي إلا أياماً يسيرة ومات، فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب. وأين المسلم من الكلب؟ فافعل الخير ولا تبالِ فيمن تفعله تكنْ أنت أهلاً له، ولتأتِ كل صفة محمودة من حيث ما هي مكارم الأخلاق تتحلى بها وكن محلاً لها لشرفها عند الله وثناء الحق عليها، فاطلب الفضائل لأعيانها، واجتنب الرذائل لأعيانها، واجعل الناس تبعاً لا تقف مع ذمّهم ولا حمدهم. إلا أنك تقدم الأولى فالأولى إن أردت أن تكون مع الحكماء المتأدبين بآداب الله التي شرّعها للمؤمنين على ألسنة الرسل عليهم السلام. واعلم ان المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشُدُّ بعضُه بعضاً، فما في العالم إلا مَنْ هو ساجد لله إلا بعض الثقلين من الجن والإنس فإنْ في الانسان الواحد منهم كثيراً ممن يسبح الله ويسجد لله، وفيه من لا يسجد لله وهو الذي حقّ عليه العذاب،

---

(1) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والموطأ وأبو داود وهو طرف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري ٣١/٥ في المزارعة باب فضل سقي الماء. ومسلم رقم ٢٢٤٤ في السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة واطعامها، والموطأ ٩٢٩/٢ في صفة النبي ﷺ باب جامع ما جاء في الطعام والشراب. وأبو داود رقم ٢٥٥٠ في الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم جا ٥٢٧/٤.

انظر في قوله ﴿يا أيُّها الذين آمنوا آمِنُوا﴾[1] فسماهم مؤمنين وأمرهم بالإيمان، فالأول: عمومُ الايمان فإن الله قال في حق قوم ﴿والـذين آمنوا بـالباطـل﴾[2] والثاني خصوص الإيمان وهو المأمور به، والأول إقرار منهم من غـير أن يقترن به تكليف بل ذلـك عن علم، وأيسره في بني آدم إيمـانُهم حين أشهـدهم على أنفسهم كما قال ﴿وإذْ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذُرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾[3] بالإيمان في دار الميثاق فخاطبهم بالمؤمنـين حين أيَّـهَ بهم، ثم أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى، وما تعرض للتوحيد المطلق، رحمة بهم فإنه القائل ﴿وما يُؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[4] الشركَ الخفي وقد ذكرناه[5] فلذلك قال لهم (آمنوا بالله) ولم يقل بتوحيـد الله، فمن آمن بوجـود الله فقد آمن، ومن آمن بتوحيده فما أشـرك، فالإيمـان إثباتٌ، والتـوحيد نفيُ شـريـك، ومن أسماء الله (المؤمن) وهـو يشـدُّ من المؤمن المخلوق، قـال ﷺ (يرحَمُ الله أخي لوطاً لقد كان يأوي الى ركنٍ شديد)[6] وهـو الاسم المؤمن، فالمؤمن يشد من المؤمن فافهم.

كن عمريا وانخدع بالله

الوصية رقم (٣٤)

كن عُمريّ الفعلِ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول (مَنْ خَدَعَنا في الله انخدَعْنا له) فاحذر يا أخي إذا رأيت أحداً يخدعُـك في الله وأنت تعلم

(١) سورة النساء آية ١٣٦.
(٢) سورة العنكبوت آية ٥٢.
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢.
(٤) سورة يوسف الآية ١٠٦.
(٥) في صحيفة ٣٥.
(٦) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وهو طرف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري في الأنبياء ٩٣/٦، باب قوله عز وجـل ونبئهم عن ضيف إبراهيم، ومسلم رقم ١٥١ في الإيمـان باب زيـادة طمـأنينـة القلب، والترمـذي ٣١١٥ بـاب من سـورة يـوسف، والحديث بكامله: قال ﷺ نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قـال: ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أوَلَمْ تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطاً لقد كان... الخ). جا ٥٤/٢.

بخداعه إياك، فمن كرم الأخلاق أن تنخدع له ولا توجده أنك عرفت خداعه، وتَبَالَهْ حتى يغلبَ على ظنه أنه قد أثّر فيك بخداعه، ولا يدري أنك تعلم بذلك، لأنك إذا قمت في مثل هذه الصفة فقد وفيت الأمر حقه، فإنك ما عاملت إلا الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم، ألا تراه لو كان صادقاً غيرَ مخادع لوجب عليك ان تعامله بما ظهر لك منه، وهو ما يَسْعد إلا بصدقه، كما أنه يشقى بخداعه ونفاقه، فإن المخادع منافق فلا تفضحه في خداعه وتجاهلْ له وانصبغ باللون الذي أراده منك أن تنصبغ له به، وادعُ له وارحمه عسى الله أن ينفعه بك ويجيبَ فيه صالحَ دعائك، فإنك إذا فعلت هذا كنت، مؤمناً حقاً، فإن المؤمن غِرٌّ[1] كريم، لأن خُلُق الإيمان يعطي المعاملة بالظاهر، والمنافق خِبٌّ[2] لئيم أي لئيم على نفسه حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها، كُنْ رداءً، وقميصاً لأخيك المؤمن، وحُطْه من ورائه، واحفظه في نفسه وعرضه وأهله وولده، فإنك أخوه بِنَصّ الكتاب العزيز، واجعله مرآةً ترى فيها نفسك، فكما تزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرآة في وجهك كذلك فلْتُزِل عن أخيك المؤمن كل أذى يتأذى به في نفسه فإنْ نفس الشيء وجهُه وحقيقته.

حق الجوار وقصة الجراد

الوصية رقم (٣٥)

واحفظ حق الجار والجوار، وقدّم الأقرب داراً إليك فالأقرب، وتفقد جيرانك بما أنعم الله به عليك فإنك مسؤول عنهم، وادفع عنهم ما يتضررون به كان الجيران ما كانوا، وما سُميت جاراً له وسمي جاراً لك إلا لميلك إليه بالإحسان ودفعِ الضرر، وميله إليك بالإحسان ودفعِ الضرر، مشتقٌّ من جارَ إذا مالَ، فإن الجور الميلُ فمن جعله من الجور الذي هو الميل إلى الباطل

(١) الغِر (بالكسر): هو غير المجرب. اهـ.

(٢) الخب: (بالفتح والكسر) الرجل الخداع. اهـ.

والظلم في العرف فهو كمن يسمي اللديغَ سليماً في النقيض، وفي هذا تغليبُ حق الجوار كان الجار ما كان، كأنه يقول: وإن كان الجار من أهـل الجور أي الميل إلى الباطل بشرك أو كفرٍ فلا يمنعـك ذلك منـه عن مراعـاة حقه، فكيف بالمؤمن؟ فحق الجار إنما هو على الجار. وأعجب ما رويت في ذلـك عن بعض شيوخنا فذكر من مناقب بعض الأعراب أن جراداً نزل بفنـاء بيته، فخـرجتِ الأعـراب إليه بـالعدة ليقتلوه ويـأكلوه، وصـاحب البيت مـا عنـده خبـر بمـا يريدون، فخرج إليهم من خبائه فسألهم: ما تبتغون؟ فقـالوا لـه: نبتغي قتلَ جارك (يريدون الجراد) فقال لهم: بعد أن سميتموه جاري فوالله لا أترك لكم سبيلاً إليه وجرّد سيفه يذب عنه مراعاةً لحق الجوار، فهذا كما سئل مـالك بن أنس عن أكل خنزير البحر فقال: هو حـرام، فقيل لـه إنه سمـكٌ من حيوان البحرِ الذي أحلّ الله أكله لنا، فقال لهم مالـك: أنتم سميتموه خنـزيراً، مـا قلتم: ما تقول في سمـك البحر؟ فاهجر ما نهاك الله عـنه وقـد نهاك عن أذى الجار فاهجر أذاه (ادفع بـالتي هي أحسن فإذا الـذي بينكَ وبينـه عداوةٌ كـأنه وليٌّ حميم ومـا يُلقّاهـا إلا الذين صبـروا، ومـا يلقـاهـا إلاّ ذو حظ عـظيم)[1] وفيها. روينا من الأخبار في سبب نزول هـذه الآية أن أعـرابياً جـاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء الأعراب، وقد سمع أن الله قـد أنزل عليـه قرآناً عجز عن معارضته فصحاءُ العرب، فقال له: يا رسول الله هل فيها أنزل عليـك ربُّك مثـلُ مـا قلتُـه؟ فقـال لـه رسـول الله ﷺ: (ومـا قلتَ)؟ فقـال الأعرابي: قلت:

وَحَيِّ ذوي الأضْغـان تسبي عقولَهم ... تحيتـك القُربى فقـد يدْفَـعُ النَّغَلْ[2]
وإنْ جَهَروا بالقـولِ فاعْفُ تكرمـاً ... وإن سـتروا عنك المـلامة لم تُبَـلْ[3]

---

(١) سورة فصلت آية ٣٤، ٣٥.
(٢) النغل: الإفساد بين القوم ـ النميمة. اهـ.
(٣) أي لم تبال لهم.

فـإنّ الـذي يُؤذيـك منـه استِمـاعُـه وإنّ الـذي قد قيـل خلْفـك لم يُقَـلْ

فأنزل الله تعالى ﴿ولا تستوي الحسنـةُ ولا السيئةُ ادْفَـعْ بالتي هي أحسن فإذا الذي بينكَ وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم وما يُلقّاها إلاّ الـذين صبروا وَمَـا يُلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم﴾[1] فقال الأعـرابي: هذا والله هـو السحر الحـلالُ، والله ما تخليتُ ولا كان في علمي أنه يُراد أو يؤتى بأحسنَ مما قلتُه، أشهدُ أنك رسول الله، والله ما خرج هذا إلاّ من ذي إلٍّ[2]. فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن، أتُرى يا وليّ أن يكون هذا الأعرابي فيما وصف به نفسه بأكرَمَ من الله في هـذا الخلق في تحمـلِ الأذى، وإظهـار البِشْر، والتغـاضي عن العقـوبـة، والعفو مع القدرة، وتهوين مـا يقبح عـلى النفس، والتغافـل عمن أراد التستر عنك بما يشينه لو ظهـر به، بـل والله الله أكرم منـه وأكثر تجـاوزاً وعفواً وحلماً وأصدق قيلاً، فإن هذا القول من العربي وإن كان حسناً فما يُدرى عنـد وقوع الفعل ما يكون منه، والحق صادق القول بالدليل العقلي فـما يأمـر عكرُمـة إلا وهي صفته التي يعامل به عباده، ولا ينهى عن صفة مـذمومـة لئيمة إلا وهـو أنزه عنها لا إله إلا وهو العزيز الحكيم الغفور الرحيم.

نصرة المسلم وتكريمه

الوصية رقم (٣٦) انْصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً، فنصرةُ الـظالم من حيث ما هـو مظلوم فـإن الشيطان ظلمه بما وسوس إليه به في صدره من ظلم غيره، فتنصره بأن تعينـه على دفع ما ألقى الشيطان عنـده من تزيينـه ظلم الغير حتى تسمى بـظالم، فما نصرته إلا لكونه مظلوماً لم وسوس في صدره وحـال بيـنه وبين الهدى الـذي هو له ملك، فابتاعه منه الشيطانُ بالضلالة فـاشترى الضـلالة بـالهدى فسمي

---

(١) سورة فصلت آية ٣٤، ٣٥.

(٢) الإل: الربوبية. يعني: من صاحب ربوبية.

ظالماً فإذا أبنْتَ له أنت بنصحك وأفتيته أن هـذا البيع مفسـوخ لا يجوز شـرعاً فلا ينعقد، وأنّ صفقته خاسرة وتجارته بائـرة، فقد نصـرته مـع كونـه ظالمـاً، فـرجع عن ظلمـه وتـاب وذلـك هـو فسـخ البيـع، يقـول الله في مثـل هؤلاء ﴿أولئـك الذين اشتـروا الضلالـةَ بـالهـدى فـما ربحتْ تجارتهم ومـا كـانـوا مهتدين﴾[1] فإياك أن تخذُل من استنصر بك وقد قال الله تعالى مع غناه عنك ﴿إنْ تنصروا الله يَنْصُرْكُم﴾[2] فطلب منكم أن تنصروه وما هو إلا هـذا، ولا تظلمه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ومن كان سميُه في ظلمة لا يدري متى يقع في مهواةٍ وما يؤذيه في طريقه من هوامّ يكون في أذاهـا هلاكـه، وأوصيك أن لا تحقر أحداً من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه:

لا تحـقِــرنّ عـبــادَ الله إنّ لهـم   قـدراً ولـو جُمِعَتْ لـك المقـالاتُ

فلا يكونُ الله يظهر العناية بإيجادٍ من أوجـده من عدم وتحقـره أنت، فإن في ذلك تسفيهَ من أوجده واحتقاره، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، فهـذا من أكبر الكبائر فالكلُّ نِعَم الله يتغذى بها عباد الله كـانوا مـا كانـوا، قال ﷺ (لاتحقِرنّ إحداكُنّ ما تُهديه لجارتها ولو فِرْسن شاة)[3] فـإن الاحتقار جهـل محض، ولا تكن لعاناً ولا سباباً ولا سخاباً، فإن لعن المؤمن مثلُ قتله سـواء. لقي عيسى عليه السلام خنزيراً فقال له: انج بسلام، فقيل له في ذلك فقال ﷺ ما أريد أن أعوّد لساني إلا قولَ الخير، كن حديثاً حسناً وفي ذلك قلت:

---

(١) سورة البقرة آية ١٦.

(٢) سورة محمد آية ٧.

(٣) الحديث: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الترمذي رقم ٢١٣١ في الـولاء والهبـة باب حث النبي ﷺ عـلى الهدية، وفي سنده أبـو معشر واسمه نجيـح بن عبـدالـرحمن السعدي، وهو ضعيف. ولكن للحديث شواهـد كثيرة بمعنـاه يقوى بهـا، والشطر الأخـير من الحديث «لا تحقر جارة لجارتها» صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما. جا ٦/٦٤١.

(٤) الحديث: لم أجده.

إنما الناسُ حديثٌ كلُّهُم	فلتكنْ خيرَ حديثٍ يُسمعُ
وإذا شاكَتْكَ مِنْهُم شوكةٌ	فلْتَكُن أقوى مِجَنٍّ يدفعُ
وإذا ما كنتَ فيهم هكذا	أنتَ والله إمامٌ ينفَعُ
إنما الشمعةُ تؤذي نفسها	وهي للناظر نورٌ يسطَعُ
إنما اللؤمُ الذي نَعْرِفه	نعمةٌ في يدِ شخص يَمْنَعُ

الكبر والخيلاء

الوصية رقم (٣٧) إياك والخيلاءَ وارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك، روي عن رسل الله ﷺ أنه قال (إزْرَةُ المؤمن إلى نصفِ ساقه)[١] أو كما قال، ولعلي ابن أبي طالب القيرواني في ذلك:

تقصيرُك الثوب حقاً أنْقى وأبْقى وأتْقى

فأما قوله (أنقى) فلارتفاعه عن القاذورات والنجاسات التي تكون في الطرق، وأما قوله (أبقى) فإن الثوب إذا طال حكّ في الأرض بالمشي فيسارع إليه التقطيع فيقِلُّ عمر الثوب فإنه يخلُق بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه، وأما قوله (أتقى) فإنه مشروع - أعني تقصيرَ الثوب - إلى نصف الساق، والمتقي من جعل الشرع له وقايةً وجنة يتقي بها ما يؤذيه من شياطين الإنس والجن، وإن الله لا ينظر لمن يجرُّ ثوبه خيلاء، وإياك أن تسأل الناس تكثراً وعندك ما يغنيك في حال سؤالك، فإن المسألة خُدُوش أو خُموش في وجههم يوم القيامة، فإذا اضطررت ولم تقدر على شغل فاسأل قُوتَك لا تتعداه إذا لم يرزقك الله يقيناً وثقة به، وكفارة ذلك عدم تكثرك واقتصارك في المسألة على بُلْغَة وقتك، فإن السائل تكثراً يأتي يومَ القيامة ومسألته خُدوش وخموش

---

(١) الحديث: أخرجه الموطأ وأبو داود عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه رحمه الله، رواه مالك في الموطأ ٢/٩١٤ في اللباس باب ما جاء في اسبال الرجل ثوبه أبو داود رقم ٤٠٩٣ في اللباس باب في قدر موضع الإزار واسناده صحيح. جا ١٠/٦٣٤.

وقروح في وجهه، ومسألة المؤمن حَرَق النار[1] ومعنى ذلك أن المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقاً مثله ودفع ضرورتـه مثلَ حَـرَق النار في قلبـه من الحياء في ذلـك حيث لم يُنزل مسألته ودفع ضرورته بربه الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي يُسخّر له هـذا المسؤول منه حتى يعـطيه. ومن وجـد عند ذلـك تعززا وتكبـرا حيث التجأ إلى مخلوق مثله فذلك من شرف همته من حيث لا يشعر، وشرف الهمة أحسن من دناءة الهمة فإن العبد يتعزز على عبد مثله كما أن فخره وشرفه في فقره إلى سيده وسؤاله في دفع ضروراته ومُلماته وقضاء مهماته.

حب أنصار دين الله

الوصية رقم (٣٨) إذا رأيت أنصارياً أو أنصاريـةً ـ وإن كـان عـدواً لـك ـ فلتُحِبَّـه الحب الشديد، واحذر أن تبغضه فتخـرج من الإيمان، فإن النبي ﷺ لقي امرأة من الأنصار في طريقه فقال لها (إنكم لَمِن أحبِّ خَلْقِ الله إليّ[2]) وثبت عن رسول الله ﷺ أنـه قال (آيـةُ الإيمان حُبُّ الأنصـار، وآيةُ النفـاق بغضُ الأنصـار)[3] واعلم أن كل من نصر دين الله في أي زمان كان فهو من الأنصار وهو داخـل في حكم هـذا الحديث، واعلم أن الأنصـار لدين الله رجـلان: الواحـد نَصَرَ دينَ الله ابتداءً من نفسه من غير أن يعرف وجوب ذلك عليـه، ورجل عـرف وجوب نصرة الدين عليه بقـوله ﴿يـا أيُّها الـذين آمنوا كـونوا أنصـارَ الله﴾[4]

---

(١) حرق النار: لهبها.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم رقم ٢٥٠٨ في فضائل الصحابة باب من فضـائل الأنصـار رضي الله عنهم. والبخاري ٨٧/٧ في فضائـل أصحاب النبي ﷺ بـاب قول النبي ﷺ لـلأنصار: أنتم أحب الناس إلي» جا ١٦٣/٩.

(٣) الحـديث: أخرجـه البخاري ومسلم والنسائي عن أنس بن مالـك، رواه البخاري ٧٨/٧ في فضـائـل أصحـاب النبي ﷺ بـاب حب الأصنـار. ومسلم رقم ٧٤ في الإيمـان بـاب عـلامـة الإيمـان، والترمـذي رقم ٣٩٠٣ في المناقب بـاب مناقب الأنصار.وقريش. واسنـاده صحيح، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. جا ١٦١/٩.

(٤) سورة الصف آية ١٤.

فأمرهم بنصرة الله فأدى واجباً في نصرته فله أجر النصرة وأجرُ أداء الواجب بما نواه من امتثال أمر الله في ذلك وتعينّ عليه، ولو كفاه غيره مؤنة ذلك، فلا تتأخر عن أمر الله ونصرة الله، قد تكون بما يُعطى من العلم المُظهر للحق الدافع للباطل فهو جهاد معنوي محسوس، فكونه معنوياً لأن الباطن يقبله فإن العلم متعلقهُ النفس، وأما كونه محسوساً فما يتعلق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة فيحصل للسامع أو الناظر بطريق السمع من المتكلم، أو بطريق النظر من الكتابة، وجهادُ العدو نصرةٌ محسوسة ما هي معنوية فإنه ما نال العدو من المقاتل له شيئاً في الباطن يرده عن اعتقاده كما ناله من العالم إذا علّمه وأصغى إليه ووفقه الله للقبول وفتح عين فهمه لما يُورده عليه العالم في تعليمه، وهي أعظم نصرةٍ وهو أعظم أنصاريّ لله، يقول النبي ﷺ (لأن يهدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعَتْ عليه الشمس)[1] وقد طلعتِ الشمس على كل عالم عامل بخير، فأنت خيرٌ منه إذا نصرتَ بتعلم العلم دينَ الله في نفس هذا المخاطب.

من أخلاق المؤمن وصدق الحديث

الوصية رقم (٣٩)

وعليك بصدق الحديث وأداء الأمانة وصدقِ الوعد، واجتنبِ الكذب والخيانة وخُلفَ الوعد، وإذا خاصمتَ أحداً فلا تفجُر عليه، فإن علامة المنافق وآيته: إذا حدّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وإذا خاصَمَ فَجَر. وأعظم الخيانة أن تحدث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه وأنت على غير ذلك، وإن الإنسان إذا كَذَب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به، وكذلك الشيطانُ إذا أمرَ ابنَ آدَمَ بالمعصية فعصى تبرأ

---

(١) الحديث: أخرجه ابو داود عن سهل بن سعد الساعدي. وورد في الحديث برواية أبو داود رقم ٣٦٦٠ في العلم باب فضل نشر العلم، واسناده صحيح وهو جزء من حديث طويل رواه البخاري ٥٨/٧ في المغازي. جا ١٣/٨.

منه الشيطان خوفاً من الله تعالى، فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنوية واستنشاقها فإن له حُجُباً على أنفك تمنعك من إدراك نتْن ذلك، فلا يكن الشيطان مع كفره أدركَ للأمور وأخوفَ من الله منك، واعتبر في تَبَرئه من ذلك فإنها خميرة من الله في قلبه إلى زمان ما يظهر حكمها فيه، مع كونه مجبولاً على الإغواء كما هو مجبول على التبري والخوف من الله أخبر الله عنه أنه يقول للإنسان: اكفُر فإذا كفر يقول الشيطان إني بريء منك إني أخافُ الله ربَّ العالمين، فما أُخِذ الشيطانُ قط بعلمه لشرف عمله، وإنما يؤخذ لصدقِ الحق فيما قال فيما شرّعه فيمن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزرُ من عمل بها، فإن الشيطان يوم القيامة يحمل أثقالَ غيره، فإنه في كل إغواء يتوب عقيبه، ثم يشرع في إغواء آخر، فيؤخذ بعمل غيره لأنه من وسوسته، والإنسان الذي لا يتوب إذا سنّ سنة سيئة يحمل ثقلها وأثقالَ من عمل بها فيكونُ الشيطان أسعدَ حالاً منه بكثير. وإياك أن تخْلف وعدك ولتُخلف إيعادك، ولكن سَمِّ إخلاف إيعادك تجاوزاً حتى لا تتسمى بأنك مخلفُ ما أوعدت به من الشر، وهذه شبهة المعتزلة وغاب عنها قوله تعالى ﴿**وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومه**﴾[1] ومما تواطأت عليه الأعراب إذا أوعدتْ أو وعدَتْ بالشر التجاوزُ عنه، وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق فعاملهم الحق بما تواطؤا عليه، فزَلت هنا المعتزلة زلةً عظيمة أوقعها في ذلك استحالةُ الكذب على الله تعالى في خبره، وما علمتْ أنّ مثل هذا لا يسمى كذباً في العرف الذي نزل به الشرع، فحجبهم دليل عقلي عن علمٍ وضعٍ حكمي. وهذا من قصورِ بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها، ولا ينبغي لها ذلك ولتنظرْ إلى المقاصد الشرعية في الخطاب، ومن خاطب، وبأي لسان خاطب، وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الأمة المخصوصة. يقول بعضُ الأعراب في كرم خُلُقه:

(١) سورة إبراهيم ـ آية ٤.

وإني إذا أوعَــدْتُــه أوْ وَعَــدْتُــه   لَمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ مَــوْعِـدي

لكن لا ينبغي أن يقال له: مُخْلف بل ينبغي أن يقال: إنـه عفوٌ متجـاوزٌ عن عبده.

زوال النعم

الوصية رقم (٤٠) وعليك بالبَذَاذة فإنها من الإيمان وهي: عدم الترفه في الـدنيا، وقـد ورد قـوله (اخْشَـوْشِنُوا) وهي من صفـات الحاج وصفـة أهل يـوم القيامـة، فإنهم شعث غبرٌ حفاةٌ فإن ذلك كله أنفى للكِبَر وأبعدُ من العجب والزهو والخُيـلاء والصلف، وهي أمور ذمّها الشرع وكرِهَها وهي مذمومة في العرف عند الناس وعند الله، ولذلك جعل النبي ﷺ البذاذة من الإيمان، وألحقهـا بشُعَبِه، فـإن النبي ﷺ يقـول (الإيمانُ بضـعٌ وسبعـون شعبـةً، أعـلاهـا: لا إلـه إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق)[1] ولا شك أن الزهو والعُجب والكبـر أذىً في طريق سعادة المؤمن، ولا يُماط هذ الأذى إلا بالبَذَاذة، فلهذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان.

الحياء من الله

الوصية رقم (٤١) وعليك بالحياء فإنّ الله حييٌّ، والحياء من الإيمان، والحياءُ خيرٌ كله، وإن الله يستحيي من ذي الشيبة يوم القيامة، فإن العبد إذا اتّصف بـالحياء من الله تركَ كل ما لا يرضي الله وما يشينه عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ والحياءُ

---

(١) الحديث: أخرجه الستة إلا الموطأ عن ابي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في الإيمان باب أمور الإيمان ١/ ٤٨ بلفظ الإيمان بضع وستون شعبة، ومسلم فيه باب بيان عدد شعب الإيمان رقم ٣٥، وأبو داود في السنة باب في رد الأرجاء رقم ٤٦٧٦، والتـرمذي في الايمـان والنسائي فيه باب ذكر شعب الإيمان ٨/ ١١٠ وأخرجه ابن ماجة في المقدمة رقم ٥٧ بلفظ الإيمـان بضع وستون او سبعون باباً. جا ١/ ٢٣٥.

معناه الترك قال الله تعالى ﴿إن الله لا يَسْتَحْيي﴾ يقول إن الله لا يترك ﴿أنْ يضرِبَ مثلاً ما بَعُوضَةً فما فوقها﴾[1] في الصغر لقول مَنْ ضلَّ بهذا المثل من المشركين الذين تكلموا فيه فإنَّ الله تعالى قال (يضلُّ به) أي بهذا المثل ﴿كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين﴾[2] فإنهم حاروا فيه - والضلالة الحيرة - ورأوا عزةَ الله وجلاله وكبرياءه وحقارةَ البعوضة في المخلوقات فاستعظموا جلال الله أن ينزِل في ضرب المثل لعباده هذا النزول، وذلك لجهلهم بالأمور فإنه لا فرقَ بين أعظم المخلوقات - وهو العرش المحيط - وبين الذرة في الخلق والبعوضة وإخراجها من العدم إلى الوجود، فما هي حقيرة إلاّ من صِغَر جسمها إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير، بل الحكمة في البعوضة أتمُّ، والقدرة أنفذ، فإن البعوضة على صغرها خلقها الله على صورة الفيل على عظمته، فخلقُ البعوضة أعظمُ في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر والاعتبار، ولهذا لم يصف الله نفسه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحق. ثم إن مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة فإن الحياء صفة يسْري نفعها بمن قامت به في أكثر الأشياء ولهذا قال (الحياء خيرٌ كله) والحياءُ لا يأتي إلاّ بخير وهو: أن لا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عرف منه بأنه فَعَله، وقد علم المؤمن أن الله يعلم ويرى كلما يتحرك فيه العبد، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك ولإيمانه بأنه لا بدّ أن يقرره يوم القيامة على ما عمله فيُخْجِله فيؤديه ذلك إلى ترك ما يخجل فيه وذلك هو الحياء، فمن هنا لا يأتي إلا بخير، والله أحقُّ أن يستحيا منه.

---

(١) سورة البقرة - آية ٢٦.

(٢) سورة البقرة - آية ٢٦.

أداء النصيحة والتحقيق فيها

الوصية رقم (٤٢)

وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنها الدين، خرّج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال (الدين النَّصيحة) قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم)[1]. واعلم أن النصاح: الخيطُ، والمنصحة: الإبرة، والناصح: الخائط، والخائط هو الذي يؤلف أجزاء الثوب حتى يصير قميصاً أو ما كان فينتفع به بتأليفه إياه، وما ألّفه إلا بنصحه، والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله، وبين الله، وبين خلقه وهو قوله (النصيحة لله) وفيه تنبيه في الشفاعة عند الله إذا رأى العبدُ الناصح أن الله يريد مؤاخذة العبد على جريمته فيقول لله: يا رب إنك ندبت إلى العفو عبادك، وجعلتَ ذلك من مكارم الأخلاق، وإنه أولى من جزاء المسيء بما يسوءه وذكرتَ للعبد أن أجر العافين عن الناس فيما أساؤا إليهم فيهن مما توجهتْ عليهم به الحقوق على الله، فأنت أحق بهذه الصفة لما أنت عليه من الجود والكرم والامتنان ولا مُكره لك، فأنت أهل العفو والتكرم بالتجاوز عن هذا العبد المسيء المتعدي حدودَك عن إساءته وإسبالِ ذيل الكرم عليه. وانصافُ الحق بالجود والعفوِ عن الجاني أعظمُ من المؤاخذة على الاساءة، فإن المؤاخذة والعقوبة جزاء، وما في الجزاء على الشر فضل، إلا إذا كان في الدنيا لما في إقامة الحدود من دفع المضرة العامة، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس مثل قوله عزّ وجل ﴿**ولَكُم في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب**﴾[2] وأما في الآخرة فما ثمّ ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا، فكان العبد إذا قال هذا يوم القيامة، أو حيث

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري، رواه مسلم رقم ٥٥ في الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة، وأبو داود. رقم ٤٩٤٤ في الأدب باب النصيحة، والنسائي ١٥٦/٧ في البيعة باب النصيحة للإمام. جا ١١/ ٥٥٧.

(٢) سورة البقرة ـ آية ١٧٩.

قاله لله بطريق الشفاعة كأنه ناصح للمقام الإلهي في أن يثني عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطول والفضل، فإنّ في ذلك عينَ الامتنان، فهذا معنى قوله (الدينُ النصيحة لله) أي في حق الله فإنه يسعى في أن يثني على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسناً، ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت أنه لا شيء أحبُّ إلى الله من أن يمدح، فكما أنه مُدح في الدنيا بما نصب من الحدود التي درأ بها المضارَّ عن عباده إذا أقامها أئمة المسلمين على المسيئين، كذلك يُمدح بالعفو والتجاوز في الدار الآخرة لأنه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نُصبت من أجلها إقامةُ الحدود التي لا تمكن الشفاعة فيها، كحدّ السارق والزاني، وحقوقِ الله على الاطلاق، وأما ما هو حقٌّ للعبد فإن الله قد ندب فيه إلى العفو والتجاوز كالعفو من ولي الدم، أو قبول الديةِ فإن المظلوم هو المقتول، وقد مات فالطالب قد تقدم كالشاكي الذي يمشي إلى السلطان رافعاً على من ظلمه، فجعل الدية كالإحسان لولي الدم لعل ذلك الشاكيَ إذا بلغه إحسانُه لذوي رَحِمِه يسكت عنه ولا يطالبه عند الله الحكم العدل بشيء من دمه.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ففي زمانه إذا رأى منه الصاحبُ أمراً قد قرّر خلا فه ـ والانسانُ صاحبُ غفلات ـ فينبه الصاحبُ رسولَ الله ﷺ على ذلك حتى يرى: هل فَعَله بالقصد فيكونُ حكماً مشروعاً، أو فعله عن نسيان فيرجع عنه، فهذا من النصح لرسول الله ﷺ، مثُل سهوه في الصلاة فالواجب عليه في الرباعية أن يصليها أربعاً فسلّم من اثنتين فقيل له في ذلك، فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ، فرجع وأتمّ صلاتَه وسجد سجدتي السهو. وكان ما قد رُوي في ذلك وأمثالِ هذا، ولهذا أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يُوحَ إليه فيه، فإذا شاورهم تعينّ عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه على قدْر علمهم وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنه مصلحة فينصحونه في ذلك، كنزوله يوم بدر على غير ماء فنصحوه وأمروه أن يكون

الماء في حيِّزه ﷺ ففعل ونصحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتل أُسارى بدر حين أشار بذلك، وأما بعد رسول الله ﷺ فلم تعق له نصيحة، ولكن إن كانت هذه اللاّم لامَ الأجلية بقيتِ النصيحة. فهذا قد بينا في نصيحة رسول الله ﷺ أن المشير الناصح قد جمع بين حديث رسول الله ﷺ وبين الرأي الذي فيه المصلحة، كما يجمع الناصحُ الذي هو الخائط بالخياطة بين قطعة الكم والبدن في الثوب.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهم ولاة الأمور منا القائمون بمصالح عباده، والحكامُ وأهلُ الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمة المسلمين أيضاً، فإن كان الحاكم عالماً كان، وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سألَ من يعلم عن الحكم فيها فيتعينّ على المفتي أن ينصح ويفتيه بما يراه أنه حق عنده ويذكر له دليله عى ما أفتاه به فيخلصه عند الله، فهذه هي النصيحة لأئمة المسلمين. ولما لم تُفرض العصمة لأئمة المسلمين، وعُلم أنهم قد يخطئون ويتبعون أهواءهم في عباد الله تعينّ على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمة المسلمين ويردوهم عن اتباع أهوائهم في الناس فيؤلفون بينهم وبين ما هو الدين عليه. فمثل هذا هو النصح لائمة المسلمين فيعود على الناس نفع ذلك.

وأما النصيحة لعامتهم فمعلومة وهي أن يشير عليهم بما لهم فيه المصلحةُ التي لا تضرهم في دينهم ولا دنياهم، فإن كان ولا بد من ضرر يقوم من ذلك إما في الدين أوالدنيا فيرجّحون في النصيحة ضررَ الدنيا على ضرر الدين فيشيرون عليهم بما يسلم فيه دينهم وأن أضرّ بدنياهم، ومهما قدّروا على دفع الضرر في الدين والدنيا جميعاً بوجهٍ من الوجوه وعرفوه تعين عليهم في الدنيا أن ينصحوه في ذلك ويبيّنوه، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفقه الله إليه، والذي أقول به: إن النصيحة تعُمّ إذ هي عين الدين، وهي صفة

الناصح فتسري منفعتها في جميع العالم كله من الناصح الـذي يستبرىء لـدينه ويطلب معاليَ الأمور فيرى حيواناً قد أضرّ به العطشُ وهو يـطلب الماء، وقـد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء فيتعين عليه أن يردّه الى طـريق الماء ويسقيَـه إن قدَر على ذلك، فهذا من النصيحة الدينية، ! وكذلك لو رأى من ليس على ملّة الإسلام يفعل فعلاً من سفساف الأخلاق تعينّ على الناصـح أن يرده عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق، وإن لم يقدر عليه تعينّ عليه أن يبين لـه عيبَ ذلك فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخصُ بمـاله في ذلـك من الثناء الحسن، وينتفـع بتلك النصيحة من انـدفـع عنـه ضـرر هـذا الـذي أراد أن يضره، وإن لم يكن مسلماً ذلك المدفوع عنه. فيتعين على صاحب الدين نصح عباد الله مطلقاً، ولهذا يتعين على السلطان أن يدعو عدوه الكافـر إلى الإسلام قبل قتاله فإن أجـاب فبها، وإلّا دعـاه إلى الجزيـة إن كان من أهـل الكتاب. فـإن أجاب، وإلّا دعـاه إلى الصلح بما شـرط عليه إن طلب العـدو منه ذلـك إبقاءً على المسلمين إن كانت المنفعـةُ للمسلمين في ذلـك، فإن أبـوْا إلا القتالَ قـاتَلَهم وأمر المسلمـين بقتالهم عـلى أن تكون كلمـةُ الله هي العليا خـاصـةً، وكلمة الذين كفـروا هي السفلى، إلا أنـه من التزم النصـحَ قلَّ أوليـاؤه، فإن الغالبَ على الناس اتباعُ الأهواء، ولذلك يقول رسول الله ﷺ (ما تَـرَكَ الحقُّ لِعُمَرَ مِنْ صديق)[1] وكذلك قال أُويس القَرَني (وإنَّ قـولك الحقَّ لم يتـركْ لك صديقاً) ولنا في ذلك:

لمّـا التـزمتُ النصـحَ والتحقيقـا   لم يتـرُكا لي في الـوجودِ صـديقـا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير فإنه يحتاج أولاً إلى علم الشريعة لأنه العلم

---

(١) الحديث: قال النجم هـذا غير معـروف في كتب الحديث في حق عمـر لا عنه ولا عن غيـره، وإنما روى ابن سعد في طبقاته عن ابي ذر قال: مازال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ما ترك الحق لي صديقاً، نعم تقدم في الحاء المهملة عن ابن عبد البر معناه في حق عمر رضي الله عنه. كشف ٢/٢٣٩.

العام الذي يعمُّ جميع أحوال النـاس، وعلمِ زمانـه ومكانـه وما تمّ إلا الحـالُ والزمان والمكان، وبقي للناصح علم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور، فيكون ما يُصلح الزمـان يفسد الحـال أو المكان، وكـذلك لكـل واحد منهـا فينظر في الترجيح فيفعل بحسب ما يترجح عنده، وذلك على قدْر إيمـانه، مثـال ذلك: أن يعلم أن الزمان قد أعطى بحـاله في أمـرين هما صـالحان في حق شخص، وضـاق الزمـان عن فعلهما معـاً فيعدل الى أولاهما فيشـيرُ به عـلى المستشـير، وكذلك إذا عرف من حال شخص المخالفة واللجاج وأنه إذا دلّه على أمـر فيه مصلحة يفعل بخـلافه فمن النصيحـة أنه لا ينصحـه بل يشـير عليه بخـلاف ذلك إذا علم أن الأمر فيه محصور: بين أن يفعل ذلـك، أو هذا الـذي فيه المصلحة، وشأنه المخالفـة واللجاج، فيشـير عليه بفعـل ما لا ينبغي فيخـالفه فيفعل ما ينبغي، والأولى عندي تركه. ولقد جرى لي مثل هذا مع أشخـاص أظهرنا لهم ان في فعلهم ذلـك الخيرَ الـذي نريـده منهم نكايتنـا وهم يريـدون نكايتنا، فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك ولهم في فعله الخير العظيم لهم، فلم يفعلوا وفعلوا ما نهيتُهم عنه أن يفعلوه نكايةً لنا. فهذه نصيحة خفية لا يشعـر بها كلُّ أحد، وهذا يسمى علمَ السياسة فإنه يسُوسُ بذلك النفوسَ الجمـوحة الشاردة عن طريق مصالحها، فلذلك قلنا: إن الناصح! في دين الله يحتاج إلى علم كثير وعقلٍ وفكر صحيح ورويّة حسنةٍ واعتدال مزاج وتؤدة، وإن لم تكن فيه هذه الخصالُ كان الخطأ أسرع إليه من الإصابة، وما في مكـارم الأخلاق أدقُّ ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة، ولنا فيه جزء وسميناه كتابَ النصائح ذكرنا فيه ما لا يُعَوَّل عليه وما يُعوَّل عليه، ولكن أكثره فيـما لا يعول عليـه مما يعوِّل الناس عليه ولكن لا يعلمون.

اغتنام الفرص الزمانية في الأعمال الصالحة

الوصية رقم (٤٣)

وعليك بمراعاةِ حالـك في الزمـان بين الصـلاتين، وأنت لا تخلو أبـداً أن تكون بين صلاتين، فإن الأمر دَوْرٌ، والزمان الـذي بين الـظهر والعصر زمـانٌ بين صلاتـين، وكذلـك بين العصر والمغـرب، وبين المغـرب والعشاء، وبـين العشاء والصبح، وبين الصبح والظهر، ودار الـدور وجاء الكَـور، وإذا خرج وقت صلاة دخل وقتُ صلاةٍ أخرى، إلّا صـلاة الصبح فـإنه لا يـدخل وقت صلاة الظهر بخروج وقت صلاة الصبح بلا خلاف، وكذلك العتمـة والصبح بخلاف، إلا أنه لا يدخل وقت الظهر إلا بعد خروج وقت الصبـح لا بد من ذلك، فلا يدخل وقت صـلاة حتى يخرج وقت التي قبلها، فالداخلة أبداً على إثـر الخارجـة، وقد يمتـد إلى ما بعـد طلوع الشمس وقتُ أداء الصبح إلى أن تزول الشمس فيدخل وقت الظهر، وذلك أن الانسان قد يصلي الركعة الأولى من الصبـح بوجـه مثلاً قبـل طلوع الشمس، ويقول الشـارع فيه: إنـه أدرك الصبـح فتطلع الشمس عليـه، وقد شـرع في الركعـة الثانيـة من الصبـح فلو أطالها إلى حـدّ الزوال لجـاز، وذلك وقتُهـا وهو مؤدٍّ لهـا فما خـرج وقت صلاة الصبح في حق هذا المصلي حتى دخل وقت الظهر، وهكذا في جميع الصـلاة، فإن أوقاتَ هذه الصلاة فيها خلاف بين العلماء فلهذا ذكـرناهـا تنبيهاً عـلى أن فيها خلافاً فيجوز على هذا أن تكون صلا ةٌ على إثر صـلاة، ولا لغو بينهـما، فقد جُعِل أن بين الصلاتين زماناً لا صلاة فيه، ذلك الزمان هو زمان اللغو أو تركه، وإنما قلنا زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت (صلاةٌ على أثـرِ صلاةٍ لا لغوَ بينهما كتابٌ في عليين)[1] ويدخل في هذا الحديث صلاة النافلة، والنـافلة بعد الفريضة، والفريضة بعد النافلة، والفريضـة بعد الفـريضة. واللغـوُ من

---

(١) الحديث: أخرجه أبو داود عن أبي أمامة الباهلي، رواه أبـو داود رقم ٥٥٨ في الصلاة بـاب ما جاء في فضل المشي الى الصلاة، ورواه أحمد في المسند ٦٣/٥، واسناده حسن. جا ٤٢٤/٩.

الكلام: هو الساقط الذي لا دخول له في كفة الميزان وهو المباح، فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلي الصلاةَ ثم يُتبِعها بصلاة أخرى ولم يفعل بين هاتين الصلاتين ـ في الزمان الذي لا يكون فيه مصلياً ـ فعلاً مباحاً من قولٍ وعملٍ بل كان مشتغلاً بما يدخل الميزانَ من أمر مندوب إليه من ذكر أو غير ذكر ثم يصلي الصلاةَ الأخرى فإن ذلك كتابٌ في عليين، بأنه لم يفعل بين الصلاتين لغواً أصلاً. وهذا عزيز الوقوع فإن أحد أحوال الناس اليوم من يتصرف في المباح فلا عليه ولا له، والغالب من أحوال الناس التصرفُ في المكروه والمحظور، فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين، وما رأيتُ أحداً نبّه عليه إلا إن كان وما وصل إلينا إلا رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك.

أهمية صلاة الجماعة

الوصية رقم (٤٤)

وعليك بالصلاة المكتوبة حين يُنادَى بها مع الجماعة، فإن المساجد ما اتخذت إلّا لإقامة الصلاة المكتوبة فيها، وما ينادى إلا إلى الإتيان إليها، فإن ذلك سنة رسول الله ﷺ. والمراد بذلك: الاجتماعُ عل إقامة الدين وأن لا يتفرق فيه، ولهذا اختلف الناس في صلاة الفذ المكتوبة إذا قدر على الجماعة هل تجزيه أم لا؟ ومن ترك سنة رسول الله ﷺ ضلَّ بلا شك لأنه ﷺ ما سنَّ إلا ما هو المهداة، وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّى تصرفون؟ فحافظ على المكتوبة في الجماعات، والأرض كلُّها مسجد فحيثما قامتِ الجماعة من الأرض فما قامت إلا في مسجد، ولهذا ينبغي لمن صلى في جماعة في مسجد بيته أن يؤذن لها وإن كانت الإقامة أذاناً، وإنما سميت إقامةً لقيام المصلي إلى الصلاة عند هذا الأذان الخاص، ففُرّق في الأذان الثاني بين الأذانين باسم الإقامة. والأذان معناه: الأعلام، وأبقَوْا اسم الأذان على الأول المُعْلم بدخول الوقت، فالأذان الأول للإعلام بدخول الوقت، والأذان الثاني الذي هو

الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصلاة فزاد على الأذان بقوله (قد قامتْ الصلاة).

صلاة الأوابين

لوصية وعليك بالمحافظة على صلاة الأوابِينْ، وهي: الصلاة في الأوقات المغفول
قم (٤٥) عنها في العامة، وهي: ما بين الضحى إلى الاستواء، وما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء الأخيرة، وعلى التهجد وهو: أن ينام من أول الليل بعد صلاةِ العشاء الأخيرة، ثم يقومَ الى الصلاة، ثم ينام، ثم يقومَ الى الصلاة إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر فاركع ركعتي الفجر، ثم اضطجع على شِقّك الأيمنِ من غير نومٍ، ثم قُمْ الى صلاة الصبح. واجعلْ وتْرك ثلاث عشرة ركعة في تهجدك، فإن هذا كان وترَ رسول الله ﷺ، وأطل الركعتين الأوليين من التهجد، ثم اللتين بعدهما أقلّ منهما في الطول، هكذا تنقُص من طول المتأخرة إلى أن توتر بركعة، والركعةُ الأولى من كل ركعتين على قدْر الثانية من اللتين قبلهما، والركعةُ الثانية من كل ركعتين على النصف من الركعة الأولى منهما، ذلك إلى أن توتر بركعة واحدة إن شئت أن لا تجلس إلا في آخر ركعة من وِتْرِ صلاتك، وهي الإحدى عشرَ، وإن شئتَ جلستَ في كل ركعتين ولا تسلمُ إلا في آخر ركعة مفردة، وإن شئتَ خمّسْتَ وسبّعت وتسّعْتَ، كلُّ ذلك مباحٌ لك. واجتنب أن تُشبّه وِتْرَك بصلاةِ المغرب، وقد ورد في النهي عن ذلك خبرٌ. وكذلك في الركعة الواحدة وتسمى البتيراءَ، فاجتنب مواقعَ الخلاف ما استطعتَ، واهرُب إلى محل الإجماع، مع أنه ثبت أنه إن أوتر بثلاث فلا يجلس إلا في آخرها، ويسلم حتى يفرّ من الشَّبَه بينها وبين المغرب، وإذا قمتَ إلى الصلاة بالليل وتوضأتَ فاركع ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما اشرع في صلاة الليل كما وسّعتُ لك، وعند قيامك للتهجد امسحْ عينيك من النوم بيديك، ثم اتلُ ﴿**إنّ في خَلْقِ السمواتِ والأرض واختلافِ الليلِ والنّهارِ لآياتٍ لأولي الألباب**﴾[1] الآياتِ بكمالها، ثم قم فتوضأ

---

(١) سورة آل عمران ـ آية ١٩٠.

واستفتح صلاتك بركعتين خفيفتين، ثم اشـرع في قيام الليـل على مـا وصفتُه لك في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره فانظره فيه، وانظر اعتبارُه إن شاء الله. وقد ثبت أن صلاة الأوابين حين ترفض الفصال[1]، واجتنب الصلاةَ عند الاستواء، وبعـد العصر حتى تغرُب الشمس، وبعـد الصبح حتى تـطلع الشمس، وحـافظ على الصـلاة في جماعـة فإنها تـزيد عـلى صلاة الفـذّ بسبـع وعشرين درجة، وحافظ على أربع ركعات في أول النهار عند الإشراق كما قال ﴿يُسبِّحْن بالعَشيِ والإشراق﴾[2] والسُّبحة: صلاة النافلة، يقول عبـدالله بن عمـر (وهو عـربي) في النافلة في السفـر: لو كنتُ مسبحـاً أتممتُ. ثم صـلاة الضحى ثمان ركعَاتٍ بعد صلاة الإشراق، ثم أربع ركعات قبل الظهر وبعد الزوال، ثم أربعِ ركعـات بعد صـلاة الظهـر، ثم أربع ركعـات قبل صـلاة العصر، ثم ستِ ركعات بعد المغرب، ثم ثلاث عشرةَ ركعة وتـرك من الليل فيها ركعتا الفجر، وتبقى إحدى عشرَةَ ركعة هي صلاة الليل. هذا لا بدّ منه لمن يريد اتباع السنة والاقتداء، وفي رواية: ركعتين قبل المغرب، ثم إن زدت على هذا فأنت وذاك، فإن الصلاة خيرُ مـوضوع، فمن شـاء فلْيَسْتقلِل، ومن شـاء فليَسْتَكْثِر فـإنه ينـاجي ربه، والحـديثُ مع الله والاستكثـارُ منـه أشـرف الأحوال، وأما الوصية بـالصدقـةِ والصومِ فقـد تقدم في بـاب الزكـاة وبـاب الصوم وكذلك الحجُّ من هذا الكتاب.

---

(١) الرمض: (بفتحتين) شدة وقع الشمس على الرمـل وغيره، وفي الحـديث (صلاة الأوابـين إذا رمضت الفصـال من الضحى) اي إذا وجد الفصيـل حر الشمس من الـرمضاء تكـون صـلاة الضحى.

والفصيل: ولد الناقة اذا فصل عن أمه. والجمع فصال. اهـ مختار الصحاح.

(٢) سورة ص ـ آية ١٨.

الورع اجتناب الشبهات واقتداء بسنن الأنبياء

الوصية رقم (٤٦)

وعليك بالورع في النطق كما تتورعُ في المأكل والمشربِ والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات، أما الشبهة فما حاك في صدرك، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (الإثم ما حاكَ في صدرك)[1] قال بعض العلماء من أهل الله: ما رأيتُ أسهلَ عليّ من الورع، كلما حاكَ لي في نفسي شيءٌ تركتُه. وقد ورد في الخبر (دَعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يريبك)[2] وورد أيضاً (استفْتِ قلبَك وإن أفتاك المفتون) يعني بالحِل، وتجد أنت في نفسك وقفةً في ذلك فاجتنبه، فهو أولى بك ولا تُحرّمه.

وعليك بالهدي الصالح وهو: هديُ الأنبياء، وهو: اتباع آثارهم الذي أُمِر رسول الله ﷺ باتباعهم في قوله (أُولئك الذين هدى الله فبِهُداهم اقْتَده)[3] وكذلك السمتُ الصالح والاقتصادُ في أمورك كلها، فإنّ النبي ﷺ قد ثبتَ عنه أن الهدي الصالحَ والسمتَ الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة، وتحفّظ من العجلة إلا في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها والمسارعة إليها، مثلُ الصلاة لأول ميقاتها، وإكرامُ الضيف، وتجهيز الميت، والبكر إذا أدركت، بل وكلُّ عمل للآخرة فالمسارعةُ إليه أولى من التؤدة فيه، واجعل التسويفَ والتؤدةَ في أمور الدنيا، فإنه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه بل تفرح بفوته، وما فاتك من أمور الآخرة فإنك تندم عليه، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (التُّؤدةُ في كل شيء إلا في

---

(١) الحديث أخرجه مسلم والترمذي عن النواس بن مسعان، رواه مسلم رقم ٢٥٥٣ في البر باب تفسير البر والإثم، والترمذي رقم ٢٣٩٠ في الزهد باب ما جاء في البر والإثم جا ١١/٦٩٤.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي الحوراء السعدي ربيعة بن شيبان رواه الترمذي رقم ٢٥٢٠ في صفة القيامة باب رقم ٦١ والنسائي ٨/٣٢٧ في الأشربة باب الحث على ترك الشبهات، واسناده صحيح، ورواه ايضا أحمد وغيره. جا ٦/٤٤٣.

(٣) سورة الأنعام ـ آية ٩٠.

عمل الآخرة)[1] وقد ذكر مسلم أنّ رسـول الله ﷺ قال لـلأشجّ ـ أشـج عبد القيس (إنّ فيك لخصْلتَيْنِ يُحبّهما الله ورسوله) قال: وما هما يـا رسول الله؟ قـال (الحلمُ والأناة)[2] أرادَ الحلمَ عمن جنى عليـك، والأناةَ في أمـور الدنيـا وأغراضِ النفس. وإن كان لك عائلة فكُـدَّ عليهم فإن السـاعيَ على الأرملة والمسكينِ كالمجاهد في سبيل الله، وكن خيرَ الرعاة في كل ما استرعاك الله فيـه على الاطلاق فالسلطان: راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤول عن رعيتـه: ما فعـل فيهم؟ هل اتقى الله فيهم أو لم يتّق؟ والرجلُ راعٍ على أهل بيته، والمـرأة راعيةٌ عـلى بيت زوجها وولده، والعبدُ راعٍ على مال سيده. ولا تغْفُـل عن الصلاة عـلى رسول الله ﷺ إذا ذكرته أو ذُكِرَ عندك تأمنْ من البخل، فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قـال (البخيلُ مَنْ ذُكِـرَتْ عنده فلم يُصَـلِّ عـليّ)[3] ولـو لم يكن في ذلـك إلا إطـلاق البخل عليـك ـ وهو من أذمّ الصفـات وأرداها ـ ومعنى البخيـل هنا: بخلُه على نفسه، فإنه قـد ثبت فيمن صلّى عـلى النبي ﷺ مرةً صـلى الله عليه وسلم بها عشراً، فمن ترك الصلاة على النبي ﷺ فقد بَخِـل على نفسـه حيث حرمها صلاةَ الله عليه عشراً إذا صلى هو مرة واحدة فما زاد.

---

(١) الحديث: أخرجه أبو داود رقم ٤٨١٠ في الأدب بـاب الرفق، عن سعـد بن أبي وقاص. جـا ٦٩٢/١١.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما. رواه التـرمذي رقم ٢٠١٢ في البر باب ما جاء في التأني والعجلة وهو حديث صحيح وقد رواه مسلم في الإيمان رقم ١٧. جا ٦٩١/١١.

(٣) الحديث: أخرجه الترمـذي عن علي بن أبي طـالب، رواه الترمـذي رقم ٣٥٤٠ في الدعـوات باب رقم ١١٠ وأخرجه ايضا أحمد في المسند والنسائي في سننه والطبراني في الكبيـر وابن حبان في صحيحه وهو حديث حسن لطرقه وشواهده. جا ٤٠٦/٤.

وفاء وأمانة بالقول والعهد والصلة

الوصية رقم (٤٧) الله الله أن تعود في شيء خرجتَ عنه لله تعالى، ولا تعقد مع الله عقداً ولا عهداً ثم تنقُضه بعد ذلك وتحله ولا تفي به، ولو تركته لما هو خير، فإن ذلك من خاطر الشيطان فافعله، وافعل الخيرَ الآخر الذي أخطره لك الشيطان حتى لا تفي بالأول، فإنّ غرضه أن توصف بوصف الذين ينقُضون عهد الله من بعد ميثاقه.

وعليك بصلة الرحم فإنها شِجْنة من الرحمن[1] وبها وقع النسب بيننا وبين الله، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، وإذا استشرت في أمرٍ فقد أمِنَك المستشير فلا تخُنه، فإنْ كان في نكاح فإن شئت أن تذكر ما تعرفه فيمن سئلتَ عنه مما يكرهه لو سمعه، فإن ذلك الذكر ليس بغيبة يتعلق بها ذم، فإن كنت من أهل الورع الأشداء فيه، ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر فلا تذكر ما تعرف فيه من القبيح، وقل كلاماً مجمّلاً، مثلُ أن تقول: ما تصلحُ لكم مصاهرته، من غير تعيين، ويكفي هذا القدر من الكلام، فإن كنتَ تعلم من قرائن الأحوالِ أنّ هذا الأمر الذي تذمه به في نظرك لا يقدح عند القوم الذين يطلبون نكاحه فما خُنتهم إذا لم تذكر لهم ما يقبح عندك فإنه ليس بقبيح عندهم، وهم مُقدمون عليه، وهذا موقوف على معرفة أحوال الناس. ومثلُ هذا الكلام في الأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، كان أحمد بن حنبل يقول ليحيى بن معين: تعالَ نَغْتَب في الله ـ والمستشارُ مؤتمن. وإياك والأكل والشربَ في أواني الذهب والفضة، وإياك

---

(١) الشجنة: (بكسر الشين وضمها) عروق الشجر المشتبكة.
يقال: بيني وبينه شجنة رحم، أي قرابة مشتبكة، وفي الحديث «الرحم شجنة من الله تعالى».
أي إنها قرابة من الله تعالى مشتبكة كاشتباك العروق.
اهـ مختار الصحاح.

والجلوس عى مائدة، يُدار عليها الخمر أو ما هو حرامٌ أصلاً، واجتنب لباسَ الحرير والذهب إن كنت رجلاً وهو حلال للمرأة، وإذا رأيت رؤيا تُحزنك واستيقظتَ فاتفُل عن يسارك ثلاث مرات وقل: أعوذ بالله من شرّ ما رأيتَ، وتحوّل عن جنبك الذي كنتَ عليه في حال رؤياك إلى الجنب الآخر، ولا تُحدث بما رأيتَ فإنها لا تضرك أصلاً، وحافظ على مثل هذا ترَ برهانه، فإن كثيراً من الناس وإن استعاذوا يتحدثون بما رأوه، وقد ورد أنّ الرؤيا معلقةٌ برِجْلِ طائر، فإذا قالها سقطت لما قيلت له.

وعليك باستعمال الطِّيْب فإنه سنة، واستعمل منه ـ إن كنت ذكراً ـ ما ظهر ريحُه وخفي لونه، وإن كنت امرأةً فاستعملِ منه ما ظهر لونه وخفي ريحه، فإن الحديث النبوي بهذا ورد، وعليك بالسواك لكل صلاة وعند كل وضوء، وعند دخولك إلى بيتك، فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب. وقد ورد (إن صلاةً بسواك تفضُلُ سبعينَ صلاةً بغير سواك)[1] ذكره ابن زنجويه في كتاب الترغيب في فضائل الأعمال. وإياك واليمينَ الغموس فإنها تغمس صاحبها في الإثم، فإن الناس اختلفوا في كفارتها: فمنهم من ألحقها في الكفارة بالأيمان، ومنهم من قال: إنها لا كفارةَ فيها، وهي: اليمين التي تقطع بها حقاً للغير وجب عليك، وفي هذا فقه عجيب دقيق لمن نظر وتفقه في وجوب الحق، متى يكون؟ وبأي صفة يكون؟ وما منعني أن أبيّنه للناس إلا سداً للذريعة حتى لا يتأوّل فيه الجاهلُ فيتجاوزَ القدر الذي نذكره فيقع في الإثم وهو لا يشعر، فإن الفقهاء أغفلوا هذا الوجهَ الذي أومأنا إليه وما ذكروه. وإياك والمراء في القرآن فإنه كفر بنص الحديث، وهو: الخوض فيه بأنه مُحْدث، أو قديم، أو هل هو هذا المكتوب في المصاحف، والمتلو المتلفظُ

(١) الحديث: رواه البيهقي عن عائشة مرفوعاً قوال انه غير قوي الاسناد ساقه أيضاً من طريق الواقدي عن عائشة بلفظ الركعتان بعد السواك أحب إليّ من سبعين ركعة قبل السواك. وضعفه الواقدي. كشف ٢/٢٣.

به عين كلام الله، أو ما هو عين كلام الله، فالكلام في مثل هذا، والخوضُ فيه هو الخوض في آيات الله، وهذا هو المراء والجدال في القرآن الداخل في قوله تعالى ﴿**وإذا رأيتَ الذين يخوضُون في آياتنا فاعْرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره**﴾[1] فسماه حديثاً وليس إلا القرآن، فلو أراد آياتِ غير القرآن لقال فيها بضمير الآية أو الآيات، فليس للذُكورية هنا دخولٌ إلا إذا أراد آيات القرآن، والقرآنُ خبر الله والخبر عين الحديث، وقال تعالى ﴿**ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم محدث**﴾[2] ﴿**إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ**﴾[3] والذكر الحديث.

آداب عامة وتنبيهات

الوصية رقم (٤٨) اكظُمْ التثاؤب ما استطعت فإنه من الشيطان، وإياك أن تصوّت فيه، فإن ذلك صوتُ الشيطان، والعطاس في الصلاة من الشيطان أيضاً، وفي غير الصلاة العطاس ليس من الشيطان، وإياك والطرق وهو: الضرب بالحصى، قال الشاعر:

لعَمْرُك ما تدري الضّوارِبُ بالحصى ... ولا زاجِراتُ الطيرِ ما الله صانِعُ

وكذلك العيافة وهي: زجرُ الطير والطيرة. وعليك بالفأل، والطيرة شرك، وإياك والبصاقَ في المسجد فإن غفلتَ فادفنها فذلك كفارتها، وإياك أن تستقبل القبلة ببصاقك ولا بخلائك، ولا تستدبرها أيضاً ببول ولا غائط فإن ذلك من آداب النبوة، وإذا أردتَ أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده وزد المضمضة منه في الغسل بعده، وعليك بالإحسان لمن ملكت يمينُك من جارية وغلام، ولا تكلفهما فوق طاقتهما، وإن كلفتهما فأعنهما فإنهما من

---

(١) سورة الأنعام ـ آية ٦٨.
(٢) سورة الأنبياء ـ آية ٢.
(٣) سورة الحجر ـ آية ٩.

إخوانكم، وإنما الله ملّككم رقابَهم، فالكـلّ بنو آدم فهم إخـواننا، فـراعِ الله فيهم، واعلم أنك مسؤول عنهم يوم القيامة، وإذا عاقبت أحدهم على جنايـة فاعلم أن الله يومَ القيامة يوقف العبد وسيـده بين يـديه ويحـاسبه عـلى جنايتـه وعلى عقوبته على ذلك، فإن خـرجتْ رأساً بـرأس كان، وإن كـانت العقوبـة أكثر من الجناية اقتصّ للعبد من السيد فتحفّظ ولا تزدْ في العقوبة عـلى ثلاثـة أسـواط، فإن كثُـرت فإلى عشـرة، ولا تزد إلا في إقـامة حـدٍّ من حدود الله، فـذلك حـد الله لا تتعداه، فـإن عفوت عن العبـد في جنايتـه فهـو أولى بـك وأحوط لك، وإذا جئت إلى بيت قـوم فاستـأذن ثلاثَ مـرات، فإن أُذن لـك وإلا فـارجع، ولا تنـظر في بيت أخيك من حيث لا يعـرف بـك، فـإنـك إذا نظرت فقد دخلت، وإنما جعل الإذن من أجلِ البصر قال الله تعالى ﴿يا أيُّهـا الذين آمنوا لا تدخُلوا بيوتـاً غيرَ بيـوتِكم حتى تستأنِسـوا وتُسلِّموا﴾[١] وقـال ﴿فلا تدخُلُوها حتى يُؤذنَ لكم، وإن قيل لكم ارْجِعـوا فارجِعـوا﴾[٢] وثبت في الحديث (الاستئذان ثلاث: فإنْ أذن لك وإلا فارجـع)[٣] وإياك أن تتخـذ الجرسَ في عنق دابتك، فإن الملائكة تنفر منه، وقد ورد بذلك الحديث النبوي. وكان بمكة رجل من أهل الكشف يقـال له ابن الأسعـد من أصحاب الشيـخ أبي مدين صحبه ببجاية، فكان يوماً بالطواف وهو يشاهد الملائكة تـطوف مع الناس، فنظر إليهم وإذا هم قد تركوا الطوافَ وخرجوا من المسجـد سراعـاً، فلم يـدرِ ما سببُ ذلـك حتى بقيتِ الكعبة مـا عنـدهـا مَلك، وإذا بـالجمـال بالأجراس في أعناقها قد دخلتْ المسجد بـالروايـا تسقي الناس، فلما خـرجوا

---

(١) سورة النور ـ آية ٢٧.

(٢) سورة النور ـ آية ٢٨.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والموطأ، وهو حديث طويـل لأبي سعيد الخدري وأبيّ بن كعب وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم وهو رواية الموطأ عن ابي موسى. رواه البخـاري ١١/٣٣ في الاستئذان والموطأ ٢/٩٦٣ في الاستئـذان باب الاستئـذان، وأبـو داود رقم ١٨٠ في الأدب والترمذي رقم ٢٦٩١ في الاستئذان والأداب. جا ٦/٥٨٢.

رجعتِ الملائكة، وقد ثبت ان الجرس مزاميرُ الشيطان.

والذي أوصيك به أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعتق رقبتك من النار بأن تقول: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يعتق رقبتك بها من النار، أو رقبة من تقولها عنه من الناس، ورد في ذلك خبرٌ نبوي. ولقد أخبرني أبو العباس لأحمدُ بن علي بن ميمون بن آب التوزري المعروف بالقسطلاني بمصر قال في هذا الأمر: إن الشيخ أبا الربيع الكفيفَ المالقي كان على مائدة طعام، وكان قد ذكرَ هذا الذكر وما وهبه لأحد، وكان معهم على المائدة شابٌّ صغير من أهل الكشف من الصالحين، فعندما مدَّ يده إلى الطعام بكى، فقال له الحاضرون: ما شأنك تبكي؟ فقال: هذه جنهم أراها، وأرى أمي فيها، وامتنع من الطعام وأخذ في البكاء، قال ا لشيخ أبو الربيع: فقلتُ في نفسي: اللهم إنك تعلم أني قد هلّلتَ هذه السبعين ألفاً، وقد جعلتها عتقَ أمِّ هذا الصبي من النار - هذا كله في نفسي - فقال الصبي: الحمد لله أرى أمي قد خرجت من النار، وما أدري ما سببُ خروجها، وجعل الصبي يبتهجُ سروراً. وأكل مع الجماعة، قال أبو الربيع: فصحّ عندي هذا الخبر النبوي، وصحَّ عندي كشفُ هذا الصبي الذي كان يزعم. وقد عملتُ أنا على هذا الحديث ورأيتُ له بركة في زوجتي لّما ماتت.

وعليك بإصلاح ذات البين وهو: الفراق فإن الإصلاح بين الناس من الخير المعينّ في االكتاب، وإذا كان الله قد رغّب بل أمر من أمر من المسلمين إذا جنح الكفار إلى السلم أن يجنحوا لها، فأحرى الصلحُ بين المتهاجرين من المسلمين. وإياك وإفسادَ ذاتِ البين فإنها الحالقة، والبين هنا: هو الوصل، ومعنى قول النبي ﷺ (الحالقة) أنها تحلق الحسنات كما يحلق الحلاقُ الشعر من الرأس، قال الله تعالى ﴿لقد تقطّعَ بينُكم﴾[1] بالرفع يعني الوصل، والبين في

---

(١) سورة الأنعام ـ آية ٩٤.

اللسان من الأضداد كالجون[1]. يا وليّ أطعم عبدَك مما تأكل وألبسه ما تتلبس، وراعِ قدْره وانظر فيما ثبت فيهم من رسول الله ﷺ بقوله (إخوانكم خَوَلُكم[2] جعلهم الله تحتَ أيديكم، فمن كان أخوه تحتَ يده فليُطعمه مما يأكل، وليُلْبِسْه مما يلبس)[3] واغتنم صحة البدن والفراغ من شُغل الدنيا، واستغن بهاتين النعمتين اللتين أنعم الله عليك بهما على طاعة الله، ! فإنه ما أصحّ بدنك ولا فرّغك من هموم الدنيا إلا لطاعته والقيام بحدوده، وإلا كانت الحجة عليك لله، فاحذر أن يكون الله خصمك، ولتقل في كل يوم عند كل صباح مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإن هذا الذكر لا يبقي عليك ذنباً.

التقوى في حفظ الجوارح عن الحرام

الوصية رقم (٤٩)

وعليك بحفظِ جوارحك فإنه من أرسل جوارحه أتعبَ قلبه، وذلك أن الإنسان لا يزال في راحةٍ حتى يُرسل جوارحه، فربما نظر إلى صورة حسنة تعلق قلبه بها، ويكون صاحب تلك الصورة من المنعة بحيث لا يقدر هذا الناظرُ على الوصول إليها، فلا يزال في تعب من حُبّها يسهر الليلَ ولا يهنأ له عيش، هذا إذا كان حلالاً، فكيف به إن كان أرسله فيما لا يلح له النظر إليه؟ فلهذا أمرنا بتقييد الجوارح فإن زنى العيون: النظرُ، وزنى اللسان: النطقُ بما حُرّم عليه، وزنى الأذن: الاستماع إلى ما حُجر عليه، وزنى اليد: اللمس، وزنى الرجل: السعي، وكل جارحة تصرفتْ فيما حرم عليها التصرف فيه فذلك التصرف منها على هذا الوجه الحرام هو زناها، فاللسان يقول: هو الذي أوردني الموارد المهلكة. وقال ﷺ (وهل يكُبّ الناسَ على

---

(١) الجون: الأبيض والأسود.

(٢) خول الرجل: حشمه. وهو اسم يقع على العبد والأمة. اهـ مختار الصحاح.

(٣) الحديث: رواه الشيخان وأبو داود والنسائي والحاكم عن أبي ذر ورواه الترمذي عن أبي ذر وقال حسن صحيح. كشف ١/٧١.

مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)[1] قال الله تعالى **﴿يومَ تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾**[2] يعني بها فتقول اليد: بطش بي في كذا، يعني في غير حق فيما حَرُم عليه البطش فيه، وتقول الرجل كذلك واللسانُ والبصرُ وجميع الجوارح كذلك **﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا﴾**[3] خرّج مسلم عن محمد بن أبي عمر عن سفيانَ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله (هل نرى ربّنا يوم القيامة) قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لا تُضارُّون في رؤية ربّكم فيلقى العبدَ فيقول: ألم أكرمك وأسوّدْك وأزوجْك وأسخرْ لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْكَ ترأسُ وتربع)؟ فيقول (بلى يا رب) فيقول (أفظَنَنْتَ أنك ملاقيّ)؟ فيقول آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصليتُ وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول (ههنا إذنْ) قال: ثم يقال له (الآن نبعثُ شاهداً عليك) ويتفكر في نفسه: مَنْ ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فِيْه ويقال لفخذه (انطق) فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك لِيُعذر من نفسه وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه[4]. وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا (إن الساعة لا تقوم حتى تُكلّم الرجلَ بما فعل أهله: فخذُه وعذبةُ سوطه)[5]، وقد قيل في التفسير: إن الميت الذي أحياه الله في

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في الصفحة ١٨.

(٢) سورة النور- آية ٢٤.

(٣) سورة الاسراء ـ آية ٣٦.

(٤) الحديث: أخرجه الترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه أبو داود في السنة باب في الرؤية، والترمذي رقم ٢٥٥٧ في صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى وهو حديث صحيح. جا ٥٥٨/١٠.

(٥) الحديث: أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري. وورد الحديث: قال ﷺ: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره بما أحدث أهله بعده». أخرجه الترمذي ٢١٨٢ في الفتن باب ما جاء في كلام السباع. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. جا ٣٩٣/١٠.

بني إسـرائيل في حـديث البقرة في قـوله (اضـربـوه ببعضهـا)[1] قـال ضُـرِب بفخذها، وإن الله ما عيّن ذلك البعض، فاتفق أن ضربوه بالفخذ. فاحذر يا أخي يـومَ تشهد فيـه عليـك الجلودُ والجـوارحُ وأنصف من نفسـك، وعـامـلْ جوارحَك بما تشكرك بـه عند الله. ولقـد رأينا ذلـك عيانـاً في الدنيـا في زمان الأحوال التي كنا فيها ـ أعني نطق الجوارح ـ إذا أراد العبد أن يصرفها فيـما لا يجوز شرعاً تقول له الجارحة: يا هذا لا تفعل، لا تجبـرني على فعـل ما حُجـر عليك فعلُه، فإني شهيد عليك يـوم القيامـة فاجعلني شـاهداً لـك لا عليك، واصحبني بـالمعروف، وهـو في غفلة لا يسمع، فـإذا وقـع منـه الفعـل تقـول الجارحة: يا رب قد نهيتُه فلم يسمع، اللهم إني أبرأ إليك ممـا وصل إليـه من مخالفتك بي. وعلى كل حال فإرسالُ الجوارح يؤدي إلى تعب القلب، فـإنْ الله خلقك لك واصطفى منك لنفسه قلبَك، وذكر أنه يسعُه إذا كان مؤمناً تقياً ذا وَرَع فإذا شغلتَه بما تصرفت فيه جوارحك كنتَ ممن غضب الحقُّ عليه فيما ذكر أنه لَه منك. وأيُّ ظلمٍ أعظمُ من ظلم الحق، فـلا تجعل الحقَّ خصمـك فإن لله الحجـةَ البالغـة كما ذكـر عن نفسه، وبكـل وجه أشهـدني الله حجتـه عـلى خلقه، كيف تقوم وذلك في أن العلم يتبع المعلوم إنْ فهمتَ، فأكثرْ من هـذا التصريح ما يكون.

الآذان والأقامة

الوصية رقم (٥٠)

وعليك بالأذان لكل صلاة، أو تقول ما يقول المؤذن إذا أذّن، وإذا أذّنتَ فارفع صوتك فإن المؤذن يشهدُ له يوم القيامة مدى صوتـه من رطب ويابس، ولـو علم الإنسان مـاله في الأذان مـا تركـه، قال ﷺ (لـو يعلمُ الناس مـا في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاسْتَهَمـوا عليه، ولـو

---

(١) سورة البقرة ـ آية ٧٣.

يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبْواً[1] فإن لم يؤذن وسمعَ الأذان فليقل مثلَ ما يقول المؤذن سواء، إذا فرغ المؤذن منها قالها هذا السامع بحضور وخشوع ولقد أذّنْتُ يوماً فكلّما ذكرت كلمةً من الأذان كشف الله عن بصري، فرأيت مالها مدّ البصر من الخير فعاينت خيراً عظيماً لو رآه الناس العقلاء لذُهِلوا لكل كلمة، وقيل لي: هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان. وإنما ارتضينا ووصّينا أن يقول السامع مثلَ ما يقول المؤذن عند فراغ كل كلمة لما رويناه من حديث الترمذي عن ابن وكيع، عن اسماعيل بن محمد بن جحادة يبلغ به النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قال لا إله إلا الله والله أكبر صدّقه ربه وقال: لا إله إلا وأنا أكبر وإذا قال: : لا إله إلا الله وحده، يقول: لا إله إلا أنا وأنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال؛ لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوةَ إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا ولا حولَ ولا قوةَ إلا بي) قال: وكان يقول: (مَنْ قالها في مرضه لم تطعمه النار)[2] ويكفي العاقِلَ في الأمر بالأذان أمرُ النبي ﷺ مَنْ سمِعَ المؤذن يُؤذن أن يقول مثلَ قوله فهو أذان فما رغبه فيه إلا وله أجره، فإنه مُعْلم لذلك نفسَه وذاكرُ ربّه كصورة الأذان، فما أمره إلا بماله فيه خير كثير، وليؤذن على أكمل الروايات

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري ١١٦/٢ في الجماعة فضل التهجير الى الظهر. ومسلم رقم ٤٣٧ في الصلاة باب تسوية الصفوف واقامتها، والموطأ ١٣١/١ في الجماعة باب ما جاء في العتمة والصبح، والنسائي ٢٦٩/١ في المواقيت باب الرخصة أن يقال للعشاء العتمة. جا ٤١١/٩.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة. رواه الترمذي رقم ٣٤٢٦ في الدعوات باب ما يقول لعبد إذا مرض، ورواه ايضا ابن ماجة رقم ٣٧٩٤ في الأدب باب فضل الذكر، وابن حبان في صحيحه رقم ٢٣٢٥ وحسّنه الترمذي. جا ٣٧٨/٤.

وأكثرها ذكراً فإن الأجر يكثر بكثرة الذكر قال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾[1] وقال ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾[2] وقد ورد أنّ الإنسان إذا كان بأرضٍ فلاةٍ فدخل الوقتُ وليس معه أحد قام فأذّن، فإذا أذّن صلّى خلفه مِنَ الملائكة كأمثال الجبال، ومن كانت جماعته مثلَ أولئك يُؤمنون على عدائه كيف يشقى؟ وإنما وصّينا بمثل هذا لغفلة الناس عن مثله، فالعاقل من لا يغفل عن فعل ماله فيه الخير الباقي عند الله عزّ وجلّ، فإن ذلك من رحمتك بنفسك فإنْ الله جعل رحمتك بنفسك أعظمَ من رحمتك بغيرك، كما جعل أذاك نفسك أعظمَ في الوزر من أذاك غيرك، قال في قاتل الغير إذا لم يُقتل به: أمره الى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذه. وقال في القاتل نفسه (حرّمتُ عليه الجنة) وقال النبي ﷺ (الراحمون يرحمُهم الرحمن)[3] فمَنْ رَحِم نفسه يسلكُ بها سبيل هداها ويحول بينها وبين هواها، فرحمه الله رحمةً خاصة خارجة عن الحد والمقدار، فإنه رحم أقربَ جار إليه وهي نفسه، ورحم صورة خلقها الله على صورته، فجمع بين الحُسْنَيَيْن: مراعاة قرب الجوار، ومراعاة الصورة. وأيُّ جار سوى نفسه فهو أبعد منها، ولذلك أمر الداعي إذا دعا أن يبدأ بنفسه أولاً مراعاةً لحقها، والسر الآخر أن الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقارُ غيره إليه، ويذهل عن افتقاره فربما يدخله زُهو وعُجْب بنفسه لذاك، وهو داءٌ عظيم فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ بنفسه في الدعاء فتحصل له صفة الافتقار في حق نفسه، فتزيل عنه صفة الافتقار صفة العجب والمنة على الغير، وفي إثر ذلك يدعو للغير على افتقار وطهارة، فلهذا

---

(١) سورة الأحزاب ـ آية ٣٥.

(٢) سورة الأحزاب ـ آية ٤١.

(٣) الحديث: أخرجه الترمذي أبو داود وهو طرف من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رواه الترمذي رقم ١٩٢٥ في البر والصلة باب في رحمة الناس وأبو داود رقم ٤٩٤١ في الأدب باب في الرحمة، وهو حديث حسن بشواهده. جا ٤/٥١٥.

يبنغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء، ثم يدعو لغيره، فإنه أقرب الى الإجابة، لأنه أخلص في الاضطرار والعبودية. ومثلُ هذا النظر مغفول عنه لا أحدَ أعظمُ من الوالدين ولا أكبر بعد الرسل حقاً منهما على المؤن، ومع هذا أُمِر الداعي أن يُقدم في الدعاءنفسه على والديه، فقال نوح عليه السلام (رب اغفرْ لي ولِوالديَّ ولِمَن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات)[1] وقال الخليل إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام في دعائه (واجنُبْني وبنيَّ أن نعبُد الأصنام)[2] فبدأ بنفسه ثم ببنيه، وقال (ربِّ اجعلني مقيمَ الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبَّل دعاء ربنا اغفرْ لي ولوالديّ وللمؤمنين يومَ يقومُ الحساب)[3] فبدأ بنفسه، وقال (أُولئك الذين هدى الله فبِهُداهم اقتدِه)[4].

وإنما أوصيتك بالأذان لما فيه عند الله من المنزلة يومَ القيامة، فإن المؤذنين أطولُ الناس أعناقاً في ذلك اليوم يقول تمتد أعناقهم دون الناس لينظروا ما أثابهم الله به، وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم، هذا إن كان من الطول، فإن كان من الطول - الذي هو الفضل، والعُنُق الجماعة - فهم أفضل الناس جماعةً، ومَنْ رواه بكسرالهمزة فهم أفضلهم سيراً لما يرونه من الخير الذي لهم على الأذان، فإن المؤذن يحافظ على الأوقات فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة، فإنه مراعٍ ذلك، فبكل وجهٍ تأويلُهم أطولُ الناس أعناقاً جماعةً وسيراً وامتدادَ عُنُقٍ لرؤية.

---

(١) سورة نوح - آية ٢٨.
(٢) سورة إبراهيم - آية ٣٥.
(٣) سورة إبراهيم - آية ٤٠، ٤١.
(٤) سورة الأنعام - آية ٩٠.

القضاء بالحق

الوصية رقم (٥١)

وإن كنت والياً فاقضِ بالحق بين الناس ولا تتبعِ الهوى فيضلَّك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله ـ وسبيل الله هو ما شرعه لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله ـ فالذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسُوا يوم الحساب، يعني به ـ والله أعلم ـ يومَ الدنيا، ! حيث لم يحاسبوا نفوسهم فيه، فإن النسيان التركُ، يقول رسول الله ﷺ (حاسِبوا أنفسكم قبل أنْ تُحاسَبوا)[1] ولقد أشهدني الله في هذا مشهداً عظيماً بإشبيلية سنة ستٍ وثمانين وخمسمئة. ويومُ الدنيا أيضاً هو يوم الدين أي يوم الجزاء لما فيه من إقامة الحدود، قال تعالى ﴿**ظهر الفسادُ في البر والبحر**﴾[2] وهو جزاء ﴿**بما كسبتْ أيدي الناس ليُذيقهم بعضَ الذي عملوا لَعَلَّهم يرجِعُون**﴾[2] وهذا عين الجزاء، وهو أحسنُ في حق العبد المذنب من جزاء الآخرة، لأن جزاءَ الدنيا مذَكِّر وهو يومُ عمل، والمُذَكَّر فيه إذا رجع إلى الله قُبِلَ، والآخرة ليست كذلك، ولهذا قال في الدنيا (لعلَّهم يرجعون) الى الله بالتوبة، فيوم الجزاء أيضاً يومُ الدنيا كما هو الآخرة، وهو في يوم الدنيا أنفعُ، فاقضِ بالحق فإنّ الله تعالى قد قضى في الدنيا بالحق بما شرعه لعباده، وفي الآخرة بما قال، فإن القضاة في الدنيا ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار.

والذي أوصيتك به إذا فتح الله عينَ بصيرتك ورَزَقَك الرجوعَ إليه، المسمّى توبةً، فانظر أيَّ حالة أنت عليها من الخير لا تَزُلْ عنها: فإنْ كنتَ والياً أثبُتْ على ولايتك، وأن كنتَ عَزَباً أثبت على ذلك، وإن كنت ذا زوجةٍ فلا تُطلّق، وأثبت على ذلك مع أهلك، واشرعْ في العمل بتقوى الله في الحالة التي أنت عليها من الخير كانت ما كانت، فإنّ الله في كل حال بابَ قربةٍ إليه

(١) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.
(٢) سورة الروم ـ آية ٤١.

تعالى، فاقرعْ ذلك البابَ يفتحُ لك ولا تحرِمْ نفسك خيرَه. وأقلُّ الأحوال أنك في الحال التي كنت عليها في زمان مخالفتك، إذا ثَبَتَّ عليها عند توبتك تحمدُك تلك الحالة عند الله، فإن فارقتها كانت عليكَ لا لك، فإنها ما رأتْ منك خيراً وهذا معنى دقيق لطيف لا يتنبه له كلُّ أحد، فإنها لا تشهد لك إلا بما رأته منك، فإذا رأتْ منك خيراً شهدت لك به، ولا يفوتك ما ذكرته لك من نيل ما فيها من الخير المشروع ـ وأعني بذلك كلَّ حال أنت عليها من المباحات ـ فإنّ توبتك إنما كان رجوعَكَ عن المخالفات. وإياك أن تتحرك بحركةٍ إلا وأنت تنوي بها قربةً إلى الله تعالى حتى المباح، إذا كنت في أمر مباحٍ فانوِ فيه القربةَ إلى الله من حيث إيمانُك به أنه مباحٌ، ولذلك أتيته فتوجرُ فيه على ذلك ولا بدّ، حتى المعصية إذا أتيتها انوِ فيها أنها معصية فتؤجر على الإيمان بها أنها معصية، ولذلك لا تخلُص معصيةٌ لمؤمن أبداً من غير أن يخالطها عملٌ صالح ـ وهو الإيمان بكونها معصية ـ وهُم الذين قال الله فيهم ﴿**وَآخرون اعترفوا بِذُنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**﴾[1] فهذا معنى المخالطة، فالعمل الصالح هنا: الإيمانُ بالعمل الآخر السيء و(عسى) من الله واجبةٌ فيرجعُ عليهم بالرحمة فيغفرُ لهم تلك المعصيةَ بالإيمان الذي خُلِط بها، فمُتعلَّق (عسى) هنا رجوعُه سبحانه عليهم بالرحمة، لا رجوعهم إليه، فإنه ما ذكر لهم توبةً، كما قال في موضع آخر (ثمّ تابَ عليهم ليتوبوا)[2] وهنا جاء بحكم آخر، ما فيه ذكر توبتهم بل فيه توبةُ الله تعالى عليهم.

والذي أوصيك به أنك لا تنقل مجلساً ولا تبلّغ ذا سلطان حديثاً إلا خيراً، خرّج الترمذي حديثاً عن حذيفة أو غيره ـ أنا الشاك ـ أنّ رجلاً مرّ عليه، فقيل له عنه: إن هذا يبلغ الأمراء الحديث فقال: سمعتُ رسولَ الله

---

(١) سورة التوبة ـ آية ١٠٢.

(٢) سورة التوبة ـ آية ١١٨.

ﷺ يقول (لا يدخلُ الجنةَ قَتَّاتٌ)[1] قال أبو عيسى[2]: والقتاتُ النمـامُ. وإذا حدّثك إنسانٌ وتراه يلتفتُ يميناً وشمالاً يحذَر أن يسمع حديثه أحـدٌ فاعلم أنّ ذلك الحديث أمانةٌ أودعك إياه، فاحذر أن تخونَه في أمـانته بـأن تُحدث ذلـك عند أحد فتكون ممن أدّى الأمانة إلى غير أهلها فتكون من الظالمين، وقـد ثبتَ أن المجالس بالأمانة. وأمـا وصيتي لك أن لا تبلّغ ذا سلطان حـديثاً بشرٍ فـإنّ ذلك نميمة قال الله تعالى في ذمه ﴿مشاءٍ بِنَميم﴾[3] ذمه بذلك.

فعل الخيرات وترك المنكرات

الوصية رقم (٥٢) الحـذر الحذر من الـطعن في الأنساب فـلا تُحـل بـين شخص وبـين أبيـه صاحب الفراش، فإنّ ذلك كفـر بنص الشارع، وعليـك بمراعـاة الأوقات في الدعاء مثلِ الدعاء عند الأذان، وعند الحرب، وعند افتتـاح الصلاة، فـإن المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيها وقعِ السؤالُ فيه من الله، وأسباب القبول كثيرة، وتنحصر في الزمان، والمكان، والحـال، ونفسِ الكلمة التي تـذكر الله بها من الذكر حين تدعوه في مسـألته، فـإنه إذا اقتـرن واحد من هـذه الأربعة بالدعاء أجيب الدعاء، وأقوى هذه الأربعة: الاسم ثم الحال. وعليك بمراعاة حق الله وحق الخلق إذا توجه لهم عليـك حق، فإن الله يؤتيـك أجرك مـرتين من حيث ما أديته من حقه، ومن حيث ما أديت من حق من تعـيّن عليك لـه حقٌّ من حق الله، وإن كانت لك جارية فـأدبتها وأحسنتَ أدبهـا فإن لـك في ذلك أجراً عظيماً، ثم إن أعتقتهـا فلك في العتق الأجرُ العـظيم لذاتـك، فإن

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن حذيفة بن اليمان. رواه البخـاري ١٠/٣٩٤ في الأدب باب ما يكـره من النميمة، ومسلم رقم ١٠٥ في الإيمـان باب بيـان غلط تحريم النميمة، وأبو داود رقم ٤٧٧١ في الأدب باب القتـات، والترمـذي رقم ٢٠٢٧ في البر والصلة. باب ما جاء في النمام. جا ٨/٤٥٠.

(٢) هو الترمذي مخرج الحديث السابق.

(٣) سورة القلم ـ آية ١١.

تزوجت بها فلك في ذلك أجر آخر أعظم من أنك لو تزوجت بغيرها، وإذا رأيت عازباً فأعِنْه بطائفةٍ من مالك، وكذلك المكاتب، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمة دينه والعفاف، فإنك إذا فعلت ذلك وأعنتهم فإنك نائب الله في عونهم، فإن عون هؤلاء حق على الله بنص الخبر، فمن أعانهم فقد أدّى عن الله ما أوجبه الله على نفسه لهم، فيكون الله يتولى كرامته بنفسه، فما دام المجاهد في سبيل الله مجاهداً بما أعنته عليه فإنك شريكه في الأجر، ولا ينقصه شيء، وكذلك إعانة الناكح حتى إنه لو وُلد له ولد وكان صالحاً فإن لك في ولده وفي عقبه أجراً وافراً تجده يوم القيامة عند الله وهو أعظمُ من المكاتب والمجاهد، فإن النكاح أفضلُ نوافِلِ الخيرات وأقربه نسبة إلى الفضل الإلهي في إيجاده العالَم، ويعظُم الأجر بعظم النسب. واعلم أن الإنسان مجبولٌ على الفاقة والحاجة، فهو مجبول على السؤال، فإن رزقك الله يقيناً فلا تسأل إلا الله تعالى في طلب نفع يعود عليك، أو دفع ضرر نزل بك، فإذا سألك أحد بالله لا بقرابة ولا بشيء غير الله عزّ وجل فأعطه مسألته بحيث لا يعلم بذلك أحد إلا هو خاصة، فلا بد لك في مثل هذه الأعطية أن تُعرِّفها له فإنه ينجبر في نفسه ما انكسر منها عند سؤاله، فإذا لم يعلم أن سؤاله نفعَ انكسر، فلا بد أن تجيبه إلى مسألته على علم منه، فإن علمت بحاله من غير سؤال منه فمثلُ هذا تعمّل أن تعطيه مسألته بالحال من غير أن يعلم أنك أعطيته، فإنه يخجل بلا شك، ولا سيما إن كان من أهل المروءات والبيوت، وممن لم تتقدم له عادة بذلك، وفرق بين الحالتين الفرق بينهما دقيق، فإن السائل الأول يخجل إذا لم يعلم أنك أعطيته، والثاني يخجل إذا علم أنك أعطيته، والمقصود رفع الخجل عن صاحب الفاقة.

وعليك بذكر الله بين الغافلين عن الله بحيث لا يعلمون بك، فتلك خلوة العارف بربه وهو كالمصلي بين النائمين. وإياك ومنعَ فضل الماء من ذي

الحاجة إليه، واحذر من المن في العطاء فإن المنّ في العطاء يؤذن بجهل المعطي من وجوه منها:
رؤيته نفسه بأنه ربُّ النعمة التي أعطى، والنعمة إنما هي لله خلقاً وإيجاداً، والثاني: نسيانه منّة الله عليه فيما أعطاه وملّكه من نعمه، وأحوج هذا الآخر لما في يده، والثالث: نسيانه أن الصدقة التي أعطاها إنما تقع بيد الرحمن لا بيد الآخذ، والرابع: ما يعود عليه من الخير في ذلك فلنفسه أحسن ولنفسه سعى، فكيف له بالمنة على ذلك الآخذ؟ والخامس: أنه ما وصل إليه إلا ما هو له، إذ كان له ذلك، ومن رزقه ما أوصله إليه فهو مؤدٍّ أمانة من حيث لا يشعر، فجهله بهذه الأمور كلّها جعله يمتنُّ بالعطاء على من أوصل إليه راحة وأبطل عمله، فإن الله يقول ﴿**لا تُبْطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى**﴾[1] لله تعالى ﴿**يمنّون عليك أن أسلموا، قل: لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمُنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتُمْ صادقين**﴾[2] وإياك أن تتقدم قوماً وهم يكرهون تقدُّمَك عليهم في صلاة. وفي غيرها، غيرَ أن هنا دقيقةً وهي: أن تنظرَ ما يكرهون منك، فإن كرهوا منك ما كره الشرعُ منك فهو ذاك، وإن كرهوا منك ما أحبّه الشرع منك فلا تبالِ بكراهتهم، فإنهم إذا كرهوا ما أحبّه الشرع فليسوا بمؤمنين، وإذا لم يكونوا مؤمنين فلا مراعاة لهم، والتقدم عليهم شاؤوا أو أبَوْا، فمن ذلك الصلاة إذا كنت أقرأ القوم فأنت أحقُّ بالإمامة بهم، أو ذا سلطان فإن الله قدّمك عليهم، ومع هذا فينبغي للناصح نفسه أن لا يتصف بصفة يُكره منها تقدمه في أمر ديني، وليسعَ في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما استطاع. وحافظ على أداء الصلاة لأول ميقاتها، ولا تؤخرها حتى يخرج وقتها، وإياك أن تتعبد حراً أو تسترقه بشبهة ولا تر أن لك فضلاً على أحد، فإن الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم،

---

(١) سورة البقرة ـ آية ٢٦٤.
(٢) سورة الحجرات ـ آية ١٧.

وتعبُّد الحر على نوعين: إما أن تأخذ من هو حر الأصل فتبيعه، وإما أن تعتق عبداً ولا تمكنه من نفسه وتتصرف فيه تصرفَ السيد في عبده، وليس لك ذلك إلا بإذنه أو إجازته، فإني رأيتُ كثيراً من الناس من يُعتق المملوكَ ولا يمكّنه من كتاب عتقه، ويستعبدُه مع حريته، والسيدُ إذا اعتق عبده ما لَه عليه حكم إلا الولاء، فإذا أعتقتَ عبداً فلا تستخدمه إلا كما تستخدم الحرَّ: إما برضاه، وإما بالإجارة كالحر سواء فإنه حر، ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيدُ الشديد فيمن تعَبَّدَ محرَّره، وفيمن اعتبد حراً، وفيمن باع حراً فأكل ثمنه، والذي أوصيك به إذا استأجرت أجيراً واستوفيتَ منه فأعطه حقه ولا تؤخره.

شعب الإيمان

الوصية رقم (٥٣) إذا كنت جنباً ولم تغتسل فتوضأ إن كان لك ماء، وإلا فتيمم، وإذا أردت أن تعاود فتوضأ بينهما وضوءاً، أو إذا أردتَ أن تنام وأنتَ جنب فتوضأ، وإن لم تكن جنباً فلا تنم إلا على طهارة، وإن أردت أن تأكل أو تشرب وأنت جنب فتوضأ. وإياك والتضَمُّخَ بالخلوق، فإن الله لا يقبل صلاةَ أحدٍ وعلى جسده شيء من خلوق، وثبت أن الملائكة لا تقربه ولا تقْرَب الجنبَ إلا أن يتوضأ، كما أنه قد ثبت أن الملائكة لا تقربُ جيفةَ الكافر، فإياك أن تنزل نفسك بتركِ الوضوء في الجنابة منزلة جيفة الكافر في بُعد المَلَك منه، فإنهم المطهرون بشهادة الله في قوله تعالى ﴿**إنّهُ لقرآنٌ كريمٌ في كتابٍ مكنون لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرون**﴾[1] يعني بالكتاب المكنون الذي هو صُحفٌ مكرمةٌ مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برَرَة. وإياك والغدرَ وهو: أن تعطيَ أحداً عهداً ثم تغدرُ به، فإن رسول الله ﷺ قَبِلَ إسلام المغيرةِ وما قَبِلَ غدرته بصاحبه، مع كون صاحبه كافراً، فكيف حالُ من يغدر بمؤمن؟ فإن الله تعالى

---

(١) سورة الواقعة ـ آية ٧٩.

قد أوعَدَ على ذلك الوعيدَ الشديد، وليس من مكارم الأخلاق ولا مما أباحته الشريعة. وإياك وعقوقَ الوالدين إن أدركتهما، فأشقى الناس من أدرك أحدَ والديه ودخل النار قال سبحانه ﴿فلا تَقُلْ لهما أفٍّ ولاَ تَنْهَرْهُما وقُلْ لهما قولاً كريماً واخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَة، وقُلْ ربِّ ارْحَمْهُما كما ربّياني صغيراً﴾[1] وقال في الوالدين إذا كانا كافرين ﴿وصاحِبْهُما في الدنيا معروفاً﴾[2] وقال ﴿أن اشكُر لي ولِوالديك﴾[3] وارحم الأمّ وقدِّمها في الإحسان والبر على أبيك، ثبت أن رجلاً قال رسول الله ﷺ مَنْ أبَرُّ؟ قال له (أمّك)، ثم قال له: مَنْ أبرُّ؟ قال (أمك) ثلاثَ مرات ثم قال في الرابعة: مَنْ أبرُّ؟ قال له (أمك ثم أباك)[4] فقدم الأم على الأب في البر وهو الإحسان، كما قدّم الجارَ الأقرب على الأبعد، ولكل حق. وإن لم يكن لك أم وكانت لك خالة فبرَّها فإنها بمنزلة الأم. فإن النبي ﷺ أوصى ببر الخالة، يا أخي وما أوصيتُك في هذه الوصية بشيء استنبطته من نفسي، فإني لا أحكم على الله بأمر في حقِّ أحد، فما أوصيتُك في هذه الوصية إلا بما أوصاك به الله تعالى أو رسوله ﷺ إما معيّناً فأذكره على التعيين، وإما مجملاً فأفصله لك، غير ذلك ما أقول به. وإياك يا أخي أن تزكي على الله أحداً، فإن الله قد نهاك عن ذلك في قوله ﴿فلا تُزكّوا أنفسكم﴾ أي أمثالكم ﴿هو أعلمُ بِمَن اتّقى﴾[5] ولكن قُلْ: أحْسبه كذا أو أظنه كذا كما أمرك به رسولُ الله ﷺ قال (ولا أزكي على الله أحداً)[6] فإنه من الأدب مع الله تعالى عدمُ التحكم عليه

---

(١) سورة الإسراء ـ آية ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة لقمان ـ آية ١٥.

(٣) سورة لقمان ـ آية ١٤.

الحديث: أخرجه الترمذي وأبو داود عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه، رواه الترمذي، رقم ١٨٩٧ في البر والصلة باب ما جاء في بر الوالدين وأبو داود رقم ٥١٣٩ في الأدب باب بر الوالدين وإسناده حسن. جا ٣٩٨/١.

(٥) سورة النجم ـ آية ٣٢.

(٦) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بكرة. الأذكار ٢٣٧.

في خلقه إلا بتعريفه وإعلامه، وما هذا من قوله ﴿**قد أفلحَ من زكّاها**﴾[١] فإن ذلك تخليةُ النفس وتـطهيرُهـا من مذام الأخـلاق وإتيان مكـارمها. واعلم ان الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، وأعلاها: لا إله إلا الله، وما بينهما هو على قسمين: عملٍ، وتركٍ أي مـأمورٍ بـه، ومنهيٍ عنه، فالمنهي عنه هو الذي يتعلق به الترك وهو قوله: لا تفعل، والمأمور به هو الذي يتعلق به العمل وهو قوله: افعل ﴿**وما آتاكم الرسولُ فخُذوه وما نَهاكم عنه فانتهوا**﴾[٢] وقال ﷺ (ما نهيتُكم عنه فانتهوا)[٣] وأطلق ولم يقيـد وقال في الأمر (وما أمرتكم به فافعلوا منه مـا استطعتم) فهـذا من رحمـته ﷺ بأمتـه، وهو لا ينطق عن الهوى. فهذا من رحمة الله تعالى بعباده. وأمره بمـا وجب به الإيمـان على نـوعين: فـرضٍ، ومندوبٍ، والنهي عـلى قسمين: نهي حـظرٍ، ونهي كراهةٍ، والفـرضُ على نـوعين: فـرض كفايـة، وفرض عـين، وكذلـك الواجب أقول: فيه واجبٌ موسع، وواجب مضيق، فالـواجب الموسـع موسّـع بالزمان، وموسعٌ بالتخيير وهو الواجب المخيّر مثل كفارةِ المتمتّع[٤]، فإتيانُ ما يؤتى من هذا كلّه، وترك مـا يترك من هـذا كله هو الإيمـان الذي فيـه سعادة العباد، فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفـرض منه من عمـل وتركٍ، وأمـا غيرُ الفرض ـ كالمندوبات والمكروهـات ـ فيكاد لا ينحصر عنـد حد، فـابحث عليها في الكتاب والسنة.

فمن شعب الإيمان: الشهادةُ بالتوحيد وبالـرسالـة، والصلاةُ، والـزكاة،

---

(١) سورة الشمس ـ آية ٩.

(٢) سورة الحشر ـ آية ٧.

(٣) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

(٤) قال تعالى: (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسـه) أي من كان محـرماً، ثم مـرض، أو أصابه أذى برأسه فلبس ثيابه (ففدية من صيام) ثلاثة أيام (أو صـدقة) عـلى ستة مسـاكين (أو نسك) وهو ذبح شاة (فإذا أمنتم، فمن تمتع بالعمرة الى الحج، فما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) سورة البقرة آية ١٩٦.

والصوم، والحج، والجهاد، والوضوء، والغُسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة، والصبر، والشكر، والورع، والحياء، والأمان، والنصيحة، وطاعة أولي الأمر، والذكر، وكفُّ الأذى، وأداءُ الأمانة، ونصرة المظلوم، وترك الظلم، وترك الاحتقار، وترك الغيبة، وترك النميمة، وترك التجسس، والاستئذان، وغض البصر، والاعتبار، وسماع الأحسن من القول، واتباعُه، والدفع بالتي هي أحسن، وترك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، والكلمةُ الطيبة، وحفظ الفرج، وحفظ اللسان، والتوبةُ، والتوكل، والخشوع، وتركُ اللغو، والاشتغالُ بما يعني وترك ما لا يعني، وحفظ العهد، والوفاء بالعقود، والتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتقوى، والبر، والقنوت، والصدق، وترك الكذب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واصلاحُ ذات البين، وترك إفساد ذات البين، وخفضُ الجناح، واللين، وبر الوالدين، وترك العقوق، والدعاء والرحمة بالخلق، وتوقيرُ الكبير، ومعرفة شرفه، ورحمةُ الصغير، والقيامُ بحدود الله، وترك دعوى الجاهلية، فإن النبي ﷺ يقول (دَعُوها فإنها مُنْتِنة)[1] والتودد إلى الخلق، والحبُّ في الله، والبغضُ في الله تعالى، والتؤدة، والحلم، والعفاف، والبذاذة، وترك التدابر[2]، وترك التحاسد، وترك التباغض، وترك التناجش[3]، وترك شهادة الزور، وترك قول الزور، وتركُ الهمز واللمز[4]،

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وهو طرف من حديث جابر رضي الله عنه. رواه البخاري ٦/٣٩٨ ف الأنبياء باب في دعوى الجاهلية وأخرجه مسلم رقم ٢٥٨٤ في البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، والترمذي رقم ٢٣١٢ في تفسير سورة المنافقين. جا ٢/٣٩٠.

(٢) أي التقاطع ـ وفي الحديث (لا تدابروا) أي: لا تقاطعوا. اهـ مختار الصحاح.

(٣) النجش: أن تزيد في البيع ليقع غيرك وليس من حاجتك ـ وفي الحديث (لا تناجشوا) اهـ مختار الصحاح.

(٤) الهمز كاللمز وزناً ومعنى ـ والهامز والهماز: العياب. اهـ مختار الصحاح.

وشهـود الجماعـات، وإفشـاء السـلام، والتهـادي، وحسن الخلق، والسمت الصـالح، وحسن العهـد، وحفظ السر، والنكاح والإنكـاح، وحب الفـال، وحب أهـل البيت، وتـرك الـطيـرة، وحب النسـاء، وحب الـطيب، وحب الأنصار، وتعظيم الشعائر، وتعـظيم حرمـات الله، وترك الغش، وتـرك حمل السلاح على المؤمن، وتجهيز الميت، والصلاةُ عـلى الجنائـز، وعيادة المـريض، وإماطة الأذى، وأن تحب لكل مؤمن ما تحبُّ لنفسك، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليك مما سواهما، وأن تكره أن تعود في الكفر، وأن تؤمن بملائكة الله، وكتبه، ، ورسله، وبكل مـا جاءت بـه الرسـل من عند الله إلى مـا لا يحصى كثرةً، ويأتي إن شاء الله من ذلك في هذه الوصية ما يذكرني الله به ويجريه على خاطري وقلبي، ومن تتبع كتابَ الله وحـديثَ رسول الله ﷺ يجـد ما ذكـرناه وزيادة، مما لم نذكره، وكلّ ما ورد فله أوقات تخصه، وأمكنة ومحالٌّ وأحـوال، والجامع للخير كله في ذلك أن تنوي في جميع ما تعجله أو تتركه القربةَ إلى الله بذلك العمل أو الترك، وإن فاتتك النيةُ فإنك الخير كله، فكثـيرٌ ما بـين تاركٍ بنية القربة إلى الله من حيث إن الله أمره بترك ذلك، وبين تارك لـه بغير هـذه النية، وكذلك في العمل ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين﴾[1] والإخلاص هو: النية، والعبادة عمل وترك، والإخلاص مأمور به شرعاً.

التخصيص في الدعاء

الوصية رقم (٥٤) إذا كنتَ إمام قوم فدعوتَ فلا تخُصّ نفسك بـالدعـاء دونهم، فإنـك إن فعلت ذلك فقد خُنْتَهُم، وفيه من مذام الأخلاق تبخيلُ الحق، وتحجيرُ الرحمة التي وسعتْ كل شيء، وإيثار نفسك على غيرك، فإن الله ما مدح في القرآن إلا من آثـر على نفسـه، سمع رسـولُ الله ﷺ رجـلاً من الأعـراب يقـول (اللهم

(١) سورة البينة ـ آية ٥.

ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً) فقال رسول الله ﷺ : (لقد حجّر هذا واسعاً)[1] يريد قوله تعالى ﴿ورحمتي وَسِعَتْ كل شيء﴾[2] والذي أوصيك به: إياك أن تصلي وأنت حاقن حتى تخفف، وإذا حضر الطعامُ وأقيمت الصلاةُ فابدأ بالطعام ثم تصلي بعد ذلك إن كنت ممن يتناوله قبل الصلاة فحينئذ تفعل ذلك، وارغب في دعاء الوالدين، ودعاءِ المسافر، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ، وعليك بالاستحداد وهو: حلق العانة، وتقليم الأظافر، ونتفِ الإبط، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، ورد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي. وعليك بالعدل في أمورك كلها، والمحافظة على عبادة الله، وكسر الشهوتين، وتعاهد المساجد للصلاة، والبكاء من خشية الله، والاعتصام بحبل الله، وعليك بمحابّ الله ومراضيه فاتّبعها ومنها: تعاهد المساجد، وعليكِ بصيام داود عليه السلام فهو أحبُّ الصيام إلى الله وأفضله وأعدله وهو: صيامُ يوم وفطرُ يومٍ، وقد ذكرنا ما يختص من الأسرار والفوائد بالصوم في باب الصوم من هذا الكتاب[3]، وكذلك في الطهارة والصلاة والزكاة والحج فلتنظر هناك. وأحب الصلاة إلى الله تعالى بالليل صلاةُ داود كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وذلك هو التهجد. وإن كان لك ولد فَسَمِّه عبدَ الله أو عبدَ الرحمن وكَنِّه أبا محمد أو كنِّه بأبي عبدالله أو بأبي عبدالرحمن، وإذا عملت عملاً من الخير فداوم عليه، وإن قلّ فهو أفضل، فإن الله لا يمل حتى تملوا، فإن في

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي والبخاري وهو طرف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. رواه البخاري ٢٧٨/١ في الوضوء باب صبُّ الماء على البول في المسجد، وأبو داود رقم ٣٨٠ في الطهارة باب الأرض يصبها البول رواه الترمذي رقم ١٤٧ في الطهارة باب ما جاء في البول يصيب الأرض، والنسائي ٤٨/١ في الطهارة باب ترك التوقيت في الماء. جا ٨٦/٧.

(٢) سورة الأعراف ـ يّة ١٥٦.

(٣) يعني كتاب الفتوحات.

قطع العمل وعدم المداومة عليه قطعَ الوصل مع الله، فإن العبد لا يعمل عملاً إلا بنية القربة إلى الله، وحينئذ يكون عملاً مشروعاً فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله، ومن أراد أنه لا يزال في حال قربة من الله دائماً فعليه بالحضور الدائم مع الله في جميع أفعاله وتروكه. فلا يعمل عملاً إلا وهو مؤمن بما لله فيه من الحِكَم، ولا يترك عملاً إلا وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله، فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كل نَفَس مع الله وهو الذي يحرّم ما حَرّم الله ويُحلُّ ما أحل الله ويَكْره ما كره الله ويبيح ما أباح الله، فهو مع الله في كل حال. واحذر من الإلحاد في آيات الله، ومن الإلحاد في حَرَم الله إن كنت فيه، والالحادُ: الميلُ عن الحق شرعاً ولذلك قال ﴿**وَمَنْ يُرِدْ فيه بإلحادٍ**﴾(١) فذكر الظلم. وعليك بأفضل الصدقات، وأفضل الصدقات ما كان عن ظهر غنى، أي تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتتصدق به وإن كنت محتاجاً إليه، فإن الله مدح قوماً فقال ﴿**وَيُؤثرون على أنفسهم ولَوْ كان بهم خَصَاصَةٌ**﴾(٢) وذلك أنهم لم يؤثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله، فإن نزلْتَ عن هذه الدرجة فلتكن صدقتك بحيث أن لا تتبعها نفسك فلتُغْنِ أولاً نفسك بأن تطعمها، فإذا استغنيتَ عن الفاضل فتصدقْ بالفضل، فإنك ما تصدقت إلا بما استغنيت عنه، وتلك هي الصدقة عن ظهر غنى في حق هذا، والأول أفضل. وعليك بصيام رجب وشعبان فإن قدرت على صومهما على التمام فافعل فإنه ورد ﴿**أفضلُ الصيام بعد شهر رمضان صيامُ شهر الله المحرم وهو رجب**﴾(٣) وإنه يقال له: شهرُ الله، وهذا الاسم له دون الأشهر كلها، وكان

---

(١) سورة الحج ـ آية ٢٥.

(٢) سورة الحشر ـ آية ٩.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة، رواه مسلم رقم ١١٦٣ في الصيام، وأبو داود رقم ٢٤٢٩ في الصوم باب في صوم المحرم والترمذي رقم ٤٣٨ في الصلاة باب ما جاء في فضل صلاة الليل، والنسائي ٢٠٧/٣ في قيام الليل باب فضل صلاة الليل. جا ٢٧٣/٩.

رسول الله ﷺ يُكثر صيام شعبان يقول الراوي: ربما صامه كلّه. وحافظ على صوم سَرَرِه[1] ولا يفوتنك إن فاتك صومه؛ وأفطر السادس عشر من شعبان ولا بد، حتى تخرج من الخلاف فإنه أولى؛ فإن فطره جائز بلا خلاف، وصومه فيه خلاف، فإن رسول الله ﷺ قال (إذا انتصف شعبان فأمسكوا عن الصوم)[2]. وعليك بقول الحق في مجلس من يُخاف ويُرجى من الملوك ولا يعظم عندك على الحق شيء إلا ما أمرك الله بتعظيمه، وعليك بعمل البر في يوم النحر فإنه أعظمُ الأيام عند الله، ورد في ذلك خبر نبوي فأكثر فيه من ذكر الله ومن الصدقة، وكل فعل فيه لله رضى وتقْدِر عليه في هذا اليوم فلا تتخلف عنه فإنه أفضل من يوم عرفة ويوم عاشوراء، وفيه خبر كما قلنا. أعطِ كلَّ ذي حق حقَّه حتى الحق أعطِه حقه، ولا ترَ أنّ لك على أحد حقاً فتطلبه منه فأنصف من نفسك ولا تطلب النِّصف[3] من غيرك واقبل العذر ممن اعتذر إليك، وإياك والاعتذارَ فإن فيه سوءَ الظن منك بمن اعتذرت إليه، فإن علمت أنّ في اعتذارك إليه خيراً له وصلاحاً في دينه فاعتذر إليه في حقه من غير سوءِ ظن به بل قضاءُ حقٍّ له تعين عليك، وأحق الحقوق حقُّ الله تعالى.

أقرب ما يكون العبد من الله

الوصية رقم (٥٥) وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود فإنك في أقرب قربة الى الله لما ثبت من قوله ﷺ (أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)[4] ولا

---

(١) سرر الشهر - بفتحتين - آخر ليلة منه وكذا سراره بالفتح والكسر اهـ مختار الصحاح.

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة. رواه أبو داود رقم ٢٣٣٧ في الصوم باب كراهية من يصل شعبان برمضان، والترمذي رقم ٧٣٨ في الصوم باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان واسناده صحيح. جا ٦/٣٥٤.

(٣) النصف: بالكسر: الانتصاف اهـ نهاية.

(٤) الحديث: أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة، رواه مسلم رقم ٤٨٢ في الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبو داود رقم ٨٧٥ في الصلاة باب في الدعاء والركوع والسجود، والنسائي ٢/٢٢٦ في الصلاة باب ما يكون العبد من الله عز وجل. جا ٤/١٤٤.

قربَ أقربُ من قربِ السجود ولا دعـاء إلا في القرب من الله، فـإذا دعوتَ في السجود فادع في دوام الحال الذي أوجبَ لك القربَ المطلوب من الله فإنـك تعلم أنه قريب من خلقه، وهو معهم أينما كانـوا. والمطلوب أن يكـون العبدُ قـريباً من الله، وأن يكـون مع الله في أي شـأن يكون الله فيـه، فإن الشؤون لله، كالأحوال للخلق بل هي عين أحوال الخلق التي هم فيها. وعليك بصلة أهلِ وُدِّ أبيك بعد موته، فإن ذلك من أبر البر، ورد في الحديث (إنّ من أبـر البرّ أن يصلَ الرجلُ أهل وُدِّ أبيه)[1] وإن ذلك من أحب الأعمال إلى الله وهو الإحسان إليهم والتوددُ بالإحسان والخدمة، وبما تصل إليه يدك من الراحات، والسعي في قضـاء حوائجهم. وعليـك بالتلطف بـالأهل والقـرابة ولا تعـامل أحـداً من خلق الله إلا بأحب المعـاملة إليه مـا لم تُسْخِطِ الله فـإن أرضـاه مـا يُسخط الله فـأرض الله، وابدأ بـالسلام عـلى من عرفت ومنْ لم تعـرف، فإن عرفت من الذي تلقاه أنه يسلم عليـك فاتـركه يبـدأ بالسـلام، ثم تردُّ عليـه فيحصل لك أجرُ الوجوب، فإن ردَّ السلام واجب والابتداء به مندوب إليـه، وأحبُّ ما يُتقرب بـه إلى الله ما افتـرضه عـلى خلقه، وإذا علمت من شخص أنه يكره سلامك عليه وربما تؤديه تلك الكراهة إلى أنه لو سلمت عليه لم يـردَّ عليك السلام فلا تسلم عليه إيثاراً له على نفسك وشفقة عليه، فـإنك تحـول بينه وبين وقـوعه في المعصيـة إذا لم يردَّ عليـك السلام، فـإنـه بتـرك أمـر الله الواجب عليه، ومن الإيمـان الشفقة عـلى خلق الله فبهذه النيـة اترك السـلام عليـه، وإن علمت من دينه أنـه يردُّ السـلام عليك فسلِّم عليـه، وإن كـره، واجهر بالسلام عليه وابدأه به، فإنك تُدخل عليه ثواباً برد السلام وتُسقط من

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وهو طرف من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. رواه مسلم رقم ٢٥٥٢ في البر والصلة باب فضل صلة أصدقاء الوالد، والترمذي رقم ١٩٠٤ في البر والصلة باب ما جاء في إكرام صديق الوالد، وأبـو داود رقم ٥١٤٣ في الأدب باب بـر الوالدين. جا ١/٤٠٧.

كراهته فيك بسلامك عليه بقدر إيمانه ونفسه الصالحة إن كان ممن جُبل على خُلُق حسن. وعليك بالنظر إلى من هو دونك في الدنيا ولا تنظر إلى أهل الثروة والاتساع خوفاً من الفتنة إن الدنيا حُلْوة خضرة محبوبة لكل نفس، فإن النعيم محبوب للنفوس طبعاً، ولولا النعيم الذي يجده الزاهد في زهده ما زهد، والطائع في طاعته ما أطاع، فإن أخوف ما خافه رسول الله ﷺ علينا ما يخرج الله لنا من زهرة الدنيا قال الله تعالى لنبيه **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنَا به أزواجاً منهم زهرةَ الحياةِ الدنيا لِنَفْتِنَهُم فيه﴾**[1] ثم حبب إليه رزق ربه الذي هو خير وأبقى، وهو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هو رزق ربه الذي رزقه، فإنه تعالى لا يُتهم في إعطائه الأصلح لعبده، فما أعطاه إلا ما هو خير في حقه وأسعد عند الله وإن قلّ، فإنه ربما لو أعطاه ما يتمناه العبد طغى وحال بينه وبين سعادته، فإن الدنيا دارُ فتنة، وإذا كان لأحدٍ عندك دينٌ وقضيته فأحسن القضاءَ وزِدْه في الوزن وأرجِحْ تكنْ بهذا الفعل من خير عباد الله بإخبار رسول الله ﷺ فهو من السنة وهو الكرم الخفي اللاحق بصدقةِ السر، فإن المعطى إياه لا يشعر بأنه صدقة، وهو عند الله صدقة سر في علانية، ويورث ذلك محبةً ووداً في نفس الذي أعطيته، وتخفي نعمتك عليه في ذلك، ففي حسن القضاء فوائد جمّة. وعليك يا أخي بالذبّ والدفعِ عن أخيك المؤمن من عِرْضه ونفسه وماله، وعن عشيرتك بما لا تأثمُ به عند الله، فلا تبرحْ من يدك ميزانُ مراعاةِ حق الله في جميع تصرفاتك، ولا تتبعْ هواك في شيء يُسخط الله فإنك لا تجدُ صاحباً إلا الله، فلا تُفرّط في حقه، وحقُّه أحقُّ الحقوق وأوجبها علينا، كما ثبت (حق الله أحقُّ أن يُقضى)[2] وإن عزمت على نكاح فاجْهد في نكاحِ القُرَشِيّات، وإن قدرت على نكاح من هي من أهل

---

(١) سورة طه ـ آية ١٣١.

(٢) الحديث: ورد: دين الله أحق أن يقضى. رواه البخاري ومسلم في الصوم باب قضاء الصيام على الميت عن عبدالله بن عباس. جا ٦/٤١٨.

البيت فأعظمُ وأعظم. فإنه قد ثبت: ان خير نساء ركبن الإبل نساء قريش[1] وعاشرهن بالمعروف واتقِ الله فيهن، وأحق الشروط ما استحللتَ به فروجهن، وأحسن إليهن في كل شيء. وإياك أن تعذب ذا روح إذا كان في يدك حتى الأضحية إذا ذبحتها فحدَّ الشفرة وأسرع وأرحْ ذبيحتك، وادفعِ الألم عن كل ما يتألّم جَهْدَ استطاعتك كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وإنسان ومن النفسي ما تعلم أنه يرضي الله، واعلم أنه مما يرضي الله ما أباحه لك أن تفعله. وإذا رأيت أنصارياً من بني النجار فقدّمه على غيره من الأنصار مع حبّك جميعهم، وعليك بأحسن الحديث وهو: كتابُ الله فلا تزال إياه بتدبرٍ وتفكر عسى الله أن يرزقك الفهمَ عنه فيما تتلوه، وعلِّم القرآن تكنْ نائبَ الرحمنِ فإن الرحمنَ علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان وهو القرآن فإنه قال فيه ﴿هذا بيانٌ للناسِ وهدىً وموعظةٌ للمتقين﴾[2] فعِلْمُ القرآن قبل الإنسان أنه إذا خُلِق الإنسان لا ينزل إلا عليه، وكذلك كان فإنه نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، وهو ينزل على كل قلب تالٍ في حال تلاوته، فنزوله لا يبرح دائماً، فعلَّمَ الله القرآن كما علَّم الإنسانُ القرآن فخيركُم من تعلم القرآن وعلّمه، واتق شُحَّ الطبيعةِ فإن المفلح عند الله مَنْ يُوقى شُحَّ نفسه، وكن شجاعاً مقداماً على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها فتكن من أولي العزم، ولا تكن جباناً فإن الله أمرك بالاستعانة به في ذلك، وإذا كان الله المعينَ فلا تبالِ، فإنه لا يقاومه شيء بل هو القادر على كل شيء فما ثمّ مع الإعانة الإلهية قوةٌ تقاوم قوةَ الحق، فإن الله يقول فيمن سأله الإعانة في الخبر الصحيح (فإذا قال العبدُ: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل وإذ قال: اهدنا الصراط

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم في باب من فضائل نساء قريش عن أبي هريرة رضي الله عنه صحيح مسلم ٤/١٩٥٩.

(٢) سورة آل عمران ـ آية ١٣٨.

المستقيم إلى آخر السورة ـ وهدايتُه من معونته ـ يقول الله: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل)[1] وخبرُه صدق وقد قال (ولعبدي ما سأل) فلا بد من إعانته، ولكنْ هنا شرطٌ لا يغفلُ عنه العالِم: إذا تلا مثل هذا لا يتلوه حكايةً فإن ذلك لا ينفعه، فيما ذهبنا إليه وفيما أُريد له، وإنما الله تعالى ما شرع له أن يقرأ القرآنَ ويذكره، بهذا الذكر إلا ليعلّمه كيف يذكرُه فيذكرُه ذكر طلبٍ واضطرار وافتقارٍ وحضورٍ في طلبه من ربه ما شرع له أن يطلبه، فذلك هو الذي يجيبه الحق إذا سأله، فإن تلا حكاية فما هو سائل، وإذا لم يسأل وحكى السؤالَ فإن الحق لا يجيب مَنْ هذه صفته، ولا جَرَمَ أن التالين الغالبُ عليهم الحكايةُ لأنه لا ثمرة عندهم، فهم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيَهم، وقلوبهم لاهيةٌ في حال التلاوة وحال سماعه، فإذا رأيتَ من يُقدم على الشدائد في حق الله فاعلم أنه مؤمن صادق، وإذا رأيته قويَّ العزم في دين الله وفي غير دين الله فيعلم أنه قوي النفس لا قوي الإيمان بالأصالة، فإن المؤمن هو القوي في حق الله خاصة، الضعيفُ في حق الهوى، لا يساعدُ هواه في شيء، إذا جاءه الهوى النفسي يطلب منه أن يعينه في أمرٍ ما يريه من الضعف والخوفِ ما يقطع به بأسه، فينقمع الهوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليه، فيعصم جوارحه من امضاء ما دعاه إليه الهوى وسلطانه، فإذا جاء وارد الإيمان وجد عنده من القوة والمساعدة بالله ما لا يقاومه شيء، فإن الله هو المعين له، فإن الإنسان خلق هلوعاً من حيث إنسانيته، وإن المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن، ! كما حُكي عن بعض الصحابة ـ

---

(١) الحديث: أخرجه االترمذي والنسائي عن أبيّ بن كعب بحديث مماثل له قال ﷺ: ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل». رواه الترمذي رقم ٣١٢٤ في تفسير القرآن باب من سورة الحجر، والنسائي ١٣٩/٢ في افتتاح الصلاة وهو حديث حسن وصححه ابن حبان. جا ٤٦٨/٨. وأخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأظنه عمرو بن العاص ـ أن رسول الله ﷺ أخبره أنه لا بـدّ له أن يـلي مصر فحضر في حصـار بلد فقـال لأصحـابـه: اجعلوني في كفّـة المِنْجنيق وارمـوني إليهم، فإذا حصلت عندهم قاتلتُ حتى أفتحَ لكم بابَ الحصن، فقيل لـه في ذلك، فقال: إن رسول الله ﷺ ذكرَ لي أني ألي مصر، وإلى الآن ما وليتها ولا أموتُ حتى إليها، فهذا من قوة الإيمان فإن العادة تعطي في كل إنسان أن شخصاً إذا رُمي في كفّة المنجنيق أنه يموت فالمؤمن أقوى النـاس جأشـاً، ومن أسمائه تعالى المؤمن، وقد ورد أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً من كـونه مؤمنـاً، فالمؤمن المخلوقُ يستعـين بالمؤمن الخـالِق فيشدُّ منـه ويُقـوّي مـا ضعف عنـه من كونـه مخلوقاً، فـإن الله خلقه من ضعفٍ ثم جعـل من بعـدِ ضعف قوةً، فهي بشارة وذلك إن كان قوةُ الشباب تفسيراً فهي قوة الإيمان بما أمرَ من الإيمان به تنبيهاً فاعلم.

العبودية في ذات العبد

الوصية رقم (٥٦) كن فقيـراً من الله كما أنت فقـيرٌ إليـه فهـو مثـل قـولـه ﷺ (وأعـوذُ بـك مِنْكَ)(١) ومعنى فقرك من الله: أن لا يشمّ منك رائحة من روائح الربوبية بل العبودية المحضة، كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبـودية، ويستحيـل ذلـك عليه فهو ربٌّ محض، فكن أنت عبداً محضـاً، فكن مع الله بقيمتـك لا بعينك! فإن عينك عليه روائح الربوبية بما خلقك عليه من الصورة فتتصـرف بالدعوى، وقيمتك ليست كذلك، بهذا أوصاني شيخي واستـاذي أبوالعبـاس العريني رحمه الله، فلقيمتك التصرفُ بالحال لا بالدعوى، فكن أنت كذلك، فمتى قالت لك نفسك: كن غنياً بالله فقد أمرتْك بالسيادة، فقل لها: أنا فقيرٌ إلى الله وإلى ما أفقرني الله إليه، حتى إن الله قد أفقرني إلى الملح أن يكون في عجيني.

---

(١) الحديث: لم أجده.

المرابطة تكون لكل خير

الوصية رقم (٥٧)

عليك بالرباط فإنه من أفضل أحوال المؤمن، فكل إنسان إذا مات يُختم له على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له إلى يوم القيامة، ويأمن فتّاني القبر، ثبت هذا عن رسول الله ﷺ . والرباط بأن يُلزم الإنسانُ نفسَه طاعةَ الله دائماً من غير حدٍّ ينتهي إليه أو يجعله في نفسه، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابطٌ، والرباط: في الخير كله، ما يختص به خيرٌ من خير، فالكل سبيلُ الله فإن سبيل الله ما شرعه الله لعباده أن يعملوا به، فما يختص بملازمة الثغور فقط، ولا بالجهاد فإن رسول الله ﷺ قال في انتظار الصلاة بعد الصلاة: إنه رباط، والله تعالى يقول في كتابه للمؤمنين ﴿**اصبِروا وصَابِروا ورَابِطوا واتّقوا الله**﴾[1] يعني في ذلك كلِّه أي اجعلوه سبحانه وقاية تتقون به هذه العزائم، وذلك معونته في قوله ﴿**استعينوا بالصبر والصلاة**﴾[2] و ﴿**استعينوا بالله**﴾[3] وقوله تعالى ﴿**وإياك نستعين**﴾[4] فهذا معنى ﴿**اتّقوا الله لعلكم تُفلحون**﴾[5] أي تكون لكم النجاةُ من مشقة الصبر والرباط. وينبغي لك إذا ناجيتَ رسول الله ﷺ ـ وذلك زمانَ قراءتك الأحاديث المروية عنه ﷺ ـ أن تُقدِّم بين يدي نجواك صدقة أيَّ صدقة كانت، فإن ذلك خيرٌ كله، وتَطَهّرْ بهذا أُمرت، فإن الصدقاتِ التي نصَّ الشرع عليها كثيرةٌ، ولذلك ورد أنه يصبح على كل سلامى منا صدقة في كل يوم تطْلُع فيه الشمس، ثم أخبر رسول الله ﷺ أن كلَّ تهليلة صدقةٌ، وكلَّ تكبيرة صدقة، وكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة، فانظر حالك عندما

---

(١) سورة آل عمران ـ آية ٢٠٠ .
(٢) سورة البقرة ـ آية ١٥٣ .
(٣) سورة الأعراف ـ آية ١٢٨ .
(٤) سورة الفاتحة ـ آية ٤ .
(٥) سورة آل عمران ـ آية ٢٠٠ .

تريدُ قراءة الحديث النبـوي، وهي التي بقيت في العامـة من مناجـاةِ الرسـول ﷺ ، فـالذي يُعـيِّنُ لك حـالك عنـد ذلك من الصـدقات تقـدمها بـين يدي قراءتك الحديث كانت ما كانت، فقد أوسع الله عليك في ذلك فلم يبقَ لـك عذرٌ في التخلف بعد أن أعلمك ﷺ بأنواع الصدقات، فقدّمْ منهـا بين يـدي نجواك ما أعطاه حالُك بلغ ما بلغ، وحينئذ تشرعُ في قراءة الحديث النبـوي.
وإياك أن تُحشر يومَ القيامة مـع المصورين الـذين يصورون ذوات الأرواح من الحيوانات، فإنك إن صورت صورةً من صور الحيوانات تبعها روحها من عند الله من حيث لا تشعر بذلـك في الدنيـا، فإذا كـان في الآخرة يجعـل الله لكل مُصوِّر في النار لكل صورة صُورها نفساً تعذبـه في نار جهنم، فـإن الخلق من اختصاص الله، فَمَنْ نازعه في خلقه فإنه يعذبه بما خلق من ذلك، والخلق لله لا لهم إذ لم يكن بإذن الله كخلق عيسى عليه السلام الطيرَ من الطين بإذن الله ونَفَـخَ فيه الـروحَ بإذن الله، فلو أذن الله للمُصـوِّر في ذلك لكـان طاعـةً فعلُ ذلك، فاعلم أن كل نفس يوم القيامة بما كسبت رهينة.

من كفر مؤمنا بذنب

الوصية رقم (٥٨) واحـذر أن تكفِّر أحـداً من أهـل القبلة بـذنبٍ، فقـد ثبت أنـه من قـال لأخيه: كافرٌ فقد باء بها أحدهما: إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه: أنه هو الكافر فإنه مَنْ كفّر مسلماً لإسلامه فهـو كافـر يقول الله تعالى ﴿وإذا قيلَ لهم آمنوا كما آمَنَ الناسُ قالـوا أنُؤمِنُ كمَا آمَنَ السفهـاءُ﴾[1] فقـال الله فيهم ﴿ألا إنّهم هُمُ السُّفهـاء﴾[1] والسفيـه: هـو الضعيف الـرأي، يقولون: إنهم ما آمنوا إلا لضعف رأيهم وعقلهم، فجاز ذلك عليهم لقول الله ﴿ألا إنهم هُمُ السفهـاء﴾ أي: همُ الـذين ضعُفَت آراؤهم، فحـالَ ذلـك

(١) سورة البقرة ـ آية ١٣.

الضعفُ بينهم وبين الإيمان ﴿ولكن لا يعلمون﴾[1] فتَحفّظ من الكلام القبيح وهو: أن تنسب صفةً مذمومة لأخيك المؤمن وإن كانت فيه لا في حضوره ولا في غيبته، فإنك إذا واجهته بذلك فقد عيرته فما تـأمنُ أن يعافيـه الله من تلك الصفـة ويبتليك بهـا، وقـد ورد ﴿لا تُظْهِر الشماتةَ بأخيك فيعافيه الله ويبتليك﴾[2] وإن كان غائباً فهي غِيبة، وقد نهاك الله عن الغيبة، فإنك إذا ذكرته بأمر هو فيه مما يسوءه لو قابلته به فقد اغتبته، وإن نسبت إليه من القبيح ما ليس فيه فذلك البهتانُ، ولا بد أن تجني ثمرة غرسك إلا أن يعفو الله بإرضاء الخصم فيعودُ عليك وبالُ ما نسبته إلى أخيك المؤمن مما ليس هو عليه. وكذلك خداعُ المؤمن فلا تكن ممن يخادعُ الله فإنك إن اعتقدتَ ذلك كنت من الجاهلين بالله حيث تخيّلت أنك تُلبِّس على الحق، وظننتَ أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿وذَلِكم ظنُّكم الذي ظننتُم بِربِّكم أرْداكم فأصبَحْتُم مِنَ الخاسرين﴾[3] وإن خادعت أخاك المؤمن فما تخادع إلا نفسك كما قال تعالى ﴿يُخادعون الله والذين آمنوا وَمَا يخدَعون إلا أنفسهم وما يشعُرون﴾[4] في خداعهم الذين آمنوا، ولو كانوا مؤمنين بغير الحق فإنهم مؤمنون أيضاً بالباطل قال تعالى ﴿والذين آمنوا بالباطل وكَفَروا بالله أولئك هُمُ الخاسرون﴾[5] فوصفهم بالإيمان بالباطل، وقال في حديث الأنواء فيمن قال: مُطِرنا بِنَوْءِ كذا (إنه كافرٌ بي مؤمن بالكوكب) فهذا قوله ﴿وما يَخْدعون إلا أنفسهم﴾[6] في خداعهم الذين آمنوا، وأما في خداعهم الله فإن الله هو

---

(١) سورة البقرة ـ آية ١٣.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. رواه الترمذي رقم ٢٥٠٨ في صفة القيامة، باب رقم ٥٥ وهو حديث حسن بشواهده. جا ١١/٧٢٦.

(٣) سورة فصلت ـ آية ٣٣.

(٤) سورة البقرة ـ آية ٩.

(٥) سورة العنكبوت ـ آية ٥٢.

(٦) سورة البقرة ـ آية ٩.

خادعهم بكونهم اعتقدوا أنهم يُخادعون الله. وإياك والجهلَ فإنه أقبحُ صفة يتصف بها الإنسان، فإن كنت. ياولي ذا زوجةٍ فأوصها بل لا تتركها ولا أختاً ولا بنتاً ولا أيّ امرأة كانت ممن تحكمُ عليها أو تعلمُ أنها تسمع منك، أو أيّ امرأة تعرضت لك فانصحها كانت من كانت أن لا تستعطر إذا خرجتْ بطيب يكون له ريح، فإنهن قد ثبتَ عن رسول الله ﷺ قال (أيُّما امرأةٍ اسْتعطرَتْ فمرّتْ على قوم لِيَجدوا ريحها فهي زانية)[1] وقد ورد مقيداً في ذلك (أيما امرأةٍ أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخر)[2] وذلك أن الليل آفاته كثيرة والظلمة ساترة، وما تدري إذا أصاب الرجلُ ريحها الطيِّب في طريق المسجد ما تلقى منه إذا لم يتق الله، فلذلك نهاها رسول الله ﷺ عن شهود العشاء الآخرة. وبالجملة فلا ينبغي للمرأة أن تخرج بطيبٍ له رائحة لا في ليل ولا في نهار. وإياك والاستهزاء والمسخرةَ بأهل الله، فإن الاستهزاء بأهل الله استهزاءٌ بدين الله، ولا تتخذهم ضحكةً فإن وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة فيسخر الله منك ويستهزيء بك، وهو: أنا معك على طريق الهُزء به والسخرية منه، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلاً بقدْر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم والإيمان بما هم عليه أهلُ الله عزّ وجل، وقد رأينا على ذلك جماعةً من المدرّسين الفقهاءِ يسخرون بأهل الله المنتمين إلى الله المُخْبرين عن الله بقلوبهم ما يَردُ عليهم من الله فيها، فيأمر بمنْ هذه صفته إلى الجنة حتى ينظر إلى ما فيها من الخير فيُسَرُّون كما يُسَرُّ أهلُ الله في حال استهزائهم بهم، ويتخيلون

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي موسى الأشعري، رواه الترمذي رقم ٢٧٨٧، في الأدب باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، وأبو داود رقم ٤١٧٤ في الترجل باب في المرأة تتطيب للخروج، والنسائي ١٥٣/٨ في الزينة باب ما يكره للنساء من الطيب، وهو حديث حسن وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. جا ٧٧٠/٤.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة. رواه مسلم رقم ٤٤٤ في الصلاة باب خروج النساء الى المساجد، وأبو داود رقم ١٧٥ في الترجل باب في رد الطيب والنسائي ١٥٤/٨ في الزينة باب النهي للمرأة ان تشهد الصلاة إذا أصابت البخور.
جا ٧٧٢/٤.

أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم، فإذا وفى الله جزاء عملهم وانْفَقَهَتْ لهم الجنة[1] بخيرها أمر الله بهم أن يصرفوا عنها إلى النار، فذلك استهزاءُ الله بهم، كما أن هؤلاء المنافقين لمّا رجعوا إلى أهليهم قالوا: إنما نحن مستهزؤون، وقال سخروا منه ﴿**فاليوم الذين آمنوا مِنَ الكُفّار يَضْحكون**﴾[2] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين بإيمانهم، وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهلِ الله في الدنيا ولا سيما الفقهاءُ إذا رأوا العامة على الاستقامةِ يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم يضحكون منهم ويُظهرون لهم القبولَ عليهم، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك، أفلا أقلّ - يا أخي إذا لم تكن منهم - أن تسلم لهم أحوالهم، فإنك ما رأيتَ منهم ما يُنكره دين الله ولا ما يردّه العلمُ الصحيح النقلي والعقلي ﴿**إن الذين أجرموا كانوا مِنَ الذين آمنوا يضحكون وإذا مرُّوا بهم يَتَغامزون**﴾[3] هكذا والله رأيت فقهاءَ الزمان مع أهل الله يتغامزون عليهم ويضحكون منهم ويظهرون القبولَ عليهم، وهم على غير ذلك. فاحذر مَنْ هذه صفته لئلا يسْرِقك الطبعُ، فما أعظمَ حسرتهم يوم القيامة، فهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى، والعذابَ بالمغفرة والحياة الدنيا بالآخرة فما ربحتْ تجارتهم وما كانوا مهتدين.

من يتقى لسانه ويخشى جانبه

الوصية رقم (٥٩) واحذر يا أخي أن تكون من شرار الناس فيتقي الناسُ لسانك، فإن من شرار الناس الذين يُكرمون اتّقاء ألسنتهم، وأنت أعرفُ بنفسك في ذلك. أقبل رجلٌ على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ فيه قبل أن يصل إليه، وقد رآه مقبلاً (بئس ابنُ العشيرة) فلما وصل إليه بَشَّ في وجهه وضحك له،

---

(١) هكذا في الأصل - ولم نجد لهذا الفعل أصلاً في اللغة - ولعله يريد: انفتحت.
(٢) سورة المطففين - آية ٣٤.
(٣) سورة المطففين - آية ٢٩، ٣٠.

فلمّا انصرف قالت له عائشة: يا رسول الله: قد قلتَ فيه ما قلت، ثم بشَشْتَ في وجهه: فقال (يا عائشة إنّ من شرّ الناس من أكرَمه الناس اتّقاء شره)[1] فاحذرْ أن تكون ممن هذه صفته فتكونَ من شر الناس بشهادة رسول الله ﷺ. وإنْ كانت لك زوجةٌ فإياك ـ إذا أفضيت إليها وكان بينك وبينها ما كان ـ أنْ تنشر سرّها فإن ذلك من الكبائر عند الله، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ (إن من شر الناس عند الله يوم القيامة الذي يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشُر سرّها)[2] فذلك من الكبائر. وإياك ان تسُبَّ أبا أحدٍ أو أمّه فيسبّ أباك أو أمّك فذاك من العقوق. وإذا جالست مشركاً فلا تسبّ من اتخذه إلهاً مع الله، وإذا جالستَ من تعرف أنه يقع في الصحابة من الروافض فلا تتعرض ولا تُعرّض بذكر أحدٍ من الصحابة الذين تعلم أن جليسك يقع فيهم بشيء من الثناء عليهم، فإن لجاجه يجعله أن يقع فيهم، فتكون أنت قد عرضتهم بذكرك إياهم للوقوع فيهم، يقول الله **﴿ولا تسُبّوا الذينَ يَدْعون من دون الله فَيَسبُّوا الله عدْواً بِغير علم﴾**[3] ونهى رسول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه، فقيل له يا رسول الله: وكيف يشتم الرجلُ والديه؟ فقال ﷺ (يسُبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويَسُبُّ أمه فيسب أمه)[4] وإن من الكبائر

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والترمذي وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها رواه البخاري ١٠/٣٧٨ في الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً، ومسلم رقم ٢٥٩١ في البر والصلة باب مداراة من يتقي فحشه، والموطأ ٢/٩٠٣ في حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود رقم ٤٧٩١ في الأدب باب حسن العشرة والترمذي رقم ١٩٩٧ في البر باب ما جاء في المداراة. جا ١١/٧٣٨.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في باب تحريم إفشاء سر المرأة، عن أبي سعيد الخدري . صحيح مسلم ٢/١٠٦٠.

(٣) سورة الأنعام ـ آية ١٠٨.

(٤) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن عبدالله بن عمر بن العاص، رواه البخاري ١٠/٣٣٨ في الأدب باب لا يسب الرجل والديه، ؛ ،ومسلم رقم ٩٠ في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، والترمذي رقم ١٩٠٣ في البر باب ما جاء في عقوق الوالدين، وأبو داود رقم ٥١٤١ في الأدب في بر الوالدين. جا ١٠/٦٢٨.

استطالةَ الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ . وعليك بشهود العتمة[1] والصبح في جماعة فإنه مَنْ شهد العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليله، ومن شهد الصبحَ في جماعة فكأنما قام ليله. وعليك بالشفقة على عباد الله مطلقاً بل على كلِّ حيوان فإنه في كل ذي كبدٍ رَطْبةٍ أجرٌ عند الله تعالى.

اجتماع كل الناس حول السلطان

الوصية رقم (٦٠) احذر أن تُرجح نظرك على علم الله في خلقه بمن قدمه من الولاة في النظر في أمور المسلمين وإن جاروا، فإن لله فيهم سراً لا تعرفه، وإن ما يدفع الله بهم من الشرور ويُحَصّلُ بهم من المصالح أكثرُ من جوْرهم إن جاروا. وهذا كثيراً ما يقع فيه الناس يرجحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه، ويأتيهم الشيطان فيعلّق تسفيههم بالذين ولّوه ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله ولاهم، وينسيهم أمر النبي ﷺ أن لا تُخرج يداً من طاعة، ولا تنازع الأمرَ أهله، فيدخل عليهم الشيطان من التأويل في هذه الأحاديث وأمثالها يخرجهم بذلك من الإسلام، وينسيهم قوله ﷺ (فإن جاروا فلكم وعَلَيْهِم، وإن عَدَلوا فلكم وَلَهُم) و(إن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يَزع[2] بالقرآن)[3] لو لم يكن في هذه المسألة إلا اعتراضُ الملائكة على الله تعالى في خلافة آدم عليه السلام لكان كافياً، وقد جعل رسول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلب المصدق وهو العامل الذي على الزكاة راضياً عنك وإن ظلمك؛ وهذا باب قد أغفله الناس وقد أغلقوه على أنفسهم فما ترى أحداً إلا وله في

---

(١) العتمة: وقت صلاة العشاء. اهـ مختار الصحاح.

(٢) الوزع: الكف. قال الحسن: لا بد للناس من وازع - اي من سلطان يكفهم. اهـ مختار الصحاح.

(٣) الحديث: بلفظ: ما يزع السلطان أكثر مما يزعهم القرآن، أخرجه رزين واسناده منقطع وهو مشهور من كلام عثمان رضي الله عنه عن يحي بن سعيد رضي الله عنهما. جا ٤/٨٤.

ذلك نصيب ولا يعلم ما فيه عند الله، وقد رأينا على ذلك براهينَ من الله كثيرة، ومتى ذممت ـ ولا بدّ ـ فذُمَّ الصفة بذم الله ولا تذمّ الموصوفَ بها إن نصحتَ نفسك، ومتى حمدت فاحمد الصفة والموصوفَ معاً فإن الله يحمدك على ذلك.

معاني علوية وسامية نظيفة

الوصية رقم (٦١) أوصيتُ بها في مبشِّرة أُريتها سمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة في البقعة المباركة التي كلّم الله فيها موسى عليه السلام من بلة[1] على قدر الكف كلاماً لا يكيّف ولا يُشبه كلام مخلوق، عينُ الكلام هو عينُ الفهم من السامع، فمما فهمت منه: كُنْ سماءَ وحيٍ وأرضَ ينبوع، وجبل تسكين، فإذا تحركتَ فلتكن حركةَ إحياء وسيلة بتحريكٍ عن وحي سماوي، ثم وقع في نفسي نظمٌ فكنت أنشد:

جعلْتَ فِيّ الذي جَعَلْتنا ... وقُلْتَ لي: أنتَ قد عَمِلتنا
وأنتَ تدْري بأنّ كوني ... ما فيه غيرُ الذي جَعَلْتَنا
فكلّ فِعلٍ تراه منّي ... أنتَ إلهي الذي فعلتَنا

العمل بما يعظ العالم به الناس

الوصية رقم (٦٢) إذا قلت خيراً أو دللت على خير فكن أنتَ أول عاملٍ به والمخاطب بذلك الخير، وانصحْ نفسك فإنها آكدُ عليك، فإن نظر الخلق إلى فعل الشخص أكثر من نظرهم الى قوله، والاهتداءُ بفعله أعظمُ من الاهتداء بقوله، ولبعضهم في ذلك:

وإذا المقالُ مع الفَعَال وَزَنْته ... رَجَحَ الفَعَال وخَفَّ كُلُّ مَقَالِ

---

(١) هي البقعة بقدر الكف.

واجهد أن تكونَ ممن يُهتدَى بهديك فتُلحق بالأنبياء ميراثاً، فإن رسول الله ﷺ يقول (لأنْ يهتدي بِهُداك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس[1]) يقول الله تعالى في نقصان عقْلِ من هذه صفته ﴿أتأمُرون الناسَ بالبِرِّ وتَنْسون أنفسكَم وأنتُمْ تَتْلون الكتابَ أفلاَ تَعْقِلون؟﴾[2] فإذا تلا الانسانُ القرآن ولا يرعوي إلى شيء منه فإنه من شرار الناس بشهادةِ رسول الله ﷺ، فإن الرجل يقرأ القرآن والقرآنُ يلعنه، ويلعنُ نفسه فيه، يقرأ: ﴿ألا لعنةُ الله على الظالمين﴾[3] وهو يظلم فيلعن نفسه ويقرأ ﴿لعنةَ الله على الكاذبين﴾[4] وهو يكذب فيلعنه القرآنُ ويلعن نفسه في تلاوته، ويمرُّ بالآية فيها ذم الصفة وهو موصوفٌ بها فلا ينتهي عنها، ويمر بالآية فيها حمدُ الصفة فلا يعمل بها ولا يتصف بها، فيكونُ القرآن حجةً عليه لا له قال ﷺ في الثابت عنه (القرآنُ حجةٌ لك أو عليك كلُّ الناس يغدو فبَائعٌ نفسه فَمُعتِقُها أو مُوبِقُها)[5] وإذا كنت يا أخي ممن يجلس مع الله بترك الأسباب فتَحفَّظ من السؤال، فلا تسألْ أحداً، وإياك ان تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنابيلِ اليوم فإنهم من أدنى الناس همةً وأخسِّهم قدراً عند الله وأكذبِهم على الله، فإما يقينٌ صادق، وإما حرفة فيها عزُّ نفسك، فإن ذلك خيرٌ لك عند الله، وقد ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ أنه قال (لأن يحتزم أحدُكم حزمة من حطب على ظهره خيرٌ له من أن يسأل رجلاً)[6] وفي حديث (أعطاه أو منعه) فإما يقين صادق، وإما

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في الصفحة (٦٠).
(٢) سورة البقرة ـ آية ٤٤.
(٣) سورة هود ـ آية ١٨.
(٤) سورة آل عمران ـ آية ٦١.
(٥) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، عن أبي مالك الأشعري صحيح مسلم. ٢٠٣/١.
(٦) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة، رواه البخاري ٢٦٥/٣ في الزكاة باب الاستضعاف عن المسألة، ومسلم رقم ١٠٤٢ في الزكاة باب كراهية المسألة للناس، والموطأ ٩٩٨/٢ في الصدقة باب ما جاء في التعفيف في المسألة والترمذي

شغل موافق.

إكرام الضيف واداب إسلامية

الوصية رقم (٦٣) عليك بإكرام الضيف فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[1] فإن كان الضيف مقيماً فثلاثة أيام حقُّه عليك، وما زاد فصدقة، وإن كان مجتازاً فيومٌ وليلة جائزته، ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة: كان رضي الله عنه يقول بترك الأسباب التي يُرزق بها الناس، وكان قويَّ اليقين، وكان يدعو الناس الى مقامه والاشتغال بالأهم فالأهم من عبادة الله، فقيل له في ذلك، أي في ترك الأسباب والأكلِ من الكسب وأنه أفضلُ من الأكل من غير الكسب، فقال رضي الله عنه: ألستم تعلمون أن الضيف إذا نزل بقوم وجب ـ بالنص عليهم ـ القيامُ بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيماً؟ فقالوا: نعم، فقال: فلو أنّ الضيفَ في تلك الأيام يأكلُ من كسبه، أليس كان العارُ يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟ فقالوا نعم، فقال: إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافاً عنده فهم في ضيافة الله ثلاثة أيام، وإن يوماً عند ربك كألفِ سنة مما تعدون، فنحن نأخذ ضيافته على قدر أيامه، فإذا كَمُلَتْ لنا ثلاثة أيام من أيام من نزلنا عليه، ولا نحترف ولا نأكل من كسبنا، عند ذلك يتوجه اللوم وإقامةُ مثل هذه الحجة علينا. فانظر يا أخي ما أحسنَ نظرَ هذا الشيخ وما أعظم موافقته للسنة، ولقد نوّر الله قلبَ هذا الشيخ. فحق الضيف واجب، وهو من شُعب الإيمان أعني إكرام الضيف، وكذلك من شعب الإيمان قولُ الخير أو

والترمذي رقم ٦٨٠ في الزكاة باب ما جاء في النهي عن المسألة، والنسائي ٥/٩٦ في الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة. جا ١٠/١٤٦.

(١) الحديث: رواه مسلم والموطأ وهو طرف من حديث ابو شريح العدوي رضي الله عنه. رواه مسلم رقم ٤٨ في الإيمان باب الحث على إكرام الضيف والموطأ ٢/٩٢٩ في صفة النبي ﷺ باب جامع ما جاء في الطعام والشراب. جا ٦/٦٣٩.

الصمتُ عن الشر، يقول الله ﴿لا خَيرَ في كثيرٍ من نجواهم إلا من أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاح بين الناس﴾[١] هذا في النجوى ومخاطبة الناس، وذكرُ الله أفضلُ القول، والتلاوةُ أفضل الذكر. ومن الإيمان وشعبه اجتنابُ مجالس الشرب، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَقْعد على مائدة يُدارُ عليها الخمرُ)[٢] وعليك إذا عملتَ عملاً مشروعاً أن تحسنه، فإنه من حَسّن عمله بلغ أمله، وحسنُ العمل أن تعمله كما شرع الله لك أن تعمله، وأن ترى الله تعالى في عملك إياه فإن رسول الله ﷺ فسّر الإحسان بما ذكرناه، فقال في الثابت عنه (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)[٣] وإذا أردت أن تأتي الجمعة فاغتسل لها فإن الغسل وإن كان واجباً عليك يوم الجمعة لمجرد اليوم فإنه قبل الصلاة للصلاة أفضلُ بلا خلاف، فإذا توضأت كما ذكرتُ لك في باب الوضوء من هذا الكتاب[٤] فامشِ الى الجمعة. وعليك السكينة والوقار، ولا تفرق بين اثنين إلا أن ترى فرجة فتأوي إليها، وتقرّب من الخطيب، وانصتْ لكلامه إذا خطب، ولا تمسح الحصى فإن مسح الحصى لغوٌ، ولا تقل لمتكلم: انصت ـ والإمام يخطب ـ فإن ذلك من اللغو، وفرّغ قلبك لما يأتي به من الذكرى، فإن المؤمن ينتفع بالذكرى، ولتلبس أحسن ثيابك، وتمسّ من الطيّب إن كان معك، ولتُهَجِّر[٥] ما استطعت، وإن أردت الخروجَ من

---

(١) سورة النساء ـ آية ١١٤.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر بن عبدالله، رواه الترمذي رقم ٢٨٠٢ ف الأدب باب ما جاء في دخول الحمام. والنسائي ١/١٩٨ في الغسل باب الرخصة. الرخصة في دخول الحمام، وهو حديث حسن. ٧/٣٤٠.

(٣) الحديث: هو طرف من حديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود النسائي عن أبي هريرة. رواه البخاري في الإيمان سؤال جبريل النبي ﷺ وأبو داود في السنة باب في القدر والنسائي في الإيمان باب صفة الإيمان والإسلام. جا ١/٢١٦.

(٤) يعني به كتاب الفتوحات.

(٥) التهجير: والتهجر: السير في الهاجرة ـ والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر ـ اهـ مختار الصحاح.

الخلاف في التهجير فلتسع إليها في أول ساعة من النهار تكنْ من أصحاب البُدْن، وتدنو من الإمام ما استطعت. وإن كان لك أهل لتجعلهم يغتسلون يوم الجمعة كما اغتسلت، وإن كنت جنباً فاغتسل غُسلين: غسلَ الجنابة، وغسلَ الجمعة فهو أولى، فإن لم تفعل فاغتسل للجنابة فعسى يجزيك عن غُسل الجمعة، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ (مَنْ غسّل واغْسل وبكّر وابْتكر)[1] وعليك بالوضوء على الوضوء فإنه نورٌ على نور، ولقيتُ على ذلك جماعة من الشيوخ ببلاد المغرب يتوضؤن لكل صلاة فريضة وإن كانوا على طهارة، وأما التيمم لكل فريضة فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قياسه على الوضوء وإليه أذهبُ فإن نص القرآن في ذلك، ولولا أن رسول الله ﷺ شَرَع في الوضوء ما شرع من صلاة فريضتين فصاعداً بوضوء واحد لكان حكمُ القرآن يقتضي أن يتوضأ لكل صلاة، وبالجملة فهو أحسن بلا خلاف فإن الوضوء عندنا عبادةٌ مستقلة، وإن كان شرطاً في صحة عبادة أخرى، فلا يخرجه ذلك عن أن يكون عبادة مستقلة في نفسه مراداً لعينه، وتحفّظ أن تؤذي شخصاً قد صلى الصبح فإنه في ذمة الله فلا تُخفِر[2] الله في ذمته، وما رأيت أحداً يحفظ هذا القدر في معاملته الخلقَ، وقد أغفله الناس، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (منْ صلّى الصبحَ فهو في ذمّة الله)[3] فإياك أن يُتْبِعك الله بشيء من ذمته. وحافِظ كل يوم على صلاة اثنتي عشرة ركعة فإنه مَنْ ترك صلاة العصر فقد حبط عمله، وإذا قعدت في مسجد أو في مجلسك

---

(١) الحديث: هو طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أوس بن أوس القفي. رواه أبو داود رقم ٣٤٥ في الطهارة باب الغسل يوم الجمعة والترمذي رقم ٤٩٦ في الصلاة باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة والنسائي ٩٥/٣ في الجمعة باب فضل غسل يوم الجمعة، وهو حديث صحيح وقال الترمذي هذا حديث حسن. جا ٤٢٩/٩.

(٢) أخفره: نقض عهده وغدر ـ والاسم الخفرة ـ بالضم ـ وهي الذمة ـ اهـ مختار الصحاح.

(٣) الحديث: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، رواه الترمذي رقم ٢١٦٥ في الفتن باب من صلى الصبح فهو في ذمة الله وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. جا ٣٩٧/٩.

أو حيث كنت فاقْعد على طهارة منتظراً دخول وقت الصلاة، واجعل موضع جلوسك مسجدك فإن الأرض كلها مسجد بالنص، وإن كان في المسجد المعروف في العرف كان أفضل فإنه من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نُزلاً في الجنة كلما غدا أو راح، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (من تطهّر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوتِ الله ليقضيَ فريضةً من فرائض الله كانت خطواته : إحداهن تحط عنه خطيئةً، والأخرى ترفعُ له درجة)[1].

وعليك من قيام الليل بما يُزيل عنك اسم الغفلة، وأقلُّ ذلك أن تقوم بعشر آيات، فإنك إذا قمت بعشر آيات لم تُكتب من الغافلين، هكذا ثبت عن المبلِّغ ﷺ عن الله، وحافظ في السنة كلها على القيام كل ليلة ولو بما ذكرتُ لك، ولا تُهمل الدعاء في كل ليلة، واجعل من دعائك السؤال في العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فإنك لا تدري متى تصادف ليلة القدر من سنَتِك، فإني قد أريتُها مراراً في غير شهر رمضان، وهي تدور في السنة وأكثَرُ ما تكون في شهر رمضان، ! وأكثرُ ما تكون في ليلة وترٍ من الشهر، وقد تكون في شفعٍ، وقد أريتُها في ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أريتُها في العشر الأوسط من رمضان، فإن زدتَ على عشر آياتٍ من قيام الليل فأنت بحسب ما تزيد، فإن زدت إلى المئة كتبت من الذاكرين، وإن زدت الى الألف كتبتَ من المُقسطين. وعليك بصيام ستة أيام من شوال ولتجعلها من ثاني يوم من شوال متتابعات إلى أن تفرُغ لتخرُجَ بذلك من الخلاف، وإذا قضيت أيام رمضان من مرض او سفر فاقضه متتابعاً كما أفطرته متتابعاً تخرج بذلك من الخلاف، فإن شهر رمضان متتابع في الأيام في الصوم، وإن قدرت أن تشارك في فطرك صائماً أو تُفطّر صائماً فافعل، فإن لك أجرَه أي مثل أجره.

وعليك ـ إن كنت مجاوراً بمكة ـ بكثرة الطواف، فإن طواف كل أسبوع يعدل

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه مسلم رقم ٦٦٦ في المساجد باب المشي الى الصلاة. جا ٩/٤١٥.

عتق رقبة، فأعتق ما استطعت تلحق بأصحاب الأموال مع أجر الفقر، واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله، وإن تعلمت الرميَ فاحذر أن تنساه، فإن نسيان الرمي بعد العلم به من الكبائر عند الله، وكذلك من حفظ آية من القرآن ثم نسيها: إما من محفوظه، وإما من ترك العمل بها، فإنه لا يُعذب أحدٌ من العالمين يومَ القيامة بمثل عذابه، لأنه لا مثل للقرآن الذي نسيه. وعليك بتجهيز المجاهد بما أمكنك ولو برغيف إذا لم تكن أنتَ المجاهد، واخلُفِ الغزاة في أهلهم بخير تكتبْ معهم وأنت في أهلك، واحذر إن لم تغزُ أن لا تحدثَ نفسك بالغزو، فإنك إن لم تغز ولم تحدثْ نفسك بالغزو كنتَ على شعبة من نفاق، واجهد في إعطاء ما يفضل عنك لُمعدِم ليس له ذلك من طعام أو شراب أو لباس أو مركوب. وعليك بتعلم علم الدين، إن عملتَ به عملتَ على علم، أو علمتَه أحداً من الناس كان ذلك التعليمُ عملاً من أعمال الخير قد أتيته، واسأل من الله ما تعلم أن فيه خيراً عند الله، فإنه إن أعطاك ما سألتَ، وإلا أعطاك أجر ما سألت، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يؤيد ما ذكرناه، وذلك أنه قال (مَنْ سألَ الشهادةَ بصدقٍ بلّغه الله منازلَ الشهداء وإنْ ماتَ على فراشه).[1] وعليك بالإحسان إلى كل من تعول، وادعُ الى خير ما استطعت فإنك لن تدعو إلى خير إلّا كنت من أهله، ومن أجابك إليه فلك مثلُ أجره فيما أجابك من ذلك، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (منْ سَنَّ في الإسلام سُنّةً حسنة فله أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها بعده لا ينقُص ذلك من أجورهم شيئاً)[2] ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن سهل بن حنيف. رواه مسلم رقم ١٩٠٩ في الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، وأبو داود، رقم ١٥٢٠ في الصلاة باب في الاستغفار، والترمذي رقم ١٦٥٣ في فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة. والنسائي ٦/٣٦ في الجهاد باب مسألة الشهادة. جا ٩/٥٠٩.

(٢) الحديث: طرف من حديث أخرجه مسلم والنسائي عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه. رواه مسلم رقم ١٠١٧ في الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والنسائي=

أنه سنّ لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام، يقرأ في الأولى (لإيلاف قريش) وفي الأخرى (قلْ هو الله أحد) ومشت سنة في أصحابه، وقد ثبت أنه من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله. وعليك بصلة الأرحام، وحافظْ على النسب الذي بينك وبين الله فإنه من الأرحام، وعليك بإنظار العُسر الى ميسرة، فإن الله يقول ﴿وإن كانَ ذو عُسرة فنَظِرةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾[1] وإن وضعتَ عنه فهو أعظم لأجرك، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (منْ أنظر مُعسراً أو وضعَ عنه أظلّه الله في ظِلّه)[2] وإن الله يوم القيامة يتجاوز عمن يتجاوز عن عباده، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال (مَنْ سرّه أن ينجيه الله من كُرَب يوم القيامة فليُنفّس عن مُعْسر أو يضع عنه)[3].

واعلم أنّ من الإيمان أن تسرّك حسنتُك وتسوءك سيئتك، واحذر من الكبر والغل والدين، واستر عورةَ أخيك إذا أطلعك الله عليها، فإن ذلك يعدل إحياء موؤدة، هكذا ورد النص في ذلك عن رسول الله ﷺ، فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس. وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس، وقد رأينا على ذلك جماعةً من الناس يثابرون عليه، وهو من أفضل الأعمال، وفرّجْ عن ذي الكربة كربتَه، واستر على مسلم إذا رأيته في زلة يطلب التستر بها ولا تفضحه، وأقلْ عثرة أخيك المسلم وخذ بيده كلما عثر، وأقِلْه بَيْعَته إذا استقالك، فإن ذلك كله مرغب فيه مندوب إليه، مأمور به شرعاً وهو من مكارم الأخلاق. وعليك بالزهد في الدنيا ولباس الخشن، فإنه قد ورد أنه

= ٧٥/٥ في الزكاة باب التحريض على الصدقة. جا ٤٥٧/٦.

(١) سورة البقرة ـ آية ٢٨٠.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي عن أبي هريرة. رواه الترمذي، رقم ١٣٠٦ في البيوع باب من انظار المعسر وصححه الترمذي. جا ٤٥٧/٤.

(٣) الحديث: طرف من حديث أخرجه مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه. رواه مسلم رقم ١٥٦٣ في المساقاة باب فضل انظار المعسر. جا ٤٥٨/٤.

(من تَـرَكَ لُبْس ثوبِ جمـال وهو يقـدر عليه كسـاه الله حلة الكرامـة)[1] وهذا ثابت، وكن من الكاظمين الغيظ إذا قدرت عـلى إنفاذه فـإن الله قد أثنى عـلى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وقال ﷺ (مَنْ كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنفِذَه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً)[2]. فمن الإيمان كظُم الغيظ، واحمِ أخاك المؤمن ممن يُريد ضره ما استطعت وبما قـدرت عليه من ذلـك، وإذا نزل بـك ضر فلا تُنزِلَه إلا بالله، ولا تسأل في كشفه إلا الله، وإن قلت بـالأسباب فـلا يَغِب الله عن نظرك فيها، فإن الله في كل سبب وجهاً، فليكن ذلك الوجهُ من ذلك السبب مشهوداً لك. واعلم انه ما من نبي إلا وقد أنذر لأُمَّته الـدجال، وأن رسـول الله ﷺ كان يستعيـذ من فتنة الـدجال تعليـماً لنـا أن نستعيـذ من ذلك، وفي الاستعاذة من فتنته وجهان: الـوجه الـواحد: الاستعـاذةُ من فتنته حتى لا نصدقه في دعـواه وأن تُعصم منه، ومن أراد أن يعصمـه الله من ذلك فليحفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف فإنه يعصم بهـا من فتنة الـدجال، والـوجه الآخـر: أن تُعصم من أن يقوم بـك من الدعـوى ما قـام بالـدجـال فتدعيَ لنفسك دعوتَه، فإنك مستعـدٌ لكل خـير وشر يقبله الانسان من حيث ما هو إنسان، وثابرما استطعت على أن تسـألِ الله الوسيلةَ لـرسول الله ﷺ، فإنه ﷺ قد سأل منّا ذلك، فالمؤمن من أسعفه في سؤاله مع مـا يعود عليـه في ذلك من الخير، أدناه: وجوب الشفاعة له يوم القيامة إن اضطر إليها، وإذا رأيت من يعمل في تحصيل خير فأعِنْه على ذلك بما استطعت، ولا تمنع رِفدك ممن استرْفدك. وإياك أن تجْلد عبدك فوق جنايته، وإن عفوت فهو أصلح لك فإنك عبدُ الله ولك إساءةٌ تطلب من الله العفو عنك لها، فاعفُ عن عبـدك،

---

(١) الحديث: هو طـرف من حديث أخـرجه ابـو داود عن انس بن معاذ بن أنس الجهني رواه أبـو داود رقم ٤٧٧٨ في الأدب باب من كظم غيظاً وإسناده ضعيف. جا ٨/٤٤٣.

(٢) الحديث: أخرجه الترمـذي عن سهل بن معـاذ بن أنس الجهني رواه الترمـذي رقم ٢٤٨٣ في البر والصلة باب ما جاء في كـظم الغيظ، وأبو داود رقم ٤٧٧٧ في الأدب بـاب كظم غيـظاً، ورواه أحمد في المسند وابن ماجه وغيرهم وهو حديث حسن بشواهده. جا ٨/٤٤٣.

ولا تأكل وحدك ما استطعت ولو لقمة تجعلها في فم خادمك من الطعام الذي بين يديك إذا لم يُجبْك إلى الأكل معك، واستغن بالله صدقاً من حالك فإن الله لا بدّ أن يغنيك، فإن استغناءك بالله من القرب إلى الله، وقد ثبت أنه (من تقرّب إلى الله شبراً تقرّب الله منه ذراعاً)[1] الحديث، وكذلك من يستَعِفُّ بالله، روي أن بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزوج فجاءه ولد، وما أصبح عنده شيء، فأخذ الولد وخرج ينادي به: هذا جزاءُ من عصى الله، فقيل له: زنيت؟ فقال: لا، وإنما سمعتُ الله يقول في كتابه العزيز ﴿ولْيَسْتَعْفِفِ الذينَ لا يجدونَ نِكاحاً حتى يُغنيهم الله من فَضْلِه﴾[2] فعصيت أمر الله وتزوجتُ وأنا لا أجد نكاحاً فافتضحتُ، فرجع إلى منزله بخير كثير. وإن قدرت على العتق فاعتق رقبة، وإن لم تجد مالاً ويكون لك علم فاهدِ به رجلاً منافقاً أو كافراً أو رُدَّ به مسلماً عن كبيرةٍ فإنك تُعتقه بذلك من النار، وهو أفضل من عتق رقبة من ملك أحد في الدنيا، وفكاك العاني أولى من عتق العبد، فإنه عتقٌ وزيادة. واعلم ان الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرض ميتة فليحيي أرضَ بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله تعالى، وليحيي مواضعَ الغفلة بذكر الله فيها، وليحيي العمل بإخلاصه فيه، وإن أردت أن لا يضرك في يومك سحرٌ ولا سمٌّ فتصبح بسبع تمراتٍ من العجوة أو تتسحر بها إن أصبحت صائماً، فإنه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ وعليك بخدمة الفقراء إلى الله، ومجالسةِ المساكين، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموماً وخصوصاً، وصحبةِ الصالحين والتحبب إليهم، وانوِ في جميع حركاتك خيراً مشروعاً، فإنك لما نويت. وإذا رأيت من أعطاه الله مالاً وفَعَل فيه خيراً أو حرمَكَ الله ذلك المال، فلا تحرِمْ نفسك أن تتمنى أن تكون مثله،

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه البخاري عن أنس بن مالك، رواه البخاري ١٣/٤٢٧ في التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه. جا ٩/٥٥٧.

(٢) سورة النور ـ آية ٣٣.

فإن الله يأجرك مثل أجره وزيادة، وإذا جلست مجلساً فاذكر الله فيه ولا بد، وإياك أن تُحْرَم الرفق فإنك إن حرمت الرفق فقد حرمت الخير كله وأجِرْ من استجارك إلا في حدٍّ من حدود الله، فإن كان في حد من حدود الخلق فأصلح في ذلك ما استطعت بينه وبين صاحب الحق ولا تسلمه، ولو مضى فيه جميعُ مالك. وإذا رأيت من يستعيذ بالله فأعذه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة فلما دخل عليها استعاذت بالله منه لشقاوتها فقال (عُذْتِ بعظيمٍ، إلحقي بأهلِكِ)(١) فطلّقها ولم يقربها وأعاذها، وإذا سألك أحدٌ بالله ـ وأنت قادرٌ على مسألته ـ فأعطه، وإن لم تقدر على مسألته فادعُ له، فإنك إذا دعوت له مع عدم القدرة فقد أعطيته ما بلغتْ إليه يدك من مسألته، فإن الله لا يكلف نفساً إلا ما آتاها، وإذا أسدى إليك أحد معروفاً فلتكافئه على معروفه، ولو بالدعاء إذا عجزت عن مكافأته بمثل ما جاءك به. وإذا أسديت أنت إلى أحدٍ معروفاً فأسْقِطْ عنه المكافأة ولتُعْلِمْه بذلك، ولتُظْهِر له الكراهةَ إن كان كافأك حتى تريحَ خاطره، ولا سيما إن كان من أهل الله، فإن جاءك بمكافأة على ذلك وتعلم منه أنه يعز عليه عدمُ قبولك لذلك فاقبله منه، وإن علمت أنه يفرح بردّك عليه بعد أن وفّى هو ما وجب عليه من المكافأة فردّ عليه بسياسة وحسن تلطف، واجعل لك الحاجة عنده في قبول ما رددت عليه من ذلك حتى يتحقق أنه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددت عليه من المكافأة.

وإياك أن تدعي ما ليس لك فإن ذلك ليس من المروءة مع ما فيه من الوزر عند الله، وإن رُميت بشيء مذموم فلا تنتصر لنفسك واسكت، ولا تتعرّض لمن رماك بأنه يكذب، ولا تقرْ على نفسك بما لم تفعل مما نسب إليك، وهكذا فعل ذو النون مع المتوكل حين سأله عما يقول الناس فيه من رمْيه بالزندقة، فقال يا أمير المؤمنين: إن قلتُ (لا) أكذبتُ الناس، وإن قلتُ (نعم) كذبتُ

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه البخاري والنسائي عن عائشة، رواه البخاري ٩/٣١١ في الطلاق باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق، والنسائي ٦/١٥١ في الطلاق باب مواجهة الرجل بالطلاق جا ١١/٤٢٠.

على نفسي، فاستحسن ذلك منه أميرُ المؤمنين، وما قُبِلَ فيه قولَ قائل وردّه مكرماً إلى مصر واعتذر له، وحكايته في ذلك مشهورةٌ ذكرها الناس، وقد ثبتت الأخبار الصحيحة في أثم من ادعى ما ليس له، أو اقتطع ما لا يجب له من حق الغير. واحذر في يمينك أن تحلف بملةٍ غير ملة الإسلام، أو بالبراءة من الإسلام، فإنك إن كنت صادقاً فلن ترجع إلى الإسلام سالماً، ولتجدد إسلامك إذا فعلت مثل ذلك، ومع هذا لا تحلف إلا بالله فإنك إن حلفت بغير الله كنتَ عاصياً للنهي الوارد في ذلك، وإن حلفت على يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها فكفّر عن يمينك، ولتأتِ الذي هو خير، وإياك والكذبَ في الرؤيا أو الكذبَ على الله أو على رسول الله ﷺ، أو تحدّث بحديثٍ ترى أنه كذب فتحدث به ولا تبين عند السامع أنه كذبٌ، واحذر أن تسمع حديثَ قوم وهم يكرهون أن تسمعه فإنه نوعٌ من التجسس الذي نهى الله عنه، واحذر أن تُخبِّب[1] امرأةً على زوجها أو مملوكاً على سيده، واحذر أن تنام على سطحٍ ما له احتجاز، فإن فعلت فقد برئت منك الذمةُ، واحذر أن تحب قيامَ الناس لك وبين يديك تعظيماً لك، وهذا كثير في هذه البلاد ـ أعني العراق وما جاوره ـ فما رأيتُ منهم أحداً يسلمُ من حب ذلك مع علمهم بما فيه، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم، فما ظنّك بأمتهم؟، وقمتُ مرةً لأحدهم، فقال لي: لا تفعل، وقال لي: إن النهي قد ورد في ذلك، فقلت له يا فقيه: أنت المخاطب أن لا تُحِبّ ذلك، وأن يتمثل الناس بين يديك قياماً، ما أنا المخاطبُ بأني لا أقوم لمثلك، فتعجبَ من هذا الجواب واستحسنه، وكان من علماء الشريعة. وإياك أن تقْبَل هدية من شفعت له شفاعة، فإن ذلك من الربا الذي نهى الله عنه بنص رسول الله ﷺ في ذلك، ولقد جرى لي مثل هذا في تونس من بلاد افريقية: دعاني كبيرٌ من كبرائها

(١) خب ـ خبأ، وخبأ ـ بالفتح والكسر ـ صار خداعاً ـ وخببه: خدعه وأفسده ـ يقال: خبب على فلان صديقه، أي أفسده عليه، والخباب: الخداع، اه. منجد.

يقال له: ابنُ مغيث إلى بيته لكرامة استعدها لي، فأحببتُ الداعي، فعندما دخلتُ بيته وقدّم الطعام، طلب مني شفاعة عند صاحب البلد، وكنتُ مقبولَ القول عنده، متحكماً فأنعمت في ذلك وقمتُ وما أكلتُ له طعاماً ولا قبلتُ منه ما قدمه لنا من الهدايا، وقضيتُ حاجته ورجع إليه ملكه، ولم أكن بعدُ وقفتُ على هذا الخبر النبوي، وإنما فعلتُ ذلك مروءة وأنفةً، وكان عصمةً من الله في نفس الأمر، وعنايةً إلهية. وإياكَ أن تشفعَ عند حاكم في حد من حدود الله. كُلِّم ابن عباس في رجل أصاب حداً من حدود الله أن يُكلم الحاكم فيه فقال ابن عباس (لعَنَني الله إن شفعتُ فيه، ولعن الله الحاكم إن قَبِلَ الشفاعة فيه، لو أردتم ذلك لجئتموني قبل أن يصل الى الحاكم) وكان سارقاً، ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ (من حالتْ شفاعتُه دون حدٍّ من حدودِ الله فقد ضادّ الله)[1] وإياك أن تخاصم في باطلٍ فتسخط الله عليه، وكذلك لا تعن على خصومة بعلم تدفع به حقاً، فإن النبي ﷺ يقول فيمن أعانَ على ذلك إنه يبوء بغضبٍ من الله، ولا تقل في مؤمن ما ليس فيه مما يشينه عند الناس، وقد ثبت أنه (من رمى مسلماً بشيء يريد شَيْنَه حبسه الله على جسر جهنم[2] حتى يخرج مما قال)[3] يعني يتوب. واحذر أن تأكل الدنيا بالدين، أو تأكل مالَ أحدٍ بإخافته فيعطيك اتقاءً، وإياك أن تُسمّع فيسمعَ الله بك، سمعت شيخنا المحدث الزاهدَ أبا الحسنِ يحيى بن الصائغ بمدينة سبتة ونحن بمنزله يقول: (أكلُ الدنيا بالدف والمزمار خيرٌ لي من أني آكلها بالدِّين)

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه أبو داود عن يحيى بن راشد رحمه الله، ورواه أبو داود رقم ٢٠٩٧ في الأقضية باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، ورواه أيضاً أحمد في المسند واسناد هذه الرواية حسن. جا ٣/٥٩٩.

(٢) جمر جهنم ـ نسخة.

(٣) الحديث: طرف من حديث أخرجه أبو داود عن معاذ بن أنس الجهني. رواه أبو داود رقم ٤٨٨٣ في الأدب باب من رد عن مسلم غيبه ورواه أحمد أيضاً في المسند واسناده ضعيف. جا ٨/٤٤٩.

وكُفّ لسانَك عن اللعنة ما استطعت، فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعتْ عليه اللعنة، أي بَعُدَ عنه الخير الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنه، ولقد روينا عن رجلٍ كان في غزاة فضاع له آلة من آلات دابته، فسئل عن الضائع فقال: راح في لعنة الله، ثم إن الرجل استشهد في تلك الغزاة، فرآه إنسان في النوم فسأله: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الله وزن لي كلَّ ما عندي حتى روثَ الفرس وبولَه جعله في ميزاني وأثابني به، فلم أرَ في الميزان سرجَ الدابة الذي كان ضاع لي، فقلت: يا ربِّ وأين سرجُ دابتي؟ فقال: هو حيث جعلته في لعنة الله حين سُئلتَ عنه، فحرم خيرَه فعادت لعنة السرج عليه بهذا المعنى، ! وكان رسول الله ﷺ في سفر فسمع امرأة تلعن ناقتها، فأمر بها فسيِّبت، وقال: (لا يصحبنا ملعون)[1] فطردت من الركب، قال الراوي: فلقد كنّا نراها تطلب أن تلحق بالركب والناس يطردونها فتركناها منقطعة، فكانت عقوبة صاحبتها أن بَعُدَ عنها خيرُها وهو ركوبها، فحالت اللعنة عليها فإن اللعنة البعدُ. واحذر ان تكفِّر مؤمناً فإن تكفير المؤمن كقتله، ولا تهجر أخاك فوق ثلاث، فإذا لقيته بعد ثلاث فابدأه بالسلام تكنْ خيرَ الشخصين المتهاجرين، ولما هجر الحسنُ محمدَ بنَ الحنفية أخاه وتهاجر، أنفذ إليه محمدُ بن الحنفية بعد ثلاث فقال: [يا أخي يا ابنَ رسولِ الله، إنْ رسولَ الله ﷺ يقول: (لا يهجر أحدكم أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصدّ هذا ويصدّ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام)[2] وقد فرغت الثلاث: فإما أن تأتيني فتبدأني بالسلام، فإنك خيرٌ مني، وإن كنا ابني رجلٍ واحد، فأنت سبطُ رسول الله

(١) الحديث: هذا الحديث وارد في كتب السيرة ولم أجده في المخرجات.
(٢) الحديث: أخرجه الجماعة إلا النسائي عن أبي أيوب الأنصاري، رواه البخاري ٤١٣/١٠ في الأدب باب الهجرة. ومسلم رقم ٢٥٦٠ في البر باب تحريم الهجر فوق ثلاث، والموطأ ٩٠٦/٢ في حسن الخلق باب ما جاء في المهاجرة، وأبو داود رقم ٤٩١١ في الأدب باب فيمن يهجر أخاه المسلم، والترمذي رقم ١٩٣٣ في البر والصلة باب ما جاء في كراهية الهجر للمسلم. جا ٦/٦٤-٦٤.

ﷺ، فإن خير الرجلين المتهاجرين من يبدأ بالسلام، وإن لم تفعل جئتُ إليك فبدأتك بالسلام] فشكره وركب دابتَه، وقصد إلى منزله، فبدأه بالسلام، فانظر ما أحسنَ هذا كيف آثرَ على نفسه مَنْ عَلِم أنه أفضلُ منه يرجو بذلك المنزلةَ والمحبةَ عند رسول الله ﷺ، فهكذا ينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه ويأتيَ الأفضلَ فالأفضلَ ويعرف الفضلَ لأهله، وقد ثبت أنه (من هجر أخاه سنة فهو كسفْك دمه)(١) وإياك واللعبَ بالنَّرْد(٢) فإن في اللعب بالنرد معصية الله ورسوله، وفي الشطرنج(٣) خلافٌ، وكلُّ ما فيه خلاف فالاحتياط أن تخرج من الخلاف باجتنابه، واجتنب القمار بكل شيء مطلقاً.وكلُّ ما تغفلُ باللهو به عن أداء فرض من فروض الله عليك، أو عن ذكر الله فاجتنبه، دخل بعض أهلِ الله من العلماء على قوم يلعبون الشطرنج فقال: (ما هذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون؟) وإن كان اللعب بالشطرنج حلالاً فالمصور له مأثوم ينطلق عليه اسمُ المصورين، وأخبرني الزكي شيخنا أحمدُ بن مسعود بن شداد المقري الموصلي بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله ما تقول في الشطرنج؟ (يعني في اللعب به) قال رسول الله ﷺ (حلالٌ) وكان الرائي حنفيَّ المذهب، قال: فقلت: والنرد؟ قال: (حرام) قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في الغناء؟ قال (حلال) قلت: والشبَّابة؟ قال: (حرام) قال: قلت: يا رسول الله ادعُ لي فقد مستني الحاجة أو كما قال بما هذا معناه، قال ﷺ: (رزقك الله ألفَ دينار،

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٤٩١٥ في الأدب فيمن يهجر أخاه المسلم وفي سنده الوليد بن ابي الوليد وهو لين الحديث كما قال الحافظ في التقريب ورواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبو فراش السلمي. جا ٦٤٧/٦.

(٢) النرد: كلمة فارسية، جوالق واسع الأسفل، مخروط الأعلى، يتخذ من خوص النخل لعبة وضعها أحد ملوك الفرس، وتعرفها العامة بلعب الطاولة ـ اهـ منجد.

(٣) الشطرنج: لعبة مشهورة، معرب شترنك ـ بالفارسية ـ أي: ستة ألوان، وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه. اهـ منجد.

وكلُّ دينارٍ أربعةُ دراهم) واستيقظتُ فدعاني الملك الناصر صلاحُ الدين يوسفُ بن أيوبَ رحمه الله في شُغل، فلما انصرفتُ من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم، فما بتُّ إلا والدراهم عندي كاملةٌ التي عيّنها لي في دعائه ﷺ ، قال: فاعتقدت من تلك الساعة تحليلَ الشطرنج الذي كنتُ أعتقد تحريمه وتحريمَ الشبابة، وكنتُ أعتقد النقيض في هذين الشيئين. وإياك وتصديقَ الكُهّان وإن صدقوا، واجتنب ما استطعتَ الاستمطار بالأنواء، وعلمُ النجوم اجتنبه مطلقاً احتياطاً إلا ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات، والوقوفُ عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيلِ السعادة، وما نُدَنْدِن[1] إلا على ذلك، واحذر أن تنام وفي يدك دَسَمٌ أو على ظاهر فمك من أجل الهوام والشياطين، وإياك أن تشُقّ على أحدٍ ولا تُضارِرْهُ، ولا تكن ذا وجهين تأتي قوماً بوجه، وقوماً بوجه، واحذر من الاحتكار لانتظارِ الغلاء لأمة محمد ﷺ ، ولا تتخذ كلباً إلا أن تكون في أمرٍ تطلب الحراسةَ فيه أو صيدٍ، ولا تغضب مسلماً شيئاً ولا ذمياً ولا ذا عهد، وإذا ضربتَ مملوكاً أو مملوكةً حداً لم يأته، أو لطمته في وجهه فأعتقه فإن كفارةَ فعلك به ذلك عتقُه، ولا ترمِ مملوكك ولا مملوكتك بالزنى من غير علم، فإن الله يقيم الحدَّ عليك في ذلك يومَ القيامة، واحذر من اتّباع الصيد والمداومة عليه ولزومِ البادية، فإن الصيدَ يورث الغفلة، وسكنى البادية يورثُ الجفاءَ، وإياك وصحبةَ الملوك، إلا أن تكون مسموعَ الكلمة عندهم فتنفعَ مسلماً أو تدفع عن مظلوم أو تردّ السلطان عن فعلٍ ما يؤدي الى الشقاء عند الله. وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرتَ طاعة، فإن نذرت معصيةً فلا تعصِ الله وكفِّر عن ذلك كفارةَ يمين فإنه أحوطُ وأرفعُ للخلاف، وعليك بطاعةِ أولي الأمر من الناس ممن ولاه السلطان أمرَك، فإن طاعة أولي الأمر واجبةٌ بالنص في كتاب الله، وما لهم أمرٌ يجب

---

(١) الدندنة: أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول. وفي الحديث «حولها ندندن» اهـ مختار الصحاح.

علينا امتثال أمرهم فيه إلاّ المباحُ لا الأمرُ بالمعاصي، فإن غصبوك فاقبل غصبهم في بعض أحوالك، وإن أمروك بالغصب فلا تَغْصِب، ولا تفارق الجماعةَ ولا تُخْرِج يداً من طاعة، ولا تنازع الأمرَ أهله فتموتَ مِيتَةً جاهلية بنص رسول الله ﷺ ، ولا تَخْرُج على الأئمة، ولا تنازع الأمر أهله، وقاتل مع الأعدل من الاثنين، وأوفِ لذي العهد بعهده، ولذي الحقّ بحقه، ولا تحمل السلاحَ في الحرم لقتال، وإذا دخلت السوقَ بسهام فأمسك على نصالها لا تعقر أحداً وأنت لا تشعر، ولا تمازح أخاك بحملِ السلاح عليه، وأكرمْ شَعْرَكَ وغِبّ[1] بترجيله، واكتحل، وإذا اكتحلت فاكتحل وتراً واشرب مصاً ولا تتنفس في الإناء إذا شربت، وأزلِ الإناء عن فمك، وكُلْ بثلاثةِ أصابع وصغِّر اللقمة وكَثِّر مَضْغَها، ولا تشرعْ في لقمة أخرى حتى تبتلعَ الأولى، وسمّ الله عند قطع كل لقمة، واحمدِ الله إذا ابتلعتها واشكره على أنه سوّغك إياها، ولا تجلس في مجلس أحدٍ إذا قام منه بنية الرجوع إليه إلا أن يفارقه ولا يريدَ الرجوع إليه، وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا قام أحدٌ إليه من مكانه ليجلسه فيه يمتنع عليه ولا يجلس فإن القائم أحق به بنص رسول الله ﷺ ، ولا ترد طيباً إذا عرض عليك ولا لَبَناً ولا وِسادةً إذا قُدِّم إليك شيءمن هذا كله، وإذا أخذتَ ديناً فانوِ قضاءه ولا بدّ فإن الله يقضيه عنك إذا نويت ذلك، واعدل بين نسائك وفي رعيتك إن كنت راعياً تسعد إن شاء الله تعالى.

تحريم التقليد والعمل بمقتضى الدليل

الوصية رقم (٦٤)

والذي أوصيك به إن كنت عالماً فحرامٌ عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك، ويحرمُ عليك تقليدُ غيرك مع تمكنك من حصول الدليل، وإن

---

(١) الغب: بالكسر. وغب كل شيء: عاقبته. وفي الحديث «أغبوا في عيادة المريض وأربعوا» يقول: عد يوماً، ودع يوماً، أو دع يومين وعد اليوم الثالث. اهـ مختار الصحاح. وكذلك يقال في ترجيل الشعر. وترجيل الشعر: تجعيده، أو إرساله بمشطه. اهـ مختار الصحاح.

لم تكن لك هذه الدرجة وكنت مقلداً فإياك أن تلتزم مذهباً بعينه، بل اعمل كما أمرك الله، فإن الله أمرك أن تسأل أهلَ الذكر إن كنتَ لا تعلم، وأهل الذكر هم العلماء بالكتاب والسنة فإن الذكر القرآن بالنص، واطلب رفع الحرج في نازلتك ما استطعت فإن الله يقول سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ عليكم في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] وقال النبي ﷺ: (دينُ الله يُسْرٌ)[2] فاسألْ عن الرخصة في المسألةِ حتى تجدها، فإذا وجدتها اعمل بها، وإن قال لك المفتي: هذا حكم الله أو حكمُ رسوله في مسألتك فخذ به، وإن قال لك: هذا رأيي فلا تأخذ به، واسأل غيرَه، وإن أردتَ أن تأخذ بالعزائم في نوازلك فافعلْ، ولكن فيما يختص بك، ورفع الحرج هو السُّنة، وإذا علمتَ علماً من علوم الشريعة فبلّغه مَنْ لا يعلمه تكن من حملة العلم لمن لا يعلم، وإياك أن تكتم ما أنزل الله من البيّنات للناس إذا علمت ذلك، وعليك بالسماحة في بَيْعك وابتياعك، وإذا قضيت فكن سمحاً في اقتضائك، واجتنب الوَشْمَ[3] أن تعمله أو تأمر به، وكذلك التنميص وهو: إزالة الشعر من الوجه بالنّماص، والنماص: هو الذي يسميه العوام التحفيف وكذلك التفليج[4] فإن رسول الله ﷺ لعن الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرةَ (وهي التي تفلج أسنانها) والواصلة والمستوصلةَ المغيّرات خلقَ الله، والواصلة: هي التي تصل شعرها، واحذر أن تُعَيّر عباد الله بما ابتلاهم الله به في خلقهم وفي خلقهم وما قدّر عليهم من المعاصي، واسألِ الله عزّ

---

(١) سوة الحج ـ آية ٧٨.

(٢) الحديث: ورد برواية أخرى للبيهقي عن ابي هريرة وهي: الدين يسر ولن يغالب الدين أحد إلا غلبه. كشف ١/٤٩٨.

(٣) وشم يده ـ من باب وعد ـ إذا غرزها بإبرة ثم ذر عليها النؤر ـ وهو النيلج ـ وفي الحديث «لعن الله الواشمة والمستوشمة» اهـ مختار الصحاح.

(٤) الفلج: في الأسنان ـ بفتحتين ـ تباعد ما بين الثنايا والرباعيات. اهـ مختار الصحاح.

وجلّ العافيةَ ما استطعت، وكن على نفسك لا تكنْ لها إن أردت أن تُسعدها عند الله، وإياك وما تستحليه النفسُ إلا أن يكون معها الشرعُ في ذلك فهو الميزان. وإياك أن تذبح ذبيحة لغير الله، ولا تأكل مما أهِلّ[1] لغير الله وما لم يذكر اسمُ الله عليه فإنه فسقٌ بنص القرآن، ولا يستملك أهلُ الذمّة إلى ما يتبركون به في دينهم، فإن ذلك من الأمور المهلكة عند الله، ولقد رأيتُ بدمشق أكثر نسائها يفعلن ذلك ورجالهن يسامحونهن في ذلك، وهو أنهم يأخذون الصبيان الصغارَ ويحملونهم الى الكنيسة حتى يبركَ القِسُّ عليهم ويرشونهم بماء المعمودية بنية التبرك، وهذا قرينُ الكفر بل هو الكفرُ عينُه، وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام، ويقرّبون القرابين لذلك. واحذر أن تؤاوي محدثاً أحدث في دين الله أمراً يبعد عن الله ويرده الدين، مثلُ الذي ذكرناه، وإياك أن تغير حدودَ الأرض فإن ذلك غصبٌ، وقد لعن رسول الله ﷺ من غيّر منارَ الأرض، واحذر أن تُمثّل بحيوان أو تتخذه غرضاً أو يتخذه غيرُك ولا تنهاه عنه، وإياك ونكاحَ البهائم، ولقد كانَ عندنا رجلٌ صالح قليلُ العلم قد انقطع في بيته فاشترى حمارةً لم تُعلم له حاجة إليها، فسأله بعضُ الناس بعد سنين قالوا له: ما تصنع بهذه الحمارة، وما لك إليها حاجة ولا تركبها؟ فقال: يا أخي ما اشتريتها إلا عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني، فقال له: إن ذلك حرامٌ، فبكى وتاب إلى الله من ذلك وقال: والله ما علمتُ، فعليك بالبحثِ عن دينك حتى تعلمَ ما يحل لك أن تأتي منه مما لا يحل لك أن تأتيه في تصرفاتك.

---

(١) أهل المعتمر: رفع صوته بالتلبية ـ وأهل بالتسمية على الذبيحة ـ رفع صوتها بها، وقوله تعالى ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي نودي عليه بغير اسم الله تعالى ـ وأصله: رفع الصوت. اهـ مختار الصحاح.

المغفرة والستر من الذنب

الوصية رقم (٦٥)

إذا سألت المغفرة: وهي طلب الستر، فاسألْ أن يسترك عن الذنب أن يُصيبك، فتكونَ معصوماً أو محفوظاً ، وإن كنت صاحبَ ذنبٍ فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبةُ الذنب، وإياك أن تظهر إلى الناس بأمر يعلم الله منك خلافه، ولقد أخبرني الثقة عندي من الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي، كان بمصر يخدمه أبو عبدالله القرشي المبتلى، فدخل الشيخ مرة فسمعه يقول في دعائه (اللهم يا ربِّ لا تَفْضَح لنا سريرة) فصاح فيه الشيخ وقال له: (الله يفضحُك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبدالله، ولأي شيء تظهر لله بأمرٍ وللناسِ بخلافه؟ اصْدق مع الله عزّ وجلّ في جميع أحوالك، ولا تُضمر خلاف ما تُظهر) فتاب إلى الله تعالى من ذلك ورجع، وليس للمغفرة مُتعلّق إلا أن يسترك من الذنب، أو يسترك من العقوبة عليه، يقول الله سبحانه لنبيه ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لك ا لله ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] فما تقدّم لا يعاقبك عليه، وما تأخر لا يصيبُك، وهذا إخبارٌ من الله بعصمته ﷺ. أخبرني سليمانُ الديبلي وكان عبداً صالحاً فيما أحسب كثيرَ البكّاء، وكان له أنسٌ بالله - فقعدت معه بمقصورة الدولقي زاوية عائشة بجامع دمشق، وجرى بيني وبينه كلامٌ، فقال لي: يا أخي لي والله أكثرُ من خمسين سنة ما حدّثتني نفسي بمعصية قطُّ ولله الحمد على ذلك. واحذر يا أخي من التنطع[2] في الكلام والتمشدق، وإياك أن يستعبدك غيرُ الله في عرض من عروض الدنيا فإنك عبدٌ لمن استعبدك، وإياك والكبرَ والجبروتَ، وتفقد مصالح ما عندك من الحيوانات من بهيمة وفرسٍ وجمل وهرّة وغير ذلك. ولا تغفل عنهم فإنهم خُرْس وأماناتٌ بأيديكم إذا أنتم حبستموها عن مصالحها، وإياك أن

---

(١) سورة الفتح - آية ٢.

(٢) التنطع في الكلام: التعمق - وتنطع في الكلام: تفصح فيه وتعمق ورمى بلسانه الى نطع الفم. والنطع: ما ظهر في داخل الفم من الغار الأعلى، فيه آثار كالتحزيز اهـ. منجد.

تُحدّث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه فيصدقك وأنت فيه كاذبٌ، ولا تحقر أخاك شيئاً من نعم الله وإن قلّ ولا تزدرِ واحداً من عبادِ الله، واملك نفسَك عند الغضب، وعليك بتحمل الأذى من عباد الله والصبر عليه، فليس أحدٌ أصبرَ على أذى يسمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم، فاجعل الحق إمامك وعاملْ عباده بما عاملهم به. نزل مشركٌ بإبراهيم الخليل عليه السلام فاستضافه، فقال له إبراهيم عليه السلام: (حتى تُسْلِمَ) فقال: يا إبراهيم لا أفعل، وانصرف، فأوحى الله إليه: ﴿**يا إبراهيم من أجل لقمة يتركُ دينه ودينَ آبائِه؟ إنه ليشرِكُ بي منذ سبعين سنة وأنا أرزقُه**﴾ فخرجَ الخليلُ عليه السلام في أثرِ الرجل، فعرَض عليه الرجوعَ فاستخبره عن ذلك، فأخبره بِعَتْبِ الله له في ذلك فأسلم المشرك. وعليك بترتيل القرآن والتغني به وذلك بأن تحبّره[1] وتستوفيَ حروفه، وإياك أن تدعوَ إلى عصبية بل ادعُ إلى الله، وإذا كنتَ في سفر فلا تصُم فإن ذلك ليس من البر عند الله تعالى، وإن كنتَ ولا بد صاحِبَ لهوٍ فبامرأتك وفرسك وسهامك، واجتنب الأسترقاءَ[2] والاكتواءَ والطِّيرة إن أردتَ أن تكون من السبعين ألفاً الذين يدخلونَ الجنة بغير حساب، وعليك بفعل البرّ في يوم الاثنين ويومِ الخميس فإنهما يومان تُعْرض فيهما الأعمال على الله، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما، ويقول (إني أُحبُّ أنْ يُرْفَعَ عملي وأنا صائم)[3] فإن الصوم عبادةٌ تستغرق النهارَ كله، سواءٌ غفل العبد عن عبادة

---

(١) تحبير الخط والشعر وغيرهما: تحسينه. اهـ مختار الصحاح.

(٢) الرقية: معروفة ـ والجمع: رقى، واسترقاه فرقاه، يرقيه رقية (بالضم) فهو راق اهـ مختار الصحاح.

(٣) الحديث: طرف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي رقم ٧٤٧ في الصوم باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس وفي سنده محمد بن رفاعة بن ثعلبة القرظي لم يوثقه غير بن حبان ثال الحافظ منكر الحديث وباب في رجاله ثقات ولكن للحديث شواهد بمعناه منها الذي بعده ولذلك قال الترمذي حديث أبي هريرة حديث حسن غريب. جا ٦/٣٢٢.

ربه في ذلك اليوم أو لم يغفل، فإنه في عبادة صومه بما نواه، وإياك والشحناء فإنها نظير الشرك في عدم المغفرة عند الله. واعلم أن العبدَ يُبعث على ما مات عليه، فلا تمت إلا وأنت مسلم، وإياك وصحبةَ من تفارقه ولا تصحب إلا من لا يفارقك وهو العمل، فاجعل عملك صالحاً تأنس به وتُسرّ، واجعله لك لا عليك، واعلم أن القبر خزانة أعمالك فلا تخزن فيه إلا ما إذا دخلت إليه يسرك ما تراه، يقول بعضهم:

يـا مَنْ بِـدُنيـاهُ اشتغَـلْ — وغَـرَّهُ طـولُ الأمـلْ
ولَمْ يَـزَلْ في غَـفْـلَةٍ — حَـتّى دَنَـا مِنْـهُ الأجَـلْ
المَـوْتُ يـأتي بَـغْـتَـةً — والقبرُ صنـدوقُ العَمَـلْ

يرجع عن الميت أهله وماله، ويبقى معه عمله، أشقى الناس يوم القيامة من أمر بالمعروف ولم يأتِه، ونهى عن المنكر وأتاه. وعليك بكسب الحلال وطيبِ المطعم، وفِر بدينِك من الفتن إذا وقعتْ، في الناس وظهرتْ، وإياك والحرصَ على المال، واحذر أن تسبَّ الدهرَ فإن الله هو الدهر، وإن أردت به الزمانَ فما بيد الزمان شيءٌ بل الأمر بيد الله، لا تقل: مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدقتَ فأمضيت؟ وما بقي بعد ذلك فعليك لا لك، وأنت مسؤول عما جمعت، من أين جمعتَ؟ وفيم أنفقتَ؟ ولم اختزنت؟ لا تتزوج من النساء إلا ذاتَ الدين فإن من أعظم النعم على العبد المرأة الصالحة تُعين على الدِّين، ولا تكفُرْ العشير، كن من حملة العلم تكنْ عدلاً بشهادة رسول الله ﷺ فإنه قال (يحمل هذا العلم من كُلِّ خَلَفٍ عُدُوله)[1] ابدأ بالسلام على مَنْ هو أكبرُ منك، وابدأ بالسلام على

---

(١) الحديث: رواه ابو هريرة وعبدالله بن عمر رفعه أخرجه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه الى الوضع والحديث بكماله «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين» مجمع الزوائد ج ١/ ١٤٠.

الماشي إن كنت راكباً، وعلى القاعد إن كنت ماشياً، ولقد جرى لي مع بعض الخلفاء رضي اللهعنه ذات يوم، كنا نمشي ومعنا جماعة، وإذا بالخليفة مقبلٌ فتنحينا عن الطريق، وقلت لأصحابي: مَنْ بدأه بالسلام أبخسته، فلمّا وصل وحاذانا بفرسه، انتظرنا أن نسلم عليه كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاء والملوك، فلم نفعل، فنظر إلينا وقال: سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه بصوت جهير، فقلنا له بأجمعنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال: جزاكم الله عن الدِّين خيراً وشكرنا على فعلنا وانصرف، فتعجب الحاضرون. لا تؤمن رجلاً في سلطانه، ولا تقعدْ على تَكْرِمتِه إلا بإذنه، ولا تدخل بيته إلا بإذنه. ولا تَجُزَّ[1] مقدم دابته إلا بإذنه، وليكن إمامَ القوم أقرؤهم لكتاب الله.

عند اليقظة من النوم

الوصية رقم (٦٦) إذا استيقظت من نومك فامسح النومَ من عينيك، واذكر الله تَحُلَّ بذلك عقدة واحدة من عقد الشيطان، فإنه يعقد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عقد، يضرب مكان كلِّ عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإذا ذكرتَ الله انحلت عقدة، فإذا توضأت حللت بوضوئك العقدةَ الثانية، فإذا صليت حللت العقد كلَّها. إياك أن تطلب الإمارة فتوكل إليها، وعليك بالصباغ[2] واجتنب السوادَ فيه، فإن رسول الله ﷺ أمر به ورغّب فيه وأعجبه، واعلم أن القلوب بيد الله بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، ليس لهم من الأمر شيء فاعذروهم وادعوا لهم، ولا تقعوا فيهم، فإنهم نواب الله في عباده وهم من الله بمكان فاتركوا وُلّاته له تعالى يعاملهم كيف شاء، إن شاء عفا عنهم فيما قصّروا فيه، وإن شاء عاقبهم، فهو أبصرُ

---

(١) اجتز الصوف أو العشب او النخل: قطعه اهـ منجد.

(٢) اي استعمل الحناء لشعرك.

بهم، وعليك بالسمع والطاعة لهم وإن كان عبداً حبشياً مجدّع الأطراف.دخل رجل نصراني مشركٌ بعضَ البلاد، فبينما هو يمشي وإذا بالناس يُهرعون من كل مكان ويقولون: هذا السلطانُ قد أقبل، فأقبل المشرك ليراه فإذا هو أسودُ، -كان مملوكاً لبعض الناس، وأعتقه مجدَّع الأطراف أقبحَ الناس صورةً، فلما نظر إليه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه يفعلُ ما يريد ويحكم ما يريد، فقيل له: ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال: سلطنةُ هذا العبدِ الأسود، فإني رأيتُ من المحال أن يجتمعَ اثنان على تولية مثلِ هذا على الناس والأشراف والعلماء وأربابِ الدِّين، فعلمتُ أن الله واحدٌ يحكم بعلمه في عباده كيف يشاء، لا إله إلا هو، ورأيتُ هذا أنا من تصديق الله تعالى رسوله ﷺ فيما مثّل به لنا في قوله (وإن كان عبداً حبشياً مُجدّع الأطراف)[1] فإني جربتُ المُخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال بأمرٍ ما، فإنه لا بدّ من وقوع ذلك المضروب به المثلُ، كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يُشير عن نفسه أنه قطب الوقت، فقيل له يوماً عن بضع الرجال، إنه يقال فيه: إنه قطبُ الوقت، فقال: الولاةُ كثيرون، وأميرُ المؤمنين واحدٌ، لو أن رجلاً شقَّ العصا وقام ثائراً في هذا الموضع - وأشار إلى قلعةٍ معينة - وادّعى أنه خليفة قُتل ولم يتمّ له ذلك، وبقي أميرُالمؤمنين أميرَ المؤمنين فما مرّت أيام حتى ثار في تلك القلعة ثائر ادّعى الخلافة فقتل، وما تم له ذلك، فوقع ما ضربَ به أبو يزيد المثل عن نفسه، فإياك والوقوعَ في ولاة أمورِ المسلمين، وإياك أن تنزل أحداً من الله منزلة لا تعرفه فيها إلّا بتزكية عند الله فيها أو بتجريح، إلا أن تكونَ على بصيرة من الله تعالى فيه، فإن ذلك افتراءٌ على الله، ولو صادفتَ الحق فقد أسأتَ الأدب، وهذا داء عضال، بل حسّن الظن به وقل: فيما أحسب وأظن هو كذا وكذا، ولا تُزَكِّ على الله أحداً، فهذا

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه الترمذي عن أم الحصين الأحمنية رضي الله عنها رواه الترمذي رقم ١٧٠٦ في الجهاد باب ما جاء في طاعة الإمام جا ٦٣/٤.

رسول الله ﷺ ـ ولا يدري ما يُفعل بـه ولا بنا، بـل يتّبع مـا يوحى إليـه ـ فما عُرِّف به من الأمور عرّفها، وما لم يُعـرّف به من الأمـور لم يُعرِّفـه وكانت فيـه كواحدٍ من الناس، فكم من رجل عظيم عند الناس يأتي يـوم القيامـة لا يزنُ عند الله جناحَ بعوضة، وفكّرْ في يوم القيامة وهوْلِه وما يلقى الناسُ فيـه، وهو يوم التنادي، يـوم تُولـون مدبـرين ما لكم من الله من عـاصم تلجؤون إليه، ولقد ثبت أن العرق يوم القيامة ليذهبُ في ارض سبعين ذراعاً، وإنـه ليبلغ أفـواه النـاس. وعليـك بـالـدعـاء أن يعيـذك الله من فتنـة القبـر، ومن فتنـة الدجال. ومن عذاب النار، ومن فتنـة المحيا والممـات، ومن شر ما صنعتَ، ومن شر ما خَلَق، وقد أوصيتُك بتغطية الإناء فإنه ثبت (إن لله في السنـة ليلةً غير معينة ينـزل فيها وبـاء لا يمر بـإناء ليس عليـه غطاء، أو سقـاء ليس عليه وكاءٌ إلا دخل فيه من ذلك الوباء)[1] وإن للشيـطان فتنةً فـاستعذْ بـالله منها، وراقبْ قلبـك وخـواطـرَك، وزِنْها بميـزان الشـريعـة المـوضـوعِ في الأرض لمعرفةالحق فإنك إذا فعلت ذلك كنتَ في أمورك تجري على الحق، فإن إبليسَ يضع عرشه على الماء لما علم أن العرش الرحماني على المـاء، يُلبّس بذلـك على الناس أنه الله، كما فعل بابن صياد، وقـد قال لـه رسول الله ﷺ (مـا ترى؟) قال: أرى عرشـاً على البحـر، فقال (ذلـك عرشُ إبليس) يقـول الله تعالى في عرشه ﴿**وكان عرشهُ على المـاء**﴾[1] ثم قال ﴿**ليبلوكم**﴾[2] والابتـلاء: فتنة، فـإبليس ما لـه نظر إلا في الأوضـاع الإلهية الحقيقيـة فيقيم في الخيـال أمثلتهـا ليقـال: هي عينُها فيغـترُّ بها من نـظر إليها، ومـا ثم شيء، فإن الله تعـالى قد أعطاه السلطنة على خيال الإنسان، فيخيل إليـه ما يشـاء، فإذا وضـع عرشـه على الماء بعث سراياه شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً إلى قلوب بني آدم، إلى

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه مسلم في باب الأمر بتغطية الإناء. عن جابر بن عبدالله. صحيح مسلم ١٥٩٦/٣.

(٢) سورة هود آية ٧.

الكافر ليثبت على كفره، وإلى المؤمن ليرجع عن إيمانه، وأدناهم من إبليس منزلة أعظمهم فتنة، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

صالح المؤمنين

الوصية رقم (٦٧)

ادعُ الله أن يجعلك من صالحي المؤمنين تكنْ وليَّ رسول الله ﷺ وناصره، فإن الله قرن صالحَ المؤمنين مع نفسه وجبريلَ والملائكة في نصرة رسول الله ﷺ[1]، وقال رسول الله ﷺ (إنما وليي الله وصالحُ المؤمنين)[2] وإن كنت والياً فلتساوِ في إقامة حدود الله الشرعية على من تعينتْ عليه، بين شريف ووضيع، ومن تحبه أو تكرهه، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال (إنما هَلَك من كان قبلكم أنهم كانوا يُقيمون الحدودَ على الوضيعِ ويتركون الشريف)[3]، وإياك يا أخي أن تحجر عنايةَ الله عن إماء الله لما سمعتَ أن للرجال عليهن درجةً، فتلك درجة الإنفعال بحكم الأصل، فإن حواء خلقتْ من آدم، فلما انفعلت عنه، كان له عليها درجة السبقِ، فكل أنثى من سبق ماء المرأة وعلوه على ماء الرجل، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ. فاعلم ذلك فللرجال عليهن درجة، فإن الحكم لكل أنثى بماء أمها، وهنا سرٌّ عجيب دقيق روحاني من أجله كان النساء شقائق الرجال، فخلقت المرأة من

---

(١) حيث يقول سبحانه: ﴿أن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه، وجبريل، وصالح المؤمنين، والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ الآية سورة التحريم ـ آية ٤.

(٢) ورد هذا الحديث بصفته في الآية الكريمة [فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين] في سورة التحريم ـ والحديث مأخوذ من الآية الشريفة ولم أجد تخريج الحديث.

(٣) الحديث: طرف من حديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها. رواه البخاري ٧٦/١٢ في الحدود باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع ومسلم رقم ١٦٨٨ في الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره والترمذي رقم ١٤٣٠ في الحدود باب ما جاء في كراهية ان يشفع في الحدود، وأبو داود رقم ٤٣٧٣ في الحدود باب في الحد يشفع فيه والنسائي ٨٤/٨ في السارق باب ما يكون حرزاً وما لا يكون حرزاً. جا ٥٦١/٣.

شِق الرجل فهو أصلها فله عليها درجة السببية. ولا تقل: هذا مخصوص بحواء فكل أنثى كما أخبرتُك من مائها أي من سبق مائها وعلوه على ماء الرجل، وكل ذكر من سبق ماء الرجل وعلوه على ماء الأنثى، وكل خنثى فمن مساواة الماءين وامتزاجهما من غير مسابقة. واحذر من فتنة الدنيا وزينتها، وفرّق بين زينة الله، وزينة الشيطان، وزينة الحياة الدنيا، إذا جاءت الزينة مهملةً غيرَ منسوبة الى أحد فلا تدري من زينها لك، فانظر ذلك في موضع آخر واتخذه دليلاً على ما انْبَهَم عليك مثل قوله تعالى ﴿زيّنا لهم أعمالهم﴾[1] ومثل قوله ﴿أفَمَن زُيِّن له سوءُ عمله﴾[2] ولم يذكر من زينه، فتستدلُّ على من زينه من نفس العمل، فزينةُ الله غيرُ محرمة، وزينة الشيطان محرّمة، وزينة الدنيا ذاتُ وجهين: وجه إلى الإباحة والندب، ووجه إلى التحريم، والحياةُ الدنيا موطنُ الابتلاء، فجعلها الله حُلْوة خضرة واستخلف فيها عباده فناظرٌ كيف يعملون فيها، بهذا جاء الخبر النبوي فاتقِ فِتْنتها وميّز زينتها وقل: ربِّ زدني علماً، وإذا فجَأك أمرٌ تكرهه فاصبر له عندما يَفجَؤُك فذلك هو الصبرُ المحمود، ولا تتسخط له ابتداء، ثم تنظرُ بعد ذلك أن الأمرَ بيد الله وأن ذلك من الله فتصبر عند ذلك، فليس ذلك بالصبر المحمود عند الله الذي حرّض عليه رسول الله ﷺ. ولقد مرّ رسول الله ﷺ بامرأة وهي تصرخ على ولد لها مات، فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبرَ، ولم تعرف أنه رسول الله ﷺ فقالت له: إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ، فجاءت تعتذرُ إليه مما جرى منها، فقال لها رسول الله ﷺ (إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى)[3] وعليك برحمةِ الضعيف المتضعف، فإنه قد

---

(١) سورة النحل آية ٤.

(٢) سورة فاطر ـ آية ٨.

(٣) ينبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ العبد أنه لا يزال حاضراً مع الله أبداً، فهو أولى به ـ نسخة.

(٤) الحديث: رواه الشيخان. كشف ١/٢٤٧.

ثبت (إن الله ينصر عباده ويرزقهم بضعفائهم)[1]، وإذا اقترضت من أحدٍ قرضاً فأحسن الأداء، وأرجحْ إذا وزنت له واشكره على قرضه إياك، وانظر الفضلَ له ولكل من أحسن إليك أو أهدى إليك هدية أو تصدق عليك ولو بالسلام، فإن له الفضل عليك بالتقدم. وما عرف مقدارَ السلام الذي هو التحيةُ إلا الصدرُ الأول، فإني رأيت أنهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرةٌ وهما يمشيان في الطريق فإذا تركاها والتقيا سلّم كلٌ واحد منهما على صاحبه، لمعرفته بسرعة تقلب النفوس وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس، فيكون السلامُ بشارةً لصاحبه أنه سَلِم من ذلك، وأنه معه على ما افترقا عليه من حُسن المودة، فانظر الى معرفتهم بالنفوس رضي الله عنهم.

ومن قال لك: إنه يحبُّك فلو أحببته ما عسى أن تحبه لن تبلغ درجة تقدمه في حبه إياك، فإن حُبّك نتيجةٌ عن ذلك الحب المتقدم، وما قلتُ لك ذلك إلا أني رأيت وسمعتُ من فقراء زماننا، من جهالهم لا من علمائهم، يرون الفضلَ لهم على الأغنياء حيث كانوا فقراء لما يأخذونه منهم، إذ لولا الفقرُ ما صح لهم هذ الفضل، وهذا غلطٌ عظيم فإن الثناء على المعطي ما هو من حيث ما وَجَد من يأخذ منه، وإنما هو لقيام صفة الكرم به ووقايته شح نفسه، سواء وجد من يأخذ منه، أولم يجد، ألا ترى إلى النص الوارد في المتمني فعلَ الخير مع العدم،إذا تمنى ويقول: لو أنّ لي مالاً فعلتُ فيه من الخير مثلَ ما فعل هذا المعطي، فإن أجرهما سواءٌ وزاد عليه بارتفاع الحساب عنه والسؤال، ولهذا قلنا بأن ترى الفضل عليك لمن أعطى بما أعطى فهو أولى بك، وإن اليد العليا هي خير من اليد السفلى، واليدُ العليا هي المنفقة، واليدُ السفلى

---

(١) الحديث: ورد حديث مشابه له وهو قول أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم». أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء. رواه ابو داود رقم ٢٥٩٤ في الجهاد والترمذي رقم ١٧٠٢ في الجهاد باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين، والنسائي ٦/٤٥ في الجهاد باب الاستنصار بالضعيف وهو حديث صحيح. جا ٤/٦٧٦.

هي السائلة هذا السؤال، ولكن إذا لم تر الله في سؤالها لأن الحق قد سأل عباده في أمره إياهم أن يُقرضوه ويذكروه، وهنا أسرار في التنزل الإلهي في عباده.

ثواب قراءة الفاتحة بنفس واحد

الوصية رقم (٦٨) إذا قرأت فاتحةَ الكتاب فصِلْ بَسْمَلَتَها بالحمدُ لله إلى آخر السورة في نَفَسٍ واحد من غير قطعٍ، فإني أقول: بالله العظيم• لقد حدثني أبو الحسن عليٌّ بن أبي الفتح المعروف والده بالكناري، الطبيب بمدينة الموصل بمنزلي سنة إحدى وستمئة وقال: بالله العظيم لقد سمعتُ شيخنا أبا الفضل عبدالله بن أحمد بن عبدِ القاهر الطوسيَّ الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعتُ والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المباركَ بن أحمدَ بنِ محمدٍ النيسابوريَّ المقرىء يقول: بالله العظيم لقد سمعتُ من لفظ أبي بكر الفضلِ بن محمد الكاتب الهَرَوي، وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي من لفظه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبدالله المعروفُ بأبي نصر السرخسي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبد الله محمد ابن علي بن يحيى الوراق الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بنْ يونسَ الطويلُ الفقيهُ وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمدُ بن الحسنِ العلويُّ الزاهدُ وقال: بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم لقد حدثني عمارُ بن موسى البَرْمكي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنسُ بن مالك وقال: بالله العظيم لقد حدثني علِيٌّ بن أبي طالب وقال: بالله العظيم، لقد حدثني أبو بكر الصديقُ وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى ﷺ تسليماً وقال: (بالله العظيم لقد حدثني جبريلُ عليه السلام، وقال: بالله العظيم لقد حدثني ميكائيلُ عليه السلام، وقال:

بالله العظيم لقد حدثني اسرافيلُ عليه السلام، وقال: قال الله تعالى لي: يا اسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي مَنْ قرأ بسمِ الله الرحمنِ الرحيم متصلةً بفاتحة الكتاب مرةً واحدة اشهدوا علي أني قد غفرتُ له وقبِلْتُ منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات، ولا أحرق لسانَه بالنار، وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين)[1].

الغيرة على محارم الله لله

الوصية رقم (٦٩) كن غيوراً لله تعالى، واحذر من الغَيْرة الطبيعية الحيوانية أن تستفِزّك[2] وتُلَبِّس نفسك بها، وأنا أعطيك في ذلك ميزاناً وذلك أن الذي يغار لله ديناً إنما يغار لانتهاك محارمِ الله على نفسه وعلى غيره، فكما يغار على أمّه أن يزني بها أحدٌ، كذلك يغار على أمّ غيره أن يزنيَ بها هو، وكذلك البنتُ والأختُ والزوجةُ والجاريةُ، فإن كلَّ امرأةٍ يزني بها قد تكون إما لشخص وبنتاً لآخرَ وأختاً لآخر، وزوجة لآخر، وجاريةً لآخر، وكلُّ واحد منهم لا يريد أن يزنيَ واحدٌ بأمه ولا بأخته ولا بابنته ولا بزوجته ولا بجاريته، كما لا يريد هذا الغير الذي يزعم أنه يغار لله ديناً، فإن فعل شيئاً من هذا وزنى وادّعى الغَيْرة في الدِّين أو المروءة فاعلم أنه كاذب في دعواه، فإنه ليس بذي دِيْنٍ ولا مروءَة من يكره لنفسه شيئاً ولا يكرهه لغيره، فليس بذي غَيْرة إيمانية، يقول النبي ﷺ في سعد والحديثُ مشهور: (إن سعداً لغيور وإني لأغْيَرُ من سعد وإنّ الله لأغيَرُ مني، ومن غيرته حرّم الفواحشَ)[3] ولقد مات رسول الله ﷺ وما

---

(١) الحديث. لم أجد له أصلاً، ولعله موضوع من حكايات القصاصين أضيف لكلام الشيخ وقوله ويلقاني قبل الأنبياء الأولياء أجمعين تدل على وضعه وبطلانه.

(٢) استفزه الخوف: استخفه، وقعد مُسْتَفِزّاً: أي غير مطمئن. اهـ مختار الصحاح.

(٣) الحديث: طرف من حديث رواه الستة في الإيمان عن عبدالرحمن بن رافع مرسلاً وعند الشيخين عن أبي هريرة؛ ان الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله، وزاد مسلم والمؤمن يغار. وعندهما عن المغيرة قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف =

مست يده يد امرأة لا يحل له لمسها، وهو رسول الله ﷺ ، وما كانت تبايعه النساء إلا بالقول وقوله للواحدة قوله للجميع ، فاجعل ميزانَك في الغَيْرة للدين هذا، فإنْ وفيت به فاعلم أنك غيور للدِّين والمروءة، وإنْ وجدتَ خلافَ ذلك فتلك غَيْرة طبيعية حيوانية ليس لله ولا للمروءة فيها دخولٌ حتى تغار منك، كما تغار عليك، وقد ثبت: (ما من أحد أغيرَ من الله أن يزنيَ عبدُه أو تزني أمته) وإذا أصابتك مصيبةٌ فقل: (إنّا لله وإنا إليه راجعون)[1] فلا تنزل ما تجد منها إلا بالله ثم قل: اللهم أجِرْني في مصيبتي واخلُف لي خيراً منها)[2] ولقد مات أبو سلمة فقالت امرأتهُ هذا القولَ وهي تقول: وَمَنْ خيرٌ من أبي سلمة؟ فأخلفها الله خيراً من أبي سلمة وهو رسولُ الله ﷺ تزوجَ بها وصارت من أمهات المؤمنين، ولم يكن أصلُ هذه العناية الإلهية بها إلا هذا القولَ عندما أُصيبت بموت زوجها أبي سلمة، وإذا مات لك ميت فاجهد أن يصلي عليه مائةُ مسلم أو أربعون، فإنهم شفعاء له عند الله، ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ (ما مِنْ مسلم يصلي عليه أمّة من المسلمين يبلغون مائة كلُّهم يشفعون له إلا شفّعوا فيه)[3] وحديثٌ آخرُ قال قال رسول الله ﷺ :

= غير مصفح فقال النبي ﷺ أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش. كشف ٢٦٠ .

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والموطأ وابو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنه. رواه البخاري في الكسوف باب الصدقة في الكشوف، ومسلم في الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف، والموطأ في الكسوف وأبو داود في الصلاة باب من قال الكسوف أربع ركعات والترمذي في الصلاة باب ما جاء في صلاة الكسوف، والنسائي في الكسوف باب الأمر بالنداء لصلاة الكسوف. جا ١٥٩/٦ .

(٢) الحديث: ورد معناه في حديث هذا نصه [ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها أخرجه مسلم والموطأ وأبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها ـ جا ٤٣٠/٦ .

(٣) الحديث: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن عائشة، أخرجه مسلم رقم ٩٤٧ في الجنائز باب من صلى عليه مائة شفعوا به، والترمذي رقم ١٠٢٩ في الجنائز باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت، والنسائي ٧٥ في الجنائز باب فضل من صلى عليه مائة. جا ٢٤٥/٦ .

(ما من رجل مسلم يموت يقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيـه)[1] ومعنى لا يشركـون بالله شيئـاً: أي لا يجعلون مع الله إلهاً آخر، وروينا عن بعض العرب أنه مرّ بجنازة يصلي عليها أمة كثيرة من المسلمين، فنزل عن دابته وصلّى عليها، فقيل له في ذلك: فقال: إنه من أهل الجنة، فقيل: ومن لك بذلك؟ فقال: وأيُّ كـريم يأتي إليـه جماعـة فيشفعون عنده في شخص فيرد شفاعتهم؟ لا والله لا يردها أبداً، فكيف الله الـذي هو أكرمُ الكرماء وأرحمُ الرحماء؟ فما دعاهم ليشفعوا فيـه إلا ويقبلُ شفـاعتَهم إذ الكريمُ يقبلها، وإن لم يدعهم إلى الشفاعة فيه، فكيف وقد دعاهم؟

أعلم أن الله أمـركَ أن تتقيَ النار فقـال: ﴿واتقوا النـار﴾[2] أي اجعـلْ بينك وبينها وقاية حتى لا يصل إليك أذاها يومَ القيامة، فإنه ثبت أنـه (ما من أحدٍ إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تـرجُمان فينـظر أيمنَ منه فـلا يرى إلا مـا قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النـار فاتقوا النار ولو بشقِّ تَمْرَةٍ)[3] ولقد وُشي ببعض شيوخنا بالمغرب عند السلطان بأمرٍ فيه حتْفُه، وكان أهل البلد قـد أجمعوا عـلى ما وُشي بـه وما قيـل فيه ممـا يؤدي إلى هلاكه، فأمر السلطان نائبه أن يجمع الناس ويُحضر هـذا الرجـل. فإن أجمعوا على ما قيـل فيه، يـأمر الـوالي أن يقتله، وإن قيل غـيرُ ذلك خَـلى سبيله، فجمع الناس لميقـات يومٍ معلوم وعـرفوا مـا جُمعوا لـه، وكلُّهم على لسانٍ واحد أنه فاسق يجب قتله بلا مخالف، فلما جيء بـالرجـل مرَّ في طـريقه

(١) الحـديث: طرف من حـديث أخرجـه أبو داود عن كـريب مولى ابن عبـاس، رواه مسلم رقم ٩٤٨ في الجنائز باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، وأبـو داود رقم ٣١٧٠ في الجنائـز باب فضل الصلاة على الجنائز وتشييعها. جا ٢٤٦/٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٣١.

(٣) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عـدي بن حاتم، رواه البخـاري ٢٥٤/١٧ في التوحيد باب كلام الرب عز وجل، ﴾ رقم ١٠١٦ في الزكـاة باب الحث عـلى الصدقـة ولو بشق تمرة، والترمذي رقم ٢٤٢٧ في صفة القيامة في شأن القصاص. جا ٤٢٨/١.

بخبّاز فاقترض منه نصف رغيف فتصدق به من ساعته: فلما وصل الى المحفل، ـ وكان الوالي من أكبرِ أعدائه ـ أقيم في الناس وقيل لهم: ما عندكم في هذا الرجل وما تقولون فيه؟ وسمُّوه، فما بقي أحدٌ من الناس إلا قال: هو عدلٌ رضا، عن آخرهم، فتعجبَ الوالي من قولهم خلافَ ما كان يعلمه منهم وما كانوا يقولون فيه قبل حضوره، فعلم أن الأمر إلهيٌّ والشيخُ يضحك، فقال الوالي: ممّ تضحك؟ فقال: من صِدْقِ رسول الله ﷺ تعجباً به وإيماناً، والله ما من أحدٍ من هذه الجماعة إلا ويعتقد في خلاف ما شهد به، وأنت كذلك، وكلُّكم عليّ لا لي، فتذكرتُ النار ورأيتها أقوى غضباً منكم، وتذكرتُ نصفَ رغيف ورأيته أكبر من نصف تمرة، وسمعتُ عن رسول الله ﷺ يقول: (اتقوا النار ولو بشق تَمْرةٍ)[1] فاتقيتُ غضبكم بنصف رغيف، فدفعتُ الأقل من النار بالأكثر من شقّ التمرة. وعليك يا أخي بالصدقة فإنها تطفىء غضبَ الرب ولها ظلٌّ يوم القيامة يقي من حرّ الشمس في ذلك الموقف، وإن الرجل يكون يوم القيامة في ظل صدقته حتى يُقضى فيه بين الناس، وما من يومٍ يصبح فيه العبد إلا وملكان ينزلان، كذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ يقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً[2] وهو قوله تعالى ﴿وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شيءٍ فَهُو يُخْلِفُه﴾[3] ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً يدعو له بالإنفاق مثلَ الأول المنفق، لا يدعو عليه، فإنهم لا يدعون إلا بخير، فهم الذين يقولون: ﴿ربّنا وسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً﴾[4] وهم الذين قال الله فيهم: • إنهم يستغفرون لمن في الأرض، فما أراد المَلَك بالتلف في دعائه إلا

---

(١) الحديث: طرف من الحديث الذي قبله أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عدي بن حات. جا ١/٤٢٨.

(٢) الحديث. أخرجه البخاري ومسلم عن أبي عريرة، رواه البخاري ٣/٢٤١ في الزكاة ومسلم رقم ١٠١٠ في الزكاة باب في الممسك والمنفق. جا ٩/٥٢٢.

(٣) سورة سبأ آية ٣٩.

(٤) سورة غافر آية ٧.

الإنفاقَ، وهذا خلاف ما يتوهمه الناسُ في تأويل هذا الخبر، وليس إلا ما قلناه، فإن النبي ﷺ يقول في الرجل الذي أعطاه الله مالاً فسلطه على هَلَكَتِه فيتصدقُ به يميناً وشمالاً فجعل صدقته هلاكَ المال، وهذا معنى تلفِه، والإنفاق ليس إلا هلاكَ المال، فهو من نَفَقَتِ الدابة إذا هلكت فالمال المنفوق وهو الهالك لأنه هلك عن يد صاحبه بإخراجه، ولهذا دعا للمنفق بالخَلَف وهو العِوَض لما مَرّ منه مع ادّخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة إذا قصد به القربة واقترنت بعطائه النية الصالحة.

البعد عن المواطن المحرمة

الوصية رقم (٧٠)

إحذر أن يراك الله حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، واجهد ان يكون لك خبيّةٌ عمل لا يعلمُ بها إلا الله، فإن ذلك اعظم وسيلة لخلوص ذلك العمل من الشوب، وقليلٌ من يكون له هذا. وعليك بصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وثابر على عمل الخير في عشْر ذي الحجة، وفي عشر المُحرّم، وإذا قدرتَ على صوم يومٍ في سبيل الله بحيث لا يؤثر فيك ضعفاً في بلائك بالعدو فافعل، وإذا علمت أن النفس تحب أن تمشي في خدمتها فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك وتضع أجنحتها لك في طريقك، وذلك أن تكون من طلاب العلم، وإن كان بالعمل فهو أولى وأحق وأعظم عند الله وهو قوله ﴿**إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً**﴾[1] وكذلك إذا خرجت تعود مريضاً ممسياً أو مصبحاً، فإنك إذا خرجت من عنده خرج معك سبعون الف ملك يستغفرون لك، إن كان صباحاً حتى تمسي وإن كان مساء حت تصبح. واجهد أن تقرأ في كل صباح ومساء ﴿**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. هو الله الذي لا إله إلا هو عالمُ الغيب والشهادة هو الرحمنُ الرحيمُ**

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٩.

هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملكُ القُدّوسُ السلامُ المؤمن المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ سبحانَ الله عمّا يُشرِكون، هو الله الخالقُ البارىءُ المصورُ، له الأسماء الحسنى يُسبّح له ما في السمواتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم﴾[1] تقرأ ذلك ثلاث مرات على صورةِ ما قلناه، تتعوذ في كلٍّ مرة بالتعوذ الذي ذكرناه. وكذلك بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الصبح قبل أن تتكلم وعندما تسلم من الصلاة تقول: (اللهم أجِرْني من النار) سبع مرارٍ، وكذلك إذا صليتَ المغربَ بعد أن تُسلّم وقبل أن تتكلم تصلي ستَ ركعات: ركعتان منها تقرأ في كل ركعة منها (فاتحةَ الكتاب) و(قل هو الله أحد) ستَّ مرات (والمعوذتين) في كل ركعة من ركعتين، وإذا سلمت فقل عقيب السلام: اللهم سدّدني بالإيمان واحفظه عليّ في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي، وكذلك تقول في إثر كل صلاة فريضة إذا سلمت منها وقبل الكلام: اللهم إني أقدّم إليك بين يدي كلِّ نَفَسٍ ولمحةٍ ولحظةٍ وطرفة يطرُفُ بها أهلُ السموات وأهلُ الأرض وكلِّ شيء هو في علمك كائنٌ أو قد كان اللهم إني أقدِّم إليك بين يدي ذلك كلِّه **﴿الله لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ له ما في السمواتِ وما في الأرضِ، مَنْ ذا الذي يشفَعُ عنده إلا بإذنه؟ يعلمُ ما بين أيديهم وما خَلْفهم ولا يحيطونَ بشيءٍ من علمه إلا بما شاء وَسِعَ كُرْسِيُّه السمواتِ والأرضَ ولا يَؤدُه حِفظهما وهو العلي العظيم﴾**[2] وإياك والاصرارَ ـ وهو الإقامةُ على الذنب ـ بل تب إلى الله في كل حال، وعلى إثر كل ذنب، ولقد أخبرني بعضُ الصالحين بمدينة قرطبة من أهلها قال: سمعتُ أنّ بمرسية رجلاً عالماً أعرفه ورأيتُه وحضرتُ مجلسَه سنة خمسٍ وتسعين وخمسمئة بمرسية، وكان هذا العالم مسرفاً على نفسه، وما منعني أن أسمّيه إلا خوفي في أن يُعْرف

(١) سورة الحشر الآيات ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.

إذا سميته، فقال لي ذلك الفقير الصالح: قصدتُ زيارةَ هذا العالم، فامتنع من الخروج إليّ لراحةٍ كان عليها مع إخوانه، فأبيتُ إلا رؤيته، فقال: أخبروه بالذي أنا عليه، فقلت: لا بدّ لي منه، فأمرني فدخلتُ عليه، وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر، فقال له بعض الحاضرين: اكتب إلى فلان يبعث إلينا شيئاً من الخمر، فقال: لا أفعل أتريدون أن أكونَ مُصِراً على معصية الله، والله ما أشربُ كأساً إذا تناولته إلا وأتوب عقيْبَه إلى الله تعالى، ولا أنتظرُ الكأس ا لآخر، ولا أحدِّث به نفسي، فإذا وصل الدوْرُ إليّ وجاء الساقي بالكأس ليناولني إياه، أنظرُ في نفسي، فإن رأيتُ أن أتناوله تناولتُه وتبتُ عقيبه، فعسى الله أن يَمُنَّ عليّ بوقتٍ لا يخطر لي فيه أن أعصي الله، قال الفقير: فتعجبتُ منه مع إسرافه كيف لم يغفُل عن مثل هذا، ومات رحمه الله.

اداب في الطهارة والصلاة

الوصية رقم (٧١)

إذا صليتَ فلا ترفعْ بصرَك إلى السماء، فإنك لا تدري يرجعُ إليك بصرُك أم لا، وليكن نظرك إلى موضع سجودك أو قِبلتك، وحافظ على تسويةِ الصف في الصلاة، وإذا رأيت من بَرَزَ بصدره عن الصف تردّ إليه، واحذر أن تأتي أمراً إلا عن بصيرة وعلمٍ، ولا تدخلْ في عملٍ لا تعرف حكمه عند الله، وأدِّ الحقوقَ في الدنيا فإنه لا بدّ من أدائها، فإنْ أدّيتها هنا شكرَ الله فعلَك وأفلحتَ. وعليك بمخالفةِ أهل الكتاب وكلِّ من ليس على دينك ولو كان خيراً فاطلب على ذلك في الشرع، فإذا وجدته مجملاً أو معيّناً فاعملْ به من حيث ما هو مشروع لك تكنْ مؤمناً، وإذا رأيتَ ما تكرهه ولا تعرفه فسلمه إلى صاحبه ولا تعترض عليه فإن الله ما ألزمك إلا بما تعرف حكم الله فيه فتحكم فيه بحكم الله، ولا تنظرْ إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به، فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف، ورأيتُ كثيراً من الناس

يقعون في مثل هذا. وإياك والاعتداء في الدعاء والطهور فإن ذلك مذموم وليس بعبادة، ومثلُ الاعتداء في الدعاء أن تدعوَ بقطيعة رحمٍ وشبهِ ذلك، والاعتداء في الطهور: الإسرافُ في الماء والزيادةُ على الثلاث في الوضوء، وإذا توضأتَ فاعزم أن تجمع بين مسحِ رجليك وغسلِها فإنه أولى، ولا تترك شيئاً من سنن الوضوء، فإن من سننه ما فيه خلافٌ بين وجوبه وعدم وجوبه، كالمضمضة والاستنشاق، وإذا صليتَ فاسكُنْ في صلاتك، ولا تلتفتْ يميناً وشمالاً ولا تعْبثْ بلحيتك في الصلاة ولا بشيء من ثيابك، ولا تشتمل الصمّاء[1] في الصلاة، وليكن ظهرك مستوياً في ركوعك، ولا تدبج[2] كما يدبج الحمار، واحذر أن تكونَ مكاساً وهو: العشّار، أو مدمنَ الخمر أو مصراً على معصية، وإياك والغُلُول[3] والرّبا، وعليك بالدعاء بين الأذان والإقامة وعليك بذكر لفظة (الله الله) من غير مزيد فإن نتيجة هذا الذكر عظيمةٌ، قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا ـ وكان ذكره الله الله من غير مزيد ـ فقلت له: لم لا تقول لا إله إلا الله؟ أطلبُ بذلك الفائدةَ منه، فقال لي: يا ولديْ أنفاسُ المتنفس بيد الله، ما هي بيدي، وكلُّ حرف نَفَس فأخاف إذا قلت (لا) أريد: لا إله إلا الله، فربما يكونُ النّفَس بـ(لا) آخرَ نفسي فأموتَ في وحشة النفي، وكلمةُ الله فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها، فإنه ما ثمَّ كلمةٌ تحذف منها حرفاً فحرفاً إلا ويختلُ ما بقي، إلا هذه

---

(١) قال أبو عبيد: اشتمال الصماء: أن يجلل جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم، وهو: أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً. وذكر أبو عبيد ان الفقهاء يقولون: هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فيبدو منه فرجه. اهـ مختار الصحاح.

(٢) دبج الرجل تدبيجاً: إذا بسط ظهره وطأطأ رأسه، فيكون رأسه أشد انحطاطاً من أليتيه. وفي الحديث (أنه نهى ان يدبج الرجل في الركوع كما يدبج الحمار) اهـ مختار الصحاح.

(٣) أغل الرجل: خان. وفي الحديث (لا إغلال ولا أسلال) أي: لا خيانة ولا سرقة، وقيل: لا رشوة اهـ مختار الصحاح.

الكلمـة كلمةَ الله، فلو زال الألف بقي (لله) كلمـةٌ مفيدة، ولـو زالت الـلام الأولى بقي (لـه) وقد قـال تعالى: ﴿لله مـا في السمـوات ومـا في الأرض﴾[1] وقال: ﴿له ملك السمـوات والأرض﴾[2] فلو زال اللامـان والألف في الهاء، وهو قولك (هو) وقد جاء (هو الله)[3]، وفي غير هذه الكلمة فيما أظن ما تجـد مثلَ هذا، وكان رجلاً أمياً من عامـة الناس وكـان نظره مثـلَ هذا واعتبـاره. وعليك بالتباهي في الأمورالدينية وتـزيينِ المصـاحف والمساجـد، ولا تنظرْ إلى قولِ الشارعفي ذلك: إنـه من أشراط السـاعة كـما يقول من لا علم لـه، فإن رسول الله ﷺ ما ذمَّ ذلك، وما كل علامة على قرب الساعة تكون مذمومة، بل ذكر رسول الله ﷺ للساعة أموراً ذمّها، وأموراً حمِدَها، وأموراً لا حمدَ فيها ولا ذم، فمن علامات الساعة المذمومةِ: أن يعُق الرجـل أباه ويَبَـرَّ صديقـه، وارتفاع الأمانة، ومن المحمودة: التباهي في المساجد وزخرفتها، فإن ذلك من تعظيم شعائر الله وما يغيظ الكفار، ومما ليس بمحمود ولا مذموم كنزول عيسى عليه السلام، وطلوعِ الشمس من مغربها وخروج الدابة، فهذه من عـلامات الساعة لا يقترن بها حمـدٌ ولا ذم، لأنها ليست من فعل المكلف، وإنـما يتعلق الحمدُ والذم بفعل المكلف، فلا تجعل علاماتِ الساعة من الأمور المذمومة كما يفعله من لا عِلْم له، ورأيتُ من القائلين بـذلك كثيـراً. وحافظْ عـلى الصف الأول في الصـلاة ما استـطعت، فإنـه قد ثبت (لا يـزالُ قـومٌ يتـأخـرون عن الصف الأول حتى يؤخـرهم الله في النار[4])، وإذا دعـوت الله فـلا تستبـطىء الإجابةَ، ولا تقل: إن الله ما استجاب لي، فإنه الصادق وقـد قال: ﴿أُجِيْبُ

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٤.

(٢) سورة الحديد آية ٢.

(٣) سورة الحشر - آية ٢٢.

(٤) الحديث: أخرجه أبو داود عن عـائشة رضي الله عنهـا. رواه أبو داود، رقم ٦٧٩ في الصـلاة باب صفة النساء وكراهيةالتأخر عن الصف الأول. جا ٥/٦١٣.

دعوةَ الداعي إذا دعانِ﴾[1] فقد أجابك إن كان سَمْعُ إيمانك مفتوحاً فقد سمعته، وإلا فاتّهِمْ إيمانك بذلك، فإنْ دعوت بإثم أو قطيعةِ رحم فإن مثلَ هذا الدعاء لا يستجيبُ الله لصاحبه، فإنه تعالى قد شرع لنا ما ندعوه فيه، وهذا هو الاعتداء في الدعاء، والله يستجيب للعبد ما لم يقل العبدُ الداعي بما يجوز فيه الدعاء: لم يُستجب لي، فإنه إذا قال: لم يُستجب لي فقد كذّب الله في قوله: ﴿أجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعانِ﴾[1] ومن كذّب فليس بمؤمن، وله الويلُ مع المكذبين إلا أن يتوب. وعليك إذا لم تواصلْ صومك بتعجيلِ الفطر وتأخيرِ السحور، وإن العبد إذا صلى أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفتَ أعرضَ الله عنه، وكان لِما التفت إلا إذا التفت لأمر مشروعٍ ليقيم بذلك الالتفات أمراً يختص بالصلاة، كالتفات أبي بكر لمّا سبّح به عند مجيء رسولِ الله ﷺ فذلك ما أعرض عن الله. واجتنب دخول المسجد إن كنت جنباً، وقراءة القرآن ومَسّ المصحف، وكذلك الحائض فإنه أخرجُ عن الخلاف، وكلما قدرت أن لا تفعل فعلاً إلا ما يكون الإجماع فيه فهو أولى ما لم تضطر إليه، مثل اجتنابِ أكلِ ثمنِ الكلبِ وكسبِ الحجام وحُلوان الكاهن ومَهْرِ البغي، ولا تقبل صدقة إن كنت ذا غنى أو قادراً على الكسب، وإياك أن تتقدمَ على قومٍ إلا بإذنهم، ولا تروّع مسلماً بما يروعه منك أي شيء كان، وعليك بمجالس الذكر، ولا تتصدق إلا بطيّب أعني بحلال، وإن كنت مجاوراً بالمدينة فلا يُخرجنك منها ما تلقاه من الشدة فيها من الغلاء واللأواء، ولا تُرِدْ أهلَ المدينة بسوء، بل ولا مسلماً أصلاً، وإذا أصبت من جهة فاجتنبها وانظر في محاسن الناس، ولا تنظرْ من إخوانك من المؤمنين إلا محاسِنَهم، فإنه ما من مسلم إلا وفيه خلقٌ سيء وخلقٌ حسن، فانظر إلى ما حسُنَ من أخلاقه ودَعْ عنك النظر فيما يسُوء من أخلاقه، وإذا صليت فأقم صُلبَك في الركوع والسجود، واشكر الله على قلّيل النعم كما تشكره على

(١) سورة البقرة آية ١٨٦.

كثيرها، ولا تستقلل من الله شيئاً من نعمه، ولا تكن لعّاناً ولا سبّاباً، وإياك وبغضَ من ينصُر الله ورسولَه أو يحب الله ورسولَه، ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنةَ تسعين وخمسمائة في المنـام بتلمسان وكـان قد بلغني عن رجـل أنهُ يبغض الشيخَ أبا مدين، وكان أبو مدين من أكابر العـارفين، وكنتُ أعتقـد فيه عـلى بصيرة، فكرهتُ ذلك الشخصَ لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقـال لي رسول الله ﷺ : (لِمَ تكـرهُ فلانـاً؟) فقلت: لبغضه في أبي مـدين، فقـال لي: (أليس يحبُّ الله ويحبني؟) فقلت له: بلى يـا رسول الله إنه يحـب الله تعالى ويحبُّـك، فقال لي: (فلِمَ تبغضه لبغضـه أبا مـدين، وما أحببتـه لحبه في الله ورسـوله؟) فقلت لـه: يا رسـول الله من الآن إني والله زلَلت وغَفَلت، والآن فأنـا تـائبٌ وهو من أحب الناس إليّ فلقد [نبّهتَ ونصحتَ صلى الله عليك][1]، فلما استيقـظت أخذتُ معي ثـوباً لـه ثمنٌ كثير، ونفقـةً لا أدري، وركبت وجئت إلى منزله فأخبرتُه بما جرى فبكى وقَبِـلَ الهديـة، وأخذ الـرؤيا تنبيهـاً من الله تعـالى فزال عن نفسـه كراهتـه في أبي مدين وأحبّـه، فأردت أن أعـرف سبب كراهته في أبي مدين مع قوله بأن أبا مدين رجل صالح، فسألته فقـال: كنت معـه ببجايـة، فجاءتـه ضحايـا في عيد الأضحى فقسمهـا على أصحـابه ومـا أعطاني منها شيئاً، فهذا سبب كراهتي له ووقوعي والآن قد تبت، فانظر ما أحسنَ تعليمَ النبي ﷺ ، فلقد كان رقيقاً. وإذا استرعاك الله رعيةً مسلمين أو أهـلَ ذمةٍ فـإياك أن تَغُشَّهم ولا تُضمـر لهم سـوءاً، وانـظر فيـما أوجب الله عليك من الحقوق لهم فأدِّها إليهم، وعاملهم بها ظاهراً وباطناً سراً وعلانيـة، ولا تجعل ذمياً خصمَك يوم القيامة، وإذا رأيت من أحدٍ حالة سيئة يطلب أن تُسْتَر عليه فاستره فيها، ولو لم يرد الستر فـاسترهـا أنت عليه عـلى كل حـال، وإذا أكلت طعاماً فلا تأكل إكْلَةَ الجبارين متكئاً، وكُلْ كما يأكل العبدُ، فـإنك عبد على مائدة سيدك فتأدب، وإذا رأيتَ من يطلب ولايةَ عملٍ فلا تسـعَ له

(١) يخاطبُ رسولُ الله وهنا نبهتَ ونصحتَ أنت يا رسول الله.

في ذلك، فإن الولاية مندمة وحسرة في الآخرة، وقد أمرك الله بالنصيحة، وإذا رأيت قوماً وَلّوا أمرهم امرأةً فلا تدخلْ معهم في ذلك.

المسابقة إلى الفضائل

أدب الأكل والشرب

الوصية رقم (٧٢)

لا تُسْبَقْ إلى فضيلة إذا وجدتَ السبيلَ إليها، وانظُرْ في الدنيا نظرَ الراحل عنها والمطالب بما نال منها، وإذا نكحت فأوْلم بما قدرتَ عليه، وإذا نمت أو دخلتَ أو أكلتَ أو شربتَ أو فعلت فعلاً فسمِّ الله عليه واذكرْه، وتناولْ بيمينك أمورَك كلَّها، إلا ما ورد فيه النهي من الشارع، أو ما يجري مجرى النهي، مثلُ الاستنجاء ومسّ الذكر باليمين أيضاً عند البول والامتخاط، فافعل ذلك كلَّه بيسارك، وإذا أكلتَ مع جماعة طعاماً واحداً فكلْ مما يليك، وإذا اختلف الطعام فكُلْ من حيث تشتهي، وقلل النظر إلى من يأكلُ معك، وصغِّر اللقمة وشدِّد المضغ، وسمِّ الله في أول كل لقمة، واحمدِ الله في آخرها إذا ابتلعتها، واشكرِ الله حيث سوَّغكها، ولا تكثرِ الشره في الأكل، ولا تسرعْ إلى لقمة أخرى حتى تبلعَ الأولى، وتعاهد المشي إلى المساجد مساجد الجماعات في أوقات الصلوات ولا سيما العتمةُ والصبحُ من غير سراج، تُبَشّر بالنور التام يوم القيامة، وإذا سمعت من يَعْطِس وحمد الله فشمته، وإن لم يحمد الله فذكّره بحمدِ الله، فإذا حمد الله فشمّته ثلاث مرات، فإذا زاد في العطاس على ثلاثة فهو مزكوم فادعُ الله له بالشفاء. وإياك أن تخونَ من خانك، ولا تعتدِ على من اعتدى عليك، فإنّ ذلك أفضل لك عند الله، واعذُر ولا تعتذر فإن اعتذارَك يتضمن سوء ظنك بمن اعتذرت له، وابدأ في المعاملة مع الخلق بالأولى فالأولى، وإذا تساوتِ الأمور وبدأ الله بذكر شيء منها فابدأ بما بدأ الله به، كما فعل رسول الله ﷺ في حجته لّما أراد أن يسعى بين الصفا و والمروة [الذي هو] من شعائر الله فقال: (أبدأ بما بدأ الله

به سبحانه)[1]، وإذا قمتَ في عبادة الله فاعمل نشاطك، وإذا كسلت فاترك إلا ما أوجب الله عليك فعله، ولا تعبد الله بكسلٍ فإن ذلك استهانة بجناب الله، ولا تكن من الذين إذا قاموا الى الصلاة قاموا كُسالى، وإذا صليت وأحدٌ ينظر إليك فانوِ في تحسين صلاتك تعليمه، وأخلص لله عبادتك فإنه ما أراد أن تعبده إلا مخلصاً، وافعلْ ما أوجب الله عليك فعله ولا بد، سواء كسلت أو كنت نشيطاً، وإنما أمرتك بالترك في النوافِلِ، ولا تعبدِ الله بكسل وانتقل إلى نافلة غيرها، ولا تُحسّن صلاتك في الملأ دون الخلا، فإنْ فَعَلَ ذلك من فعله فإنّ ذلك الفعلَ استهانةٌ استهان بها ربه، وكذا ثبت، وإن كنتَ ممن يصلح للإمامة، فصلِّ خلف الإمام فإنه إن أحدث الإمام في الصلاة استخلفك، وإن لم تكن من أهلها فصلِّ يمينَ الصف أو يساره، وحافظْ على الصف الأول، وإذا رأيت فُرجةً في الصف فسدَّها بنفسك، فلا حرمةَ لمن رآها وتركها، وتخطّ رقابَ الناس إليها، وسارع إلى الخيرات وكنْ لها سابقاً، ونافس فيها قبل أن يُحال بينك وبينها، وإياك أن تتخلى في طريق الناس أو في ظِلّهم ولا تحتَ شجرةٍ مثمرة، ولا في مجالس الناس، ولا تبُلْ في هواء ولا في جُحْر ولا في ماء دائم ثم تتوضأ منه أو تغتسل فيه، واتقِ الله في زوجتك وولدِك وخادمك وفي جميع من أمّرَك الله بمعاملته، واحذر فتنةَ الدنيا والنساءِ والولدِ والمالِ وصحبةَ السلطان، واتق الله في البهائم، واجعل من صلاتك في بيتك، وعيّن في بيتك مسجداً لك تتنفل فيه وتصلي فيه فريضتك إن اضطُرِرْت إلى ذلك، وأكثر من قراءة القرآن بتدبرٍ إن كنت عالماً، فإنه أرفعُ الأذكار الإلهية، وإن كنتَ في جماعة يقرؤن القرآن فاقرأ معهم ما اجتمعتم

---

(١) الحديث: طرف من حديث طويل أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، رحمه الله. رواه مسلم رقم ١٢١٨ في الحج باب حجة النبي ﷺ وأبو داود رقم ١٩٠٥ في المناسك باب صفة النبي ﷺ والنسائي ١٤٣/٥ في الحج باب الكراهية في الثياب المصبغة للمحرم. جا ٤٦٢/٣.

عليه فإن اختلفوا[1] فقم عنهم، وحافظ على قراءة الزهراوين: البقرةِ وآل عمران، وإذا شرعت في سورةٍ من القرآن فلا تتكلم حتى تختمها، فإن ذلك دأبُ العلماء الصالحين، ولقد حدثني غير واحد بقرطبة عن الفقيه ابن زرب صاحب الخصال أنه كان يقرأ في المصحف سورةً من القرآن، فمرّ عليه أميرُ المؤمنين بقرطبة زمانَ بني أمية، فقيل للخليفة عنه، فمسك رأس فرسه وسلّم عليه، وسأله فلم يكلمْه الشيخُ حتى فرغ من السورة، ثم كلمه، فقال له الخليفة في ذلك فقال: ما كنتُ لأتركَ الكلام مع سيدك وأكلمك وأنت عبده، هذا ليس من الأدب، ثم ضرب له مثلاً به وبعبيده، فقال: أرأيتَ لو كنتُ في حديثٍ معك وكلمني بعضُ عبيدك أيحسن مني أن أتركَ الكلامَ معك وأقطعه وأكلم عبدك؟ قال: لا، قال: فإنك عبد الله، فبكى الخليفةُ. ولقيتُ جماعة على ذلك من شيوخنا، منهم أبو الحجاج الشربلي بإشبيلية، وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلا بنفسه، وإذا دخلتَ على مريض أو ميتٍ فاقرأ عنده سورة يس فإنه اتفق لي فيها صورة عجيبةٌ وهي: أني مرضتُ فغشي علي في مرضي بحيث أني كنتُ معدوداً في الموتى، فرأيتُ قوماً كريهي المنظر يُريدون أذيتي، ورأيتُ شخصاً جميلاً طيّب الرائحة شديداً يُدافعهم عني حتى قهرهم، فقلت له: من أنتَ؟ فقال: أنا سورةُ يس أدفعُ عنك، فأفقتُ من غشيتي تلك، وإذا بأبي رحمه الله عند رأسي يبكي وهو يقرأ يس وقد ختمها، فأخبرتُه بما شهدته، فلما كان بعد ذلك بمدة رويت[2] في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (اقرؤا على موتاكم يس)[3]. وعليك بالصلاة في النعال إذا لم يكن بها قذرٌ، والمشي في النعال، واستوصِ بطالب العلم خيراً وبالنساء

---

(١) فإن اختلفتم. نسخة.

(٢) لعل صوابه رأيت.

(٣) الحديث. أخرجه أبو داود عن معقل بن يسار رواه أبو داود في الجنائز باب القراءة على الميت، ورواه ايضا أحمد في مسنده وابن ماجه في الجنائز والحديث ضعيف. جا ١١/٨٤.

خيـراً، واعتدلْ في السجـود إذا سجدتَ في الصـلاة أو في القـرآن ولا تبسُط ذراعيـك في سجودك كـما يفعل الكلب، ولا تكلف نفسك من العمـل مـا لا تطيقه وتعلمُ أنك تدوم عليه، وإذا حضرت عنـد ميت فلقِّنه (لا إلـه إلا الله) ولا تسيء الظن به إذا لم يقل ذلك أو تـراه يقول (لا)، فـإني أعلمُ أن شخصاً بتـونس جرى لـه مثلُ هـذا، وكان مشهـوراً بالصـلاح، فلما أفاق قيـل له في ذلك، فقال: ما كنتُ معكم وإنما جـاءني الشيطانُ في صـورة من سلف ودرج من آبـائي وإخواني، فكـانـوا يقـولـون لي: إيـاك والإسـلامَ، مُتْ يهـوديـاً أو نصرانياً، فكنتُ أقـول لهم: (لا) حتى[1] سمعتموني أقـولُ لهم: (لا) إلى أن عصمني الله منهم. وإذا كان لـك صاحبٌ فعـده إن مرض، وصـلِّ عليه إن مات، وشيِّع جنازته، وإذا شيعتَ جنـازته، فـإن كنت راكباً فـامشِ خلفها، وإن كنت ماشياً فامشِ بين يديها، وإذا حضـرتَ دفن ميتٍ من المسلمين فـلا تنصرفْ عن قبره، وقِفْ ساع قدرَ مـا يُسأل، فـإنه يجـد لوقـوفك أنْسـاً، وإن حملتَ جنازةً فأسرع بها فإن كان خيراً سارعت بها إليه، وإن كان شراً حططته عن رقبتك، ولا تذكر مساويَ المـوتى، وغطِّ الإناء الـذي تشربُ منـه، وأوْكِ السقاء فإنك لا تدري لعل حيواناً مُضراً ذا سم شربَ منه، وأطفىء السـراج عند نومك، واغلقْ بابك إذا أردتَ النومَ فـإن الشياطـين لا تفتح بـاباًمغلقـاً، وإذا أغلقت بابك فسمِّ الله عند غلقه، واقرأ آية الكرسي عند نومك، وسـدِّد في الأمـور وقاربْ، مـا استطعت فـاعملِ الخـيرَ ولا تقل: إن كـان الله كتبني شقياً فأنا شقي، وإن كان كتبني سعيداً فأنا سعيدٌ فلا أعمل، فـاعلم أنك إذا وفقت لعملِ الخير فهو بُشرى من الله أنك من السعداء،! فإنه لا يُضيـع أجرَ من أحسن عملاً، وإن الله يقول: ﴿فـأمّا من أعـطى واتّقى وكذّبَ بـالحُسنى

---

(١) حين. نسخة.

فَسَنُيَسِّرُهُ للعِسْرى﴾[1] وقال ﷺ : (اعملوا واتّكلوا، فكلٌّ ميسر لما خُلِقَ له)[2] فَمَنْ خُلق للنعيم فسنيسره لليسرى، ومن خلق للجحيم فسنيسره للعسرى، وعليك بذكر محاسن من تعرف من الموتى، والكفِّ عن ذكر مساويهم، وانزل كلَّ أحدٍ منزلته تكنْ عاقلاً عادلاً منصفاً، واتركْ حقك لأخيك ما استطعت، وأقِلْ عثرات أهلِ المروءات، والهيئات، إلا في إقامة الحدود المشروعة إن كنتَ حاكماً ذا سلطان، وإن كنتَ ذا ثروةٍ وحظٍ من الدنيا فارتبطْ فرساً أو جملاً في سبيل الله وامسحْ بنواصيها وأعجازها وقلّدها، ولا تقلدها وتراً، ولا تعلق عليها جرساً، وجاهدْ بمالك ونفسك من أشرك بالله تعالى، واشفع إلا في حد إذا بلغَ إلى الحاكم، والبس البياض من الثياب، فإنه خيرُ لباس المؤمن وأطهره وأطيبُه، وكفّن الميت فيه، وإذا جاءك سائلٌ في العلم أو غيره فلا تنهره؛ ولا تخيب من جاء يسترفدك مما فضّلك الله عليه به من الرزق ولو بشق تمرة. وأكثرْ من زيارة القبور، ولا تكثرْ من الجلوس عندها، ولا تقل هجراً بل اجلس ما دمتَ تعتبر وتذكر الآخرة، ولا تؤذِ أصحاب القبور بالحديث عندها في أمور الدنيا، وبلغْ عن رسول الله ﷺ ولو خبراً واحداً أو آيةً فإنك تُحشر بذلك في زمرة العلماء المبلغين، ومر الصبي بالصلاة لسبع سنين، واضربه عليها لعشر سنين، وفرق بين الصبيان في المضاجع. وإياك أن تفضي إلى أبيك أو أخيك في الثوب الواحد، وتابع بين الحج والعمرة، وإن جاورتَ بمكة فأكثرْ من الاعتمار والطوافِ إذا قدرتَ على ذلك ولا سيما في رمضان، فإن عمرةً في رمضان تعدِل حجة، هذا هو الثابت، وأكثر من أكلِ الزيت والادّهان به، وإذا اشتريت طعاماً فاكْتَله، واجتنب السبع الموبقات وهي: الشركُ بالله، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكلُ مال

---

(١) سورة الليل آية ٦، ٧.

(٢) الحديث: طرف من حديث أخرجه مسلم عن جابر بن عبدالله، رواه مسلم رقم ٢٦٤٨ في القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، جا ١١٢/١٠.

اليتيم، وأكلُ الربا، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات.

كثرة السجود والالتزام بصلاة الجماعة

الوصية رقم (٧٣)

عليك بكثرةِ السجود وعليك بالجماعة، وإن قدرت أن تسكن الشامَ فافعل، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال: (عليكم بالشام فإنه[١] خِيرة الله من أرضه، وإليها يجتبي خِيرتَه من عباده[٢] وإياك والحديثَ بالظن، فإن الظن أكذبُ الحديث، وإياك والحسد، ولا تجلس على الطرقات، ولا تدخل على النساء المغنيات، وإذا بعتَ فلا تكثر من اليمين على سلعتك، وإياك أن تتقلد أمراً من أمور المسلمين، فإن ألجئت إلى ذلك فلا تحكم بين اثنين وأنت غضبان، ولا وأنت حاقن أو حاقِبٌ[٣] ولا جائع ولا وأنت مستوفز[٤] لأمرٍ لا بدّ لك منه، واعدل بين رجْليك إذا انتعلت أو وضعت إحدى رجليك على الأخرى، وإذا ركبت فلا ترحِ الواحدة وتتعب الأخرى، واعلم أنّ جوارحك من رعيتك، فاعدل فيها، فإن الله أمرك بالعدل فيها استرعاك فيه، وإن كنتَ مملوكاً فلا تقلْ لمالكك: ربي وقلْ: سيدي، وإن كان لك مملوك أو مملوكةٌ فلا تقل: عبدي ولا أمتي، وقل: غلامي وجاريتي، ولا تقل لأحدٍ: مولاي، فإن المولى هو الله، وقد نهيتَ أن تقول: خبُثَتْ نفسي، وقل: لقِسَت نفسي[٥]، وإذا طلب منك جارُك أن يغْرِز خشبة في جدارك فلا تمنعه، ولا تنظر إلى

---

(١) فانها ـ نسخة.

(٢) الحديث: طرف من حديث أخرجه أبو داود عن عبدالله بن حوالة رضي الله عنه. رواه ابو داود رقم ٢٤٨٣ في الجهاد باب في سكنى الشام. واسناده صحيح. جا ٩/٣٥٠.

(٣) حقب: كفرح، والحاقب: من تعسر عليه البول اهـ قاموس.

(٤) استوفز في قعدته، إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن. اهـ مختار الصحاح.

(٥) لقس، لقساً، ولقست نفسه من الشيء: غثت وخبثت، فهي لقسة، ولقست نفس فلان إلى الشيء: نازعته إليه، وتلقست نفسه من الشيء: ضاقت. واللقس: الشره النفس، الحريص على كل شيء، ؛ من لا يستقيم على وجه. اهـ منجد.

عورة أحد ولا في بيته، إلا بإذنه، ولا تصحب إلا من تجد في صحبته الزيـادةَ في دينك وإيمانك، وقدِّم في معروفك كل تقي، ولا تُعطِ الفاجرَ ما يستعين به على فجوره. وإن كانتْ لك زوجةٌ وضربتهـا لأمر طـرأ منها فـلا تجامعهـا من يومها، وإياك أن تسأل بوجهِ الله شيئـاً إلا الله في جنته ورؤيتـه، وأما في شيء من عَرَض الدنيـا فلا، وإن ركبتَ البحـر فلا تـركبه إلا حـاجاً أو معتمـراً ما استطعت، ولا تخطُب امـرأةً على خـطبة أخيـك، ولا تسُم على سومـه حتى يَذَر، وإن كنتَ ضيفاً عند قوم فلا تصُم إلا بإذنهم، وإن كنت في خدمة شيخ فلا تصُم ولا تتحرك إلا بإذنه، والمرأةُ لا تصوم إلا بـإذن زوجها صـومَ النافلة او قضاءَ شهر رمضان، ولا تأذنُ في بيت زوجهـا إلا بإذنـه إذا كان حـاضراً، ولا تسأل المرأة طلاقَ أختها لتنكح بعلها، ولا تسافر امرأة فوقَ ثـلاث إلا مع ذي محرم، وإذا دعوت الله بالمغفرة فاعزم المسئلة ولا تقل: إغفر لي إن شئت، واطلبْ رحمةَ الله وغفرانَه، ولا تستكثر شيئاً تسأله من الله، فإن الله كبيرٌ عنده فوق ما تأمله، وإياك أن تتصـرف في مال أخيـك إلا بإذنـه، وإذا أصبحتَ في كـل يوم فقـل: اللهم إني تصدقت بعـرضي على عبـادك، اللهم من آذاني أو شتمني أو أغضبني أو فعل معي أمراً يُفضي الى الحكم فيه أشهدك يـا رب أني قد أسقطتُ طلبي عنه في ذلك دنيا وآخرة، وإذا شربت ماء فاشرب قاعداً، ولا تقـل: يا خيبـةَ الدهـر فإن الله هـو الدهـر، هذا ثـابت عن رسول الله ﷺ، وإيـاك أن تُبرز فخـذك حتى يُرى منـك، ولا تنـظر إلى فخـذ حي ولا ميت، وإيـاك أن تقعـد عـلى قبـر، ولا تُصَـلّ وأنت تستقبله أو تستقبـلُ إنسـانـاً في صلاتك ووجهه إليك، ولا تتخـذِ القبر مسجـداً، ولا تتمنَّ الموتَ لضُر نـزلَ بك بل قل: اللهم أحيني ما كـانتِ الحياةُ خيـراً لي، وتوفني إذا كـانت الوفـاةُ خيـراً لي، وإذا أردتَ بقـوم فتنـةً فـاقبضني إليـك غـيرَ مفتـون، والله أعلم بالصواب.

توجيهات وصايا لرسول الملوك

الوصية رقم (٧٤)

لا تكن وصياً ولا رسولَ قوم ولا سيما بين الملوك، ولا شاهداً، واحذر إذا اغتسلت أن تبول في مستحمك، بل اعتزل عنه، وتحفظ من النذر ما استطعت، فإذا نذرت فأوفِ بنذرك، فإن رسول الله ﷺ قد شهد بالبخل لمن نذر، وإياك أن تتمنى لقاءَ العدو، فإذا لقيته فاثْبُتْ ولا تفرّ، وإياك وسبّ المؤمنين ولا سيما الصحابةُ على الخصوص، فإنك تؤذي النبي ﷺ في أصحابه، ولا تَسُبَّ الريحَ فإن الريح من نَفَس الرحمن، ولكن سلِ الله خيرها وخيرَ ما أرسلت به، واستعذ بالله من شرها وشرّ ما أرسلت به، وإذا لبستَ ثوباً جديداً فسمِّ الله وقل: اللهم اعطني خيرَه وخير ما صُنع له، واكفني شرّه وشرّ ما صنع له، ولا تصلِّ إلى النائمين إذا كانوا في قِبلتك، وإذا صليت فلا تُصل وفي قبلتك نائم أو متحدث، وإياك ولباسَ ما حرّم الشرعُ عليك لباسَه كالحرير والذهب، ولا تجلس على الحرير، وإذا لقيت ذمياً فلا تبدأه بالسلام، واضطره إلى أضيق الطريق، وانْتَهِ أن تسمّي العِنَبة الكرمَ بل قل: العنبة والحَبَلَةُ ولا تقل: الكرم، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: (لا تسمّوا العنبَ الكرمَ، فإن الكرم الرجلُ المسلم، فلا تقولوا الكرمُ وقولوا العنبُ والحَبَلة)[١] وإياك أن تُصَرِّيَ[٢] الإبلَ والغنم إذا أردتَ بيعها إلا أن تعلم المشتري بأنها مصراة، وإياك أن تحلف بغير الله جملةً واحدة، ولا تُكفر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ إلا من كفّره رسول الله ﷺ، وإن كانت له زوجةٌ تريدُ الصلاة في مسجد الجماعة فلا تمنعها من ذلك، ولكن عرّفها أنّ

---

(١) الحديث أخرجه مسلم عن وائل بن حجر، رواه مسلم رقم ٢٢٤٨ في الألفاظ باب كراهية تسمية العنب كرماً. جا ٧٥٣/١١.

(٢) الحبلة ـ بالضم ـ الكرم أو أصل من أصوله ـ ويحرك ـ والحبل ـ محركة ـ شجر العنب، وربما سكن. اهـ قاموس.

(٣) ضرى الشاة تصرية: اذا لم يحلبها أياماً حتى يجتمع اللبن في ضرعها. اهـ مختار الصحاح.

بيتها خيرٌ لها وأفضلُ لها، واحذر أن تدعو على نفسك في غيظ ولا غير غيظ، ولا على ولدك ولا على خادمك، ولا على مالك، ولا تُكره المريضَ على الطعام، وإياك أن تعذب بالنار أحدا، وإذا أكلت لحماً فانهشه ولا تقطعه بسكين.

التحبب إلى الناس

الوصية رقم (٧٥)

إذا حضر الطعام والصلاة فابدأ بالطعام، وإياك والصلاةَ وأنت حاقن تُدافع الأخْبَثَيْنِ، وإذا أمرك من فَرَضَ الله تعالى عليك طاعته بمعصية فلا تطعه، وإياك وما يُعتذر منه، فما كلُّ من أورَثْتَه تكريهاً او سمعته عذراً، وأصغِ إلى من يُحدثك وإن كان قذراً، فإنَّ لكل أحدٍ عند نفسه قدراً، فإنك آخذٌ بقلبه بذلك، ويكون لك لا عليك، وإن الله قد أمرك بالتحبب إلى الناس، وهذا من التحبب إلى الناس، وإذا كانت لأحدٍ عندك شهادة لا يعرفها، وقد اضطرَّ إليها من تعرفه بها واشهدْ له، وامنحْ أخاك الفقيرَ مِنْحةً ما قدرت عليها فإنّ أجرها عظيم، وليكن خوفك من الله ورجاؤك فيه بالإيمان على السواء، وغَلّب الرجاء وحسن الظن بالله، واطمع في رحمته، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ (لَوْ يعلَمُ الكافرُ ما عندَ الله من الرَّحْمَةِ ما قَنِطَ من جنّتِهِ أحدٌ)[١]. وإياك أن ترد الهدية ولا تحقرها ولو كانت ما كانت، وعليك بالتوبة إلى الله مع الأنفاس، وإذا شاركتَ أحداً في شيء فلا تَخُنْه، وإذا فعلت فعلاً فحسّنه، فإنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، وعليك بالتواضع وعدمِ الفخر على أحد، قال علي بن أبي طالب القيرواني في ذلك:

الناسُ من جهةِ التمثيلِ أكفاءُ ... أبوهُمُ آدمٌ والأمُّ حوّاءُ
فإنْ يكن لهم من أصلِهِمْ نسبٌ ... يُفاخِرون به فالطين والماءُ
ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ ... على الهُدى لِمَن استهدى أدِلّاءُ
وقدْر كلِّ امرئٍ ما كانَ يُحسنه ... والجاهلونَ لأهْلِ العلمِ أعداءُ

لا فخْـرَ إلا بتقوى الله فـإنه نسبُ الله الـذي بينه وبـين عباده. وإيـاك والقيلَ والقالَ فيما لا ينبغي ولا يعني، ولكن في إيصال الخير خـاصة، وإيـاك وكثرةَ السؤال إلا في الحث عن دينـك الذي في علمـك به سعـادتُك (فـاسألـوا أهلَ الذِّكْرِ إنْ كنتُمْ لا تعلَمُون)[٢] وقد علمت أنه ما لأحـدٍ حركـةٌ ولا سكون ولا دخولٌ ولا خروجٌ إلا وللشـرع فيها حُكم من أحـد الأحكام الخمسـة، فإذا لم تعلم فاسأل عنْ كلِّ شيء يكونُ الحكمُ فيه ما حكمَ الشرعُ فيه، واطلب عـلى دفـع الحرج مـا استطعت، وغلّب الحـرمة، وخـذ بالعـزائم في حق نفسـك، وإياك وإضاعةَ المال وهو: إنفاقـه في معصية الله، ومن إنفـاقه في معصيـة الله إعـطاؤه لمن يعلمُ منه أنـه يُخرجـه فيما لا يـرضي الله، فإنْ لم يعلم ذلـك فـلا بأس. ولا تفارق أحداً وهو على ما لا يرضي الله وتعتقد فيـه أنه بـاق على مـا فارقته عليه لا سبيل إلى ذلك، وإنما ذلك في الأحكام المشروعة، فـإنهم يَرَوْن استصحـاب الحال المعلومـة من الشخص حتى يقـومَ لهم دليـلٌ عـلى زوالهـا، فيستصحبون الحال أيضاً فيما رجع إليه حـتى يدل دليل على ذهابه، وإياك أن تكون مُعَنِّتاً أو متعنتاً ولا منفراً ولا معسـراً وكن ميسراً ومعلماً ومبشـراً، وإياك أن تأتيَ الفواحِشَ الظاهرةَ والباطنةَ، فـإن الله أحقُّ من يستحيا منـه، ولا تغترّ إذا كنتَ على طريقة غير مرضية بما يُملي الله لـك فإن الله يقـول **﴿إنما نُمْـلي لهُم ليزدادوا إثماً ولَهُم عذابٌ مُهين﴾**[٣] فاحذر مكـرَ الله بك في ذلـك، ولا تيأس من روح الله، إنـه لا ييأسُ من رَوْح الله إلا القـوم الكافـرون، وإيـاك وكـلَّ مزيل للعقل مثل شـربِ الخمر وغيـره، وإياك والتصنـعَ في الكلام، ولا تقـرأ

---

(١) سورة النحل آية ـ ٤٣.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم رقم ٢٧٥٥ في التوبة باب سعـة رحمة الله، والترمذي رقم ٣٥٣٦ في الدعوات باب عظم العقوبة وعظم الرجاء، وأحمد في المسند عن أبي هريرة. جا ٤/١٤.

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٨.

القرآن في صلاتك راكعاً ولا في حال سجودك، بل قلْ في ركوعك (سبحان ربيَ العظيم وبحمده) وعظّم ربّك فيه، وفي سجودك (سبحان ربيِّ الأعلى وبحمده) وأدنى القولِ ثلاث مرات إلى ما فوقها.

الاستغفار ـ معاملة الزوجة والنزول إلى مستواها العقلي

الوصية رقم (٧١)

عليك بكثرة الاستغفار ولا سيما بالأسحارِ في حقك وفي حق غيرك، فلله ملائكةٌ يستغفرون لمن في الأرض عموماً، ولله ملائكةٌ يستغفرون للذين آمنوا خصوصاً، في كل حال وعند القيام من مجالس تَحدُّثِك. وعليك بالصدق في المواضع المشروع لك الصدقُ فيها، ولا تجبُن ولا تخف، واجتنب الكذب في الموضع المشروع لك اجتنابُه، وخَفْ ثلاثة: خَفِ الله! وخفْ نفسَك، وخَفْ من لا يخافُ الله، وإن كنت خطيباً فقصّر الخطبة وأطل صلاة الجمعة فإن ذلك من فِقْه الرجل، وعليك بالحضور مع الله والنيةِ الصالحة في كل ما تعمله من عمل، وعليك بإكرام ذي الشيبة، فإن الله يستحيي من ذي الشيبة. وعليك بإكرام حَمَلة القرآن، وعليك بإكرام الحاكم العادل، وإياك والدَّين فإنه فكرة بالليل وذلة بالنهار، واحذر أن يُقيمك لعبادة ربك شيء من زينة الحياة الدنيا، فإنك لما أقامك، ولا لأغراض النفوس، فإن الأغراض أمراضٌ حاضرة، فإنه مما رَوَيْنا في مثل ذلك أن رجلاً من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه فمرّوا على روضةٍ خضراءَ فيها عينٌ خرّارة، فاشتهى أحدهم أن يتوضأ من ذلك الماء ويصلي في تلك الروضة لما أعجبه من ذلك، فسقط من بين الجماعة وتركوه وانصرفوا، وانحطَّ عن رتبته بهذا القدر، فانظر في هذا السر ما أعجبه فإن فيه معنى دقيقاً، وقد وعظك الله بهذه الحكاية إن كنتَ اتعظت، وإن استطعتَ أن لا تمر عليك ساعةٌ من ليلٍ أو نهار إلا وأنت داعٍ

فيه ربَّك فافعلْ، وإذا أديتَ زكاةً فانوِ في أدائها أداءَ حقٍّ تدفعه لوكيل صاحبِ الحق، وهو العامل عليها الذي نصبه الحق، ولا تدفع زكاتكَ لغير عاملَ السلطان إلا بأمرِ السلطان، فتكونَ أنت عين العامل عليها، فلا تبرأ ذمتك إلا إن فعلت ما ذكرته لك، وإن ظَلَمَ العامل أربابها فهو المسؤول عن ذلك لا أنت، وقد دخلت على الناس في هذا شبهة لا يعرفونها إلا في الدار الآخرة، واحذر أن تتصدق على شريف من أهل البيت، ولكن انوِ فيها توصله إليهم الهدية لا الصدقة، فإنك إنْ نويتَ الصدقة عليهم أثِمْتَ إلا أن تُعرِّفهم بذلك، فإن أكلوا صدقَتَك بعد تعريفك فقد أثموا بأكلها، وأثمت حيث أعطيتَهم ما لا يجوز لك أن تعطيه إياهم وتخيّلت القربَ في عين البعد. وإياكَ أن تخوض في مال الله بغير حق، وإياك أن تنتفي عن أبيك كان من كان، ولا تتبع عوراتِ الناس ولا مثالِبَهم واشتغلْ بنفسك وحسِّن أدبَ ابنك واسمَه، وإن ابتليت بصحبة الزوجة فدَارِها وتَنَزّلْ من عقلك إلى عقلها، فإن ذلك من كمال عقلك، فإنها لن تستطيع أن تبلغ المرأةُ درجتك فلا تطلبها باستقامة الرجال، فإن أصلها على ذلك، فعامل كلَّ شخص من حيث هو، لا ما أنت عليه فإن الغالب على النساء أنهن لا يستطعن أن يَبْلُغن مبلغَ الرجال الكُمَّلِ إلا من جاء النص بكمالها وهما: مريمُ بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، فإن النص ورد فيهما بالكمال من النبي ﷺ، وعليك بالعدل في الحكم، واطفاء النار إذا فرغت من حاجتك إليها، وعليك باستعمال الحبّة السوداء وهي الشونيزُ في جميع أمراضك، فإنها شفاء من كل داء إلا السّام، والسام: الموتُ. ولقد ابتُلي عندنا رجل من أعيان الناس بالجذام، وقال الأطباءُ بأجمعهم لمّا أبصروه، وقدتمكنت العلّة منه: ما لهذا المرضِ دواءٌ، فرآه رجل من أهلِ الحديث من بني عفير من أهل لبلة[1] يقال له: سعد السعود، وكان

---

(١) أيلة: نسخة.

عنده إيمان بالحديث عظيمٌ يقطع بـه، فقال لـه: يا هـذا لم لا تُطِبْ نفسـك؟ فقـال له الـرجل: إن الأطبـاء قالـوا: ليس لهـذه العلة دواء، فقـال: كـذبتِ الأطباء، والنبي ﷺ أصدقُ منهم، وقد قال في الحبـة السوداءِ (إنها شفـاءٌ من كل داء)[1] وهذا الداء الذي نـزل بك من جملة ذلـك، ثم قال: عـليّ بالحبـةِ السوداء والعسلِ، فخلط هذا بهذا، وطـلى بهما بـدنه كلَّه ورأسَـه ووجهه إلى رجليه، وألعقه من ذلك، وتركه ساعةً، ثم إنه غَسَل ذلك عنـه، فانسلخ من جلده ونبت له جلدٌ آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره وبرىء وعـاد الى ما كـان عليه في حـال عافيتـه، فتعجب الأطباء والنـاسُ من قوة إيمـانه بحـديث رسول الله ﷺ، وكان ـ رحمه الله ـ يستعمل الحبة السوداء في كـل داء يصيبه، حتى في الرمد، إذا رمدت عينه اكتحل بها فيبرأ من ساعته.

المحافظة على عرض المسلم ـ عالم تحقق بهذا الخلق

الوصية رقم (٧٧) ادفع عن عِرضِ أخيك المسلم ما استطعت ولا تخذله إذا انتُهكت حرمته، فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ (ما مِنْ امرىءٍ مُسْلم يخذل امرأ مسلماً في موضعٍ تُنتهـك فيه حـرمتُه ويُنتقص بـه من عِـرضـه إلا خَـذَلَـه الله في مـوضـع يُحب نصرته)[2]. وما رأيت أحداً تحقق بمثـل هذا في نفسـه مثلَ الشيـخ أبي عبدالله الـدقاق بمـدينـة فـاس من بـلاد المغـرب، مـا اغتـاب أحـداً قط، ولا اغتيب بحضرته أحدٌ قط، وكان يقول هذا عن نفسه، وربما كان يقول: لم يكن بعـد أبي بكر الصديق رضي الله عنه صِدّيق مثلي، ويذكـر هذا وكـان نِعْم السيد، خَـرّج ذكره ومنـاقبه شيخُنـا أبو عبـدالله محمـد بنُ قـاسم بن عبـدالـرحمن بن

---

(١) الحديث: وردت إضافة لهذاالحديث وهي: إلا السام وهو الموت». رواه البخاري ١٠/١٢٢ في الطب باب الحبة السوداء،ومسلم رقم ٢٢١٥ في السلام باب التداوي بالحبـة السوداء، والترمذي رقم ٢٠٤٢ في الطب باب ما جاء في الحبة السوداء عن أبي هريرة. جا ٧/٥١٨.

(٢) الحـديث: طرف من حـديث أخـرجـه أبـو داود رقم ٤٨٨٤ في الأدب بـاب من ردعن مسلم غيبة. عن أبي هريرة. وهو حديث حسن بشواهده. جا ٦/٥٦٩.

عبدالكريم التميميُّ الفاسيُّ الإمامُ بالمسجد الأزهر بعين الخيل من العُبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، سمعنا هذا الكتاب عليه بقراءته أظنُّ سنةَ ثلاث وتسعين وخمسمائة. وإذا لقيت أحداً من المسلمين فصافِحْهُ إذا سلمتَ عليه، ولا تنحنِ له كما يفعله الأعاجم، فإن ذلك عادةُ سوءٍ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قيل له: إذا لقي الرجلُ الرجلَ أينحني له؟ قال: (لا) قيل له: أيصافحه؟ قال: (نعم)[1] وقد ثبت أنه قال: (ما من مُسْلِمين يتصافحان إلا غفرَ لهما قبل أن يتفرّقا)[2] وأوصِ أهلَك وبناتِك ونساءَ المؤمنين أن لا يخلعن ثيابهن في غير بيوتهن، وإياك أن تبيتَ ليلةً إلّا ووصيتك عند رأسك مكتوبةٌ، فإنك لا تدري إذا نمت هل تصبح في الأحياء أو في الأموات، فإن الله يُمسك نفس الذي قضى عليه الموت في النوم إذا هو نام، ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى، والتواضع للخلق رفعةٌ عند الله، ولا تكثر مجالسة النساء ولا الصبيان، فإنه ينقص من عقلك بقدْر ما تنزل إلى عقولهم، مع الفتنة التي تخاف منها في مجالسة النساء، وأوصِ نساءك أن لا يخضن في القول فيطمع الذي في قلبه مرض، وأن يقعدن في بيوتهن ويغْضضن من أبصارهن، ولا يبدين زينتهن إلا حيث أمرهن الله، وإياك ودخولَ الخدام على نسائك، فإنهم من أُولي الإرْبة، واحجب نساءك عنهم كما تحجبهم عن فحولِ الذُّكران فإنهم من الرجال، وكن نِعْم الجليس للملك القرين الموكل بك، وأصغِ إليه، واحذر من الجليس الثاني الذي هو الشيطان، ولا تنصر الشيطانَ على الملك بقبولك منه ما يأمرك به، واخذله واستعنْ بقبولك من الملك عليه، وأكرمْ جلساءك من الملائكة الكرام الكاتبين الحافظين عليك فلا تُمْلِ عليهم إلا خيراً

(١) الحديث: لم يوجد بهذا اللفظ ولكن وُأجد معناه: قال ﷺ قبلة المسلم أخاه المصافحة رواه المحاملي في أماطية والديلمي في الفردوس عن أنس، ووجدت أيضاً: من تمام التحية الأخذ باليد. رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال: غريب صحيح.

(٢) الحديث: رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه. كشف ٢/ ٤٠٢.

فإنك لا بد لك أن تقـرأ ما أمليته عليهم، واحذر من بسط الدنيا عليك إذا بسـطها الله أن تتصـرف فيها أو تصـرفها في غـير طـاعـة الله، ولا تعصِ الله بنعمه، فإن من شكـر النعمة أن تـطيع الله بهـا وتستعين بهـا على طـاعة الله، وإياكَ والتنافسَ في الدنيا، وأقلِلْ منهـا ما استـطعت، ومن صحبةِ أهلهـا فإن قلوبهم غافلةٌ عن الله بحبها، وإذا غفل القلب عن الله لم ينطق اللسان بذكـر الله، إلا أن ذكره في يمين لا يكون فيها باراً أو فيها لا يجوز له أن يذكره فيه مما يمقته الله على ذلك الذكر.

البطنة تذهب الفطنة ـ اتباع الإمام ـ الخروج من الخلافة

الوصية رقم (٧٨) إياك والبطنةَ فإنها تذهب بالفطنة، وكل لتعيش وعِشْ لتـطيع ربـك، ولا تعش لتأكل، ولا تأكل لتسمُن، فما مُليء وعاءٌ شرٌّ من بطن مُـليء من حلال، وعليك بلقيمات يُقِمْنَ صُلبك، وإذا صليتَ خَلْفَ إمام فاقتدِ به واتبعه، فـلا تكبر حتى يكبّر، ولا تركعْ حتى يركع، ولا ترفعْ حتى يـرفَع، ولا تسجـد حتى يسجدَ، وإذا أمّنَ بعد الفراغ، من الفاتحة فأمّنْ ولا تختلف عليـه، وإذا كنت إماماً فاقتدِ بأضعف القوم ولا تُطِل عليه حتى تُكْـرَه إليه الصـلاة، بل خفف في تمام ركوعٍ وسجود، وإذا قرأت آيةً فانـظر أين أنت منها، وإذا سمعت الله يقول: (يا أيها الناس) أو (يا أيها الذين آمنوا) فكن أنت المخاطبَ، وافتح له أذن فهمـك لِما يقـول لك في هـذا التنبيه، فكن في قبولـك ذلك بحسب مـا يقول، إن نهاك فانته، وإن أمرك فافعل منـه ما استـطعت، فإذا سمعت منـه أمـراً لا تستطيع فعله فما أنت المأمور به في تلك الحال فاعلم هذا ﴿**فـاتقوا الله مـا استطَعْتُمْ واسمعـوا وأطيعوا**﴾[١] وإذا قـال الإمام: (سمـع الله لمن حمده) فاعتقد أن ذلك القول قاله الله على لسان عبده فقل أنت: (ربنـا ولك الحمـد

---

(١) سورة التغابن آية ١٦.

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربنا ويرضى ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملءَ ما شئتَ من شيء بعدُ، أحقُّ ما قال العبد، وكلنا لك عبدٌ، لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطي لما منعتَ ولا ينفعُ ذا الجد منك الجد) وقل في ركوعك ثلاثَ مرات (سبحان الله العظيم) أو (سبحان ربي العظيم وبحمده) وقل في سجودك ثلاثَ مرات (سبحان ربيَ الأعلى وبحمده) وذلك أدناه، وقد ذهب ابن راهويه الى أن المصلي إذا لم يقل ذلك ثلاث مرات في ركوعه وثلاثَ مرات في سجوده لم تُجز صلاته، وقد قدمتُ إليك بالوصية أن تخرج من الخلاف ما استطعت، وإذا أردت الحج فإن كان لك هَدْيٌ فأحرم بالحج أو قارنْ بين الحج والعمرة، وإن لم يكن لك هدْيٌ فأحرم بعمرة ولا بدَّ متمتعاً واخرُج من الخلاف إذا فعلت هذا، وإن جهلت وأحرمتَ بالحج وما معك هديٌ فافسخ وردّها عمرةً، هكذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه في حجة الوداع، أمرَ بالفسخ لمنْ لم يكن له هدي، وإذا حضرتَ عند مريض أو ميتٍ فلا تقل إلا خيراً، وإذا رأيت إناءً قد وَلَغ[1] فيه كلب فأهرقه ولا تتوضأ بذلك الماء، واغسلِ الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات، إحداهن بالتراب، ولا تُدخل يدك في إناء وضوئك إذا قمت من النوم، واجتنب النجاساتِ أن تَمَسّ ثيابك، وإذا بُلْتَ فاستتر من بولك، وإذا كنتَ في سفر وجئت فلا تطرق أهلك ليلاً، وابدأ بالمسجد فصلِّ فيه ركعتين، وحينئذ تنصرف إلى بيتك، ولا تفْجأهم بالقدوم عليهم، وقدّم بين يديك مَنْ يُعرّفهم ليلقَوْك بما يسرك، ويصلحوا من شأنهم ما تكره أن تراهم فيه، وإذا كان بين يديك طعامٌ فوقع فيه ذبابٌ فلا تُزلِ الذبابَ عنه حتى تَغْمِسْه فيه، فإن في جناحه الواحد داء وفي الآخر دواءً لذلك الداء، وهو أبداً يرفع الجناح الذي فيه الدواء، وإذا ضربت أحداً أو قاتلته فاجتنب ضربَ الوجه، وإذا أحببت

(١) ولغ الكلب في الإناء ـ يلغ ـ بفتح اللام فيهما ـ من باب نفع: اذا شرب ما فيه بأطراف لسانه. اهـ مختار الصحاح.

أحداً فأعلمه بحبك إياه فإنك تجلب بذلك الإعلام محبته إياك، فيحبك بلا شك ويرى لك ذلك. وإن مات لك ميت تتولى شأنه فأحسن كَفَنَه وتكفينه، واجعل في غُسله سدراً[1]، وإن قُدّم إليك طعام في قصعة فكُلْ من جانبها، ولا تأكل من أعلاها، وإذا مشيت إلى الصلاة فبوقار وسكينةٍ من غير كِبْرٍ، وامشِ كأنك تَنْحَطُّ من صَبَب[2]، فإن ذلك أنفى للكبر وأسرعُ لقضاء الحاجة، واحذر ان تصلي وأنت تدفع النوم، بل نَمْ فإذا ذهب النوم فصلِّ، ولقد كنتُ ليلةً أصلي وأنا أدفع النومَ فذهبتُ لأقرأ، فسمعتُني أَسُبُّ نفسي بدلاً من القراءة، فتركتُ الصلاة ونمت، ولا تَنم قبل صلاة العتمة، ولا تتحدث بعدها. وإذا ركعت ركعتي الفجرِ فاضطجع على شِقّك الأيمن، وحينئذ تصلي الصبح، وإذا قعدتَ للتشهد فصلِّ على محمد، واستعذ بالله من عذاب القبر وعذاب النار، وفتنةِ المسيح الدجال، وفتنةِ المحيا والممات، واجهد أن لا تترك هذا حتى تخرجَ من الخلاف بفعلك ما أمرتُك، فإني ما أمرتُك بأمر تفعلُه من عباداتك إلا لِمَا أعرفُ في تركه من الخلاف بين العلماء، وأريد أن تأتي العبادةَ على أتم وجوهها مما لا اختلاف فيه، هذا غرضي في هذه الوصية بمثل هذه الأمور، فلا تُهمل شيئاً مما وصيتك به.

التقوى بالصوم

الوصية رقم (٧٩) إياك أن تقترف ذنباً وأنت صائم، فإنه يُبطل صومك، فالصوم لله لا لك، فلا يرام هو في عمل هو له على ما لا يرضاه منك، فلتكن على أحسنِ الحالات في صومك. وإن شاتَمك أحدٌ أو قاتلك فقلْ: إني صائم، فلا تجازه

---

(١) السدر: شجر النبق اهـ مختار الصحاح.

(٢) أي من فوق اهـ منجد.

بفعله، وإن كان لك مالٌ فاجهد أن تكون لك صدقةٌ جارية تنفقها[1] على الناس لا تخُصُّ بها طائفة من طائفة، بل على المسلمين الذين تلفظوا بالشهادة، أو ولدوا في الإسلام، فإن هذه الأوقافَ إن لم تكن على حدِّ ما ذكرتُها لك، وإلا أكلَ الناسُ حراماً، ويكونُ الواقفُ هو الذي أساء في حقهم حيث اشترط شرطاً معيناً سوى الإسلام، فإن اشترط ولا بدّ فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلب أحواله، وكذلك إن كان لك عل علم نافع في الدين فبُثّه في الناسِ لينتفع به كلُّ سامعٍ إلى يوم القيامة.

يا أخي إذا كان في يدك سيف مُصْلَتٌ فأراد أحدٌ أن يتناوله منك فلا تناولْه إياه حتى تُغْمِدَه، فالله الله، إذا رأيتَ أحداً على عملٍ يكرهه الشرعُ من المسلمين فاكره عمله ولا تكره المسلم الذي هو العاملُ، وإن كنتَ صادقاً في كراهيتك عملَه فلا تعمل بمثله، فإن عملتَ بمثله وكرهته من غيرك فأنت مراءٍ بِمَا ظهرتَ به من الكراهة لذلك، وهنا سرٌّ خفيٌّ ومكرٌ دقيقٌ يؤدي الى ترك تغيير المنكر. وإذا كنت في سفر وأردتَ التعريس[2] بالليل فاجتنبِ الطريقَ، فإن الهوام بالليل تقصد الطريقَ، فربما يؤذيك شيء منها، وقل إذا نزلتَ منزلاً (أعوذُ بكلمات الله التامّات كلها من شرِّ ما خَلَق) فإنه لن يضرك شيءٌ ما دمت في ذلك المنزل. أخبرني صاحبي عبدُالله بدرٌ الحبشيُّ الخادمُ عن الشيخ ربيع بن محمود الحطاب الماrديني قال: بِتنا ليلةً برأسِ العَيْنِ بمسجدٍ، وبرأس العين عقاربُ تسمى الجرارات لا ترفع أذنابها إلّا عند الضرب، وهي قتالةٌ، ما ضربتْ أحداً فعاش، فجاء شخصٌ فبات في المسجدِ وذكر هذه الاستعاذة، فضربتْه العقرب في تلك الليلة، فقال للشيخ ربيعٍ حديثه، فقال له: صح الحديثُ، فإن الله قد رفع عنك الموتَ، فإنها ما

(١) توقفها. نسخة.

(٢) التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون. والموضع: معرس ـ بالتشديد. اهـ مختار الصحاح.

ضربتْ أحداً إلاّ مات، وقد رأيتُ أنـا مثل هـذا من نفسي: لدغتني العقـربُ مرةً بعد مرةٍ في وقت واحد، فما وجدتُ لها ألماً، وكنتُ قـد ذكرتُ مثـلَ هذه الاستعـاذة، إلا أنه كـان في حزامي بنـدقتان، وكنتُ قـد سمعت أن البنـدقَ بالخاصية يدفع ألمَ الملسوع، فـلا أدري هل كـان ذلك للبنـدق أو للدعاء، أو لهما معاً؟ إلاّ أنه تورم رجـلي، وحصل فيـه خدر، وبقي الـورم ثلاثـةَ أيام ولا أجد ألماً البتة. وعليك بالتسمية في كـل حال تشـرع فيه، من أكـلٍ وشربٍ، ودخولٍ وخروجٍ، وتـرحالٍ، وحـركةٍ وسكـون، وإذا دخلت بيتَ الله فابـدأ بـرجلك اليمنى، وإذا خرجتَ فـاخرُج بـرجلك اليسرى، وإذا انتعلتَ فـابدأ باليمنى، وإذا خلعتَ فابدأ باليسرى.

أدب المجالس ومقصود الحق الصدق

الوصية رقم (٨٠) لا تُسارِرْ صاحبك بشيء ومعكما ثالثٌ دونه، فإن ذلك يوحشُه بلا شك، ومقصـودُ الحق من عباده تـألُّف القلوب والمحبةُ والتـودد، وإن الله قـد جعـل الألفة منّة منه على رسـول الله ﷺ فقال: (لـو أنفَقْتَ ما في الأرض جميعـاً ما ألّفْتَ بين قُلُوبهم، ولكنَّ الله ألّفَ بينهم)[1] وكذلـك لا تتكلمْ معه بلسـان لا يعرفه الثالثُ، فإنه لا فرق بينه وبين المساررة. والتزم الصدقَ في حديثك أبداً وفي أفعالك تكنْ أصدقَ الناس رؤيا، وإذا سمعتَ صياحَ الـديكة فسـلِ الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتَ نهيقَ الحمار فتعوذْ بـالله من الشيطان الرجيم، فإن الحمار لا ينهق إلا إذا رأى شيطانـاً، والديـك لا يصيـحُ إلا إذا رأى مَلَكـاً. وقد روينـا (إن لله ديكاً في السـماء إذا صاحَ وسمعتـه الديـوكُ في الأرضِ صاحت لِصِياحِه)[2]. كن في كل حالٍ ذا نيةٍ حميدة مع الله يرضاهـا

(١) سورة الأنفال ـ آية ٦٣.

(٢) الحديث: لم أجده. ولكن هناك حديث في الأذكار للإمام النووي رواه أبو داود في سننه باسناد صحيح من زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة». الأذكار ٢١٣.

الله منك، وعلى عملٍ صالـح ولا سيما إذا كَـثُر الفسادُ في العـامة، فـما تدري لعل الله يرسلُ عليهم عذاباً يعمُّ الصالح والطالحَ فتكونَ ممن يحشرُ على عمل خـيرٍ، كما قبضتَ عليـه، يقول الله: ﴿**واتّقـوا فِتْنَـةً لا تُصيبَنّ الـذينَ ظَلَمـوا منكم خاصّةً، واعلَمُوا أنَّ الله شديدُ العقاب**﴾[1] ولا تشمت عاطساً لم يحمـد الله، ولكن ذكّره أن يحمدَ الله، ثم شمتْه، وإياك إذا غلب عليـك التثاؤب أن تُصوِّت فيه، واكظُمه ما استطعت، وإياك أن تمدح أحـداً في وجهه فتخجله، وإذا مدحك أحـدٌ في وجهك، فـاحْثُ الترابَ في وجهـه برفقٍ، وصـورةُ حثْوِ التراب أن تأخذَ كفاً مِن ترابٍ وترميَ به بين يـديه، وتقـولَ له: مـا عسى أن يكونَ من خُلِقَ من تراب، ومَن أنا، وما قدْري؟ تُوبّخُ بذلك نفسك وتعـرّف المادحَ بقدْرك وقدره، هكذا فلتحثُ الترابَ في وجوه المـداحين، وكـان شيخُنا عبـدُ الحليم العماديُّ بمـدينة (سـلا) إذا رأى شخصاً راكبـاً ذا شارةٍ يُعـظِّمـه الناسُ وينظرون إليه، يقول لـه ولهم: ترابٌ راكبٌ عـلى ترابٍ، ثم ينصـرفُ ويُنشِد:

حـتّى مَـتَى، وإلى مَـتَى تَـتَـوانى   أتـظُنُّ ذلـك كـلَّه نسْيـانـا؟

وكـان الغالبُ عليـه التولّـه، وإذا كان لـك ولـدٌ صغـير وجـاءت فحمـة العشاء[2] فأمسكه عن التصرف، فان الشياطين منتشرةٌ حينئذ فلا تـأمن عليه أن يصيبه لَمَم، فإن الشـارع قد أمـر بذلـك، وإذا صَنَع لـك خادمُـك طعامـاً وأتاك به فأجْلِسْه معك، فإن أبى وتأدّبَ فأذِقْه منه ولا بدّ ولو لقمةً، وإيـاك أن تأكل وعينٌ تنظرُ إليك من غير أن يأكل معك، وإذا سمعت أحداً يوم الجمعة يتكلمُ والإمامُ يخطب فلا تقـل له: أنصت، فـإن قـلت ذلـك فـأنت ممن لغـا في جُمُعَتِه، ولا تعبث بشيء، لا بـالحصى ولا بغيره، والإمـامُ يخطُب،

---

(١) سورة الأنفال ـ آية ٢٥.

(٢) فحمة العشاء: ظلمته. اهـ مختار الصحاح.

فإنه لغو، وإذا كنتَ صائماً وأفطرتَ فـأفطر عـلى تمرٍ إن وجـدتَ، فإن لم تجـد فعـلى حَسَواتٍ من مـاءٍ، وليكن ذلك وتـراً، وعجّل بـالفطر، ثم صـلِّ بعـد ذلك، إلا إنْ حضرَ الطعـام، فإن حضرَ الـطعام فـابدأ بـه قبلَ الصـلاة، إن كنتَ آكـلاً ولا بدّ، وإذا حـدثك إنسـانٌ وتراه يلتفت، فحـديثه إيـاك أمـانـةٌ أودعك إياها فلا تَخُنْه فيه بالإفشاء، وراقب قلبَك في الناس، فمهما خطر لـك تغيرٌ في أحد من المؤمنين في قلبك فأزِلْه وظنَّ خيراً وأقم له عذراً فيما تغـير له، وإن حالت بينك وبين الماشي معـك، شجرةٌ أو جـدارٌ ثم تلاقيتما فسلّم عليه حتى يعلَم أنك على الوُدِّ الذي فارقته عليه.

المعاملة لله والخلق صحبة الملوك محبة الصحابة

الوصية رقم (٨١) عاملْ كلَّ من تصحبُه أو يصحبُك بما تعطيه رتبتُـه ومنزلتُـه، فعامـلِ الله بالوفاء لما عاهدتـه عليه: من الإقـرار بربـوبيته عليـك، وهو الصـاحب بقول رسول الله ﷺ، وعاملِ الآيات بالنظر فيها. وعامل ما تدركُه الحـواسُّ منك بالاعتبار، وعاملِ الرسلَ بالاقتداء بهم، وعاملِ الملائكة بـالطهـارة والذكـر، وعاملِ الشيـطانَ إذا علمت أنه شيـطانٌ من إنس وجانٍّ بـالمخالفـة، وعامـلِ الحَفَظَة بحُسْن ما تملي عليهم، وعامـل من هو أكبـرُ منك بـالتوقـير، ومن هو أصغرُ منك بالرحمةِ، ومن هو كفؤك بالتجاوز والانصاف والإيثار، وأنْ تطالِبَ نفسـك بحقه عليـك، وتركِ حقـك له، وعـاملِ العلماء بـالتعظيم، وعـامـل السفهاء بالحلم، وعامِلِ الجهّال بالسياسة، وعامِلِ الأشرارَ ببسط الوجـهِ وما تتقي به شرّهم، وعامِلِ الحيـوانَ بالنـظر فيما يحتـاجون إليـه، فإنهم خُـرْس! وعاملِ الأشجارَ والأحجارَ بعدم الفضول، وعاملِ الأرض بالصلاة عليها، وعـامِلِ المـوتى بالـدعاء لهم وذكـرِ محاسنهم والكفِّ عن مسـاويهم، وعـامِـلِ الصـوفية أهـلَ الكشف والوجـود منهم أصحاب الأحـوال بالتسليم، وعـامل الإخوانَ في الله بالبحث عن حركاتهم وسكناتهم في ماذا يتحركون ويسكنون،

وعامل الأولادَ بالإحسان، وعامِلِ الزوجةَ بحسنِ الخلق، وعامل أهـلَ البيتِ بالمودةِ، وعامل الصلاةَ بالحضور، وعاملِ الصوم بالتنزه عن الذنوب، وعامل المناسكَ بذكر الله والتعظيم، وعاملِ الزكاةَ بسرعـة الأداء، وعامـل التوحيـدَ بـالإخلاص، وعـامل الأسـماء الإلهية بمـا تُعـطيـه حقيقـةُ كـل اسمٍ إلهي من الأخلاق، فمعاملة الأسماء الإلهية بالتخلق بها، وعامل الـدنيا بـالرغبـة عنها، وعاملِ الآخرةَ بالرغبة فيها، وعاملِ النساءَ بالحذر من فِتنتِهِنَّ، وعاملِ المـالَ بالبذل، وعـاملِ النـارَ والحدودَ بـالتقوى والـرهبةِ، وعـاملِ الجنّـة بالـرغبة، وعاملِ الأولياءَ بما تزيد ولايتُهم، وعاملِ الأعـداء بما تكفُّ أذاهم، وعـاملِ الناصحَ بالقبول، وعاملِ المحدِّثَ بالاصغاء إلى حديثـه، وعامـل الموجـوداتِ كلِّها بالنصيحة، وعاملِ الملوكَ بالسمع والطاعة، والأخذ عـلى أيدي الـظلمة منهم ما استطعتَ بطريقة تكتفي بها شرّهم، وإياك وصحبةَ الملوك، فـإنك إن أكثـرتَ مخالـطةَ الملِك مَلَكَكَ[1]، وإن تـركته أذلك، فخـذْ وأعطِ إن بُليت بصحبتهم، وعـاملْ قـارىء القرآن بالإنصات ما دام تـالياً، وعـامـل القـرآن بالتدبر، وعاملِ الحديثَ النبوي بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعَـرْضِه عـلى الأصول، فما وافق الأصول فخذْ به، وإن لم يصح الطريقُ إليه، فـإن الأصل يعضُده، وإذا ناقضَ الأصول بالكلية فلا تأخذ بـه، وإن صح طـريقه، مـا لم نعلم أن له وجهاً، فإن أخبارَ الآحاد لا تفيد سوى غلبة الظن، وعليك بالسنة المتـواترة وكتـابِ الله، فهما خـيرُ مصحوبٍ وخـيرُ جليس، وإياك والخوض فيما شِجَرَ بين الصحابة، ولتُحبَّهم كلَّهم عن آخرهم، ولا سبيل إلى تجريحِ واحدٍ منهم، فمنهم نأخذُ الدين الذي تَعَبّدنا الله بـه، وعاملهم بـالعدالَـةِ في الأخذ عنهم، ولا تتهمهم فهم خـيرُ القرون، وعـامل بيتَـك بالصـلاة فيه، وعـامـل مجلسك بذكر الله فيه، وعـامل فُـرْقَتَك من كـلِّ مجلس بالاستغفـار، والضابِطُ

---

(١) ملك: نسخة (من الملل).

للصحبة أن تعطي كل ذي حق حقّه، ولا تترك مطالبةً لأحدٍ عليك بحقٍ يتوجه له قِبَلك، وعامل الجاني عليك بالصفح والعفو، وعامِل المسيءَ بالإحسان، وعاملْ بصَرَك بالغضّ عن محارم الله، وسمعك بالاستماع إلىٰ أحسن الحديث والقولِ، ولسانَك بالصمت عن السوء من القول، وإن كان حقاً لكن كَرِهَ الشرعُ أو حرّم النطقَ به، وعامِل الذنوبَ بالخوف، وعامل الحسنات بالرجاء، وعامل الدعاء بالاضطرار، وعاملْ نداءَ الحق إياكَ بالتلبيةِ لما ناداك إليه من عملٍ أو تركٍ.

وصية الوصايا من رسول الله لعلي بن أبي طالب

الوصية رقم (٨٢) روينا عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أوصاني رسولُ الله ﷺ فقال[١]:

يا علي أوصيك بوصيةٍ فاحفظْها، فإنك لا تزالُ بخيرٍ ما حَفِظْتَ وصيتي، يا علي: إن للمؤمن ثلاث علامات: الصلاةُ والصيامُ والزكاةُ وللمتكلف ثلاثُ علامات: يتملقُ إذا شهد، ويغتابُ إذا غاب، ويشمَتُ بالمصيبة، وللظالم ثلاثُ علامات: يقهر منْ دونه بالغلبة، ومَنْ فوقه بالمعصية، ويُظاهر الظلمة، وللمرائي ثلاثُ علامات: يَنْشط إذا كان عند الناس، ويفتُر إذا كان وحده، ويحب أن يحمد في جميع الأمور، وللمنافق ثلاثُ علامات: إن حدّثَ كذب، وإذ وعدَ أخلَف، وإن ائتُمِن خان، يا علي، وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يُفرّط، ويفرطُ حتى يُضيع، ويضيع حتى يأثمَ، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: نظرة لمعاش، ؛ أو لذة في غير محرم، أو خطوة لمعاد، يا علي: إنّ من اليقين أن لا تُرضيَ أحداً بسخط الله،

---

(١) الوصية، الحديث لم أجده في مصدر ولكن بعض مفرداته موجودة في أحاديث متفرقة كثيرة منها الصحيحة وغير ذلك من الحسن والضعيف. ولا بأس فيها فيه ترغيب بمعروف وترهيب عن منكر،والله الموفق لكل علم صحيح.

ولا تحمدنّ أحداً على ما آتاك الله، ولا تذمّن أحداً على ما لم يؤتكه الله، فإن الرزق لا يجره حرصُ حريص، ولا يصرفه كراهيةُ كارهٍ، وإن الله سبحانه وتعالى جعل الروح والفرجَ في اليقين والرضا بقَسم الله، وجعلَ الهمَّ والحزنَ في السخط بقسم الله، يا علي: لا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا مالَ أعوزُ[1] من العقل، ولا وحدة أوحشُ من العُجب، ولا مظاهرة أوثقُ من المشاورة، ولا إيمان كاليقين، ولا ورعَ كالكفّ، ولا حسبَ[2] كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر، يا علي: إن لكل شيء آفة، وآفةُ الحديث الكذبُ، وآفة العلم النسيانُ، وآفة العبادةِ الرياءُ، وآفة الظرّف الصلف[3]، وآفةُ الشجاعة البغي، وآفةُ السماحةِ المَنُّ، وآفةُ الجمالِ الخُيَلاء، وآفةُ الحسب الفخرُ، وآفةُ الحياءِ الضعفُ، وآفةُ الكرم الفخرُ، وآفةُ الفضلِ البخل، وآفةُ الجود السرفُ، وآفةُ العبادةِ الكبرُ، وآفةُ الدِّينِ الهوى، يا علي: إذا أثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيراً مما يقولون، واغفرْ لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني فيما يقولون، تسلمْ مما يقولون، يا علي: إذا أمسيتَ صائماً فقل عند إفطارك: اللهم لك صمتُ، وعلى رزقكَ أفطرتُ، يكتبْ لك أجرُ من صام ذلك اليومَ من غير أن ينقُصَ من أجورهم شيءٌ، واعلم أن لكلِّ صائم دعوة مستجابة، فإن كان عند أول لقمة يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، يا واسعَ المغفرة اغفرْ لي، فإنه من قالها عند فطره غُفِر له، واعلم أن الصوم جُنّةٌ من النار، يا علي: لا تستقبلِ الشمسَ والقمرَ واستدبِرْ هما، فإن استقبالها داءٌ واستدبارهما دواءٌ، يا علي: استكثْرْ من قراءة يس، فإن في قراءة يس عشر بركات، ما قرأها قطُّ جائعٌ إلا شبع، ولا قرأها ظمآن إلا روي، ولا عارٍ إلا اكتُسي، ولا مريضٌ

---

(١) أجود. نسخة.

(٢) ولا حسن. نسخة.

(٣) الصلف: مجاوزة قدر الظرف، والادعاء فوق ذلك تكبراً. والظرف: الكياسة اهـ مختار الصحاح.

إلا بـرىء، ولا خـائفٌ إلاّ آمن، ولا مسجـونٌ إلا انفـرج، ولا أعـزبُ إلاّ تزوج، ولا مسافرٌ إلا أعين عـلى سفره، ولا قـرأها أحـدُ ضلّت له ضـالّةٌ إ لا وجدها، ولا قـرأها عـلى رأس ميت حضر أجله إلا خُفِّف عليه، ومن قـرأها صباحاً كان في أمان إلى أن يمسي، ومن قرأها مساء كان في أمان حتى يُصبح، يا علي: إقرأ (حم الدخان) في ليلة الجمعة تصبحْ مغفوراً لـك، يا عـلي: إقرأ آيةَ الكرسي دُبُـر كل صـلاة تُعْطَ قلوبَ الشاكـرين، وثوابَ الأنبيـاء، وأعمال الأبـرار، يا عـلي: إقرأ سـورةَ الحشر تحشرْ يومَ القيـامة آمنـاً من كل شّرٍ، يـا علي: إقرأ (تبارك والسجدة) ينجيانك من أهوال يوم القيـامة، يـا علي: إقـرأ (تبارك) عند النوم تدفعْ عنك عذابَ القبر ومسألةَ منكرٍ ونكيرٍ، يا علي: إقـرأ (قل هو الله أحد) على وُضوء تنادَ يومَ القيامة: يا مادحَ الله قمْ فادخلِ الجنة، يا علي: إقرأ (سورة البقرة) فإن قرأتها بركةٌ، وتركها حسـرةٌ، وهي لا تُطيقهـا البَطَلة، يعني السحرة، يـا علي: لا تُـطِل القعودَ في الشمس فـإنها تُثير الـداء الـدّفين، وتُبـلي الثيابَ، وتُغير اللونَ، يا عـلي: أمانٌ لـك من الخـوف[1] أن تقـول: سبحـانـك ربي لا إلـه إلاّ أنت، عليـك تـوكلتُ وأنت ربُّ العـرش العظيم، يا علي: أمانٌ لك من الوسـواس أن تقرأ (وإذا قـرأتَ القرآنَ جعلنـا بينك وبينَ الذينَ لا يؤمنونَ بالآخِرَة حِجاباً مستوراً)[2] إلى قوله تعالى: ﴿**وَلّوا على أدْبارِهم نُفُوراً**﴾ يا علي: أمانٌ لك من شرِّ كل عائنٍ[3] أن تقول: ما شاء الله كانَ، وما لم يشأْ لم يكن، أشهدُ أن الله على كل شيء قـديرٌ، وأنّ الله قـد أحاطَ بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله، يا علي: كُلِ الزيتَ وادّهنْ بالزيت، فإنه من أكل الزيت وادهن بالزيت لم يقْرَبْه

---

(١) الحرق. نسخة.

(٢) تمام الاية: (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) اه. سورة الاسراء ـ آية ٤٥، ٣٤٦.

(٣) عانه: ـ أصابه بعينه، فهو عائن. اهـ مختار الصحاح.

الشيطانُ أربعين صباحاً، يا علي: ابدأ بالملح واختم بـالملح، فإن الملح شفـاءٌ من سبعـين داء، منها الجنـونُ، والجذامُ[1]، والبـرصُ ووجعُ الحلقُ، ووجـعُ الأضراس، ووجع البطن، يا عـلي: إذا أكلتَ فقل: بسمِ الله، وإذا فـرغت فقل: الحمد لله، فإن حافِظَيْكَ لا يستريحان يكتُبـان لك الحسنـات حتى تنبذه عنـك، يا عـلي: إذا رأيت الهلالَ في أول الشهـر فقل: الله أكبـر (ثلاثـاً) و: الحمدُ لله الذي خلقني وخلقك وقدَّرك منازلَ وجعلك آيةً للعالمين، يباهي الله بك الملائكة يقول: (يا ملائكتي اشهدوا أني قد أعتقتُ هذا العبدَ من النـار)، يـا علي: إذا نـظرتَ في المرآة فقـل: اللهم كما حسّنتَ خَلْقي فحسّن خُلُقي، وارزُقني، يا علي: وإذا رأيتَ أسداً واشتدّ بكَ الأمرُ فكبّر ثلاثاً وقل: الله أكبرُ وأجلُّ وأعزُّ مما أخاف وأحـذرُ، اللهم إني أدرأ بك في نحـره، وأعوذُ بـك من شرّه، فإنك تُكفى بإذن الله، وإذا رأيت كلباً يهرُّ فقل: يا معشرَ الجنِّ والإنس إن استطعتُم أن تنفُذوا من أقطار السمواتِ والأرض فـانفذوا لا تنفـذون إلا بسلطان، يا علي: إذا خرجتَ منْ منزلك تريدُ حاجةً فاقرأ آية الكـرسي، فإن حـاجتك تُقضى إن شـاء الله تعالى، يـا علي: وإذا تـوضـأتَ فقـل: بسم الله والصلاةُ على رسول الله، يا علي: صلِّ من الليل ولو قـدرَ حلب شاةٍ، وادعُ الله سبحانه بالأسحار لا تردَّ دعوتك، فإن الله سبحانه يقـول: ﴿**والمُسْتغْفرينَ بالأسحار**﴾[2]، يا علي: غسّـل الموتى، فـإنه من غسّـل ميتاً غُفِـر له سبعـونَ مغفرة، لو قسمتْ مغفـرةٌ منها عـلى جميعِ الخلق لـوسعتهم، فقلتُ يا رسـول الله: ما يقول مَنْ غسل ميتاً؟ فقال رسول الله ﷺ: يقول: غفرانـك يا رحمنُ حتى يفرغ من الغسل، يا علي: لا تخـرج في سفرٍ وحـدك، فإن الشيـطان مع الواحد وهـو من الاثنين أبعـدُ، يا عـلي: إن الرجـل إذا سافـر وحده غـاوٍ[3]

(١) الجذام: داء والأأذم: المقطوع اليد، اهـ مختار الصحاح.
(٢) سورة آل عمران ـ آية ١٧.
(٣) الغي: الضلال والخيبة، وقد غوي فهو غاو ـ اي ضال اهـ مختار الصحاح.

والإثنان غاويان، والثلاثةُ نفرٌ[1] يا علي: إذا سافرت فلا تنزلِ الأودية، فإنها مأوى السباع والحياتِ، يا علي: لا تردفنّ[2] ثلاثة على دابة، فإن أحدهم ملعونٌ، وهو المقدم، يا علي: إذا ولد لك مولود: غلامٌ أو جاريةٌ فأذّن في أذنه اليمنى، وأقم في أذنه اليسرى، فإنه لا يضره الشيطان أبداً، يا علي: لا تأتِ أهلك ليلةَ الهلالِ، ولا ليلةَ النصف فإنه يتخوف على ولدك الخبلُ[3]، قال عليٌّ: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن الجن يُكثرون غشيان نسائهم ليلةَ النصف وليلةَ الهلال، أما رأيت المجنون يُصرع ليلةَ النصف وليلةَ الهلال؟ يا علي: وإذا نزلتْ بك شدةٌ فقل: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد عليك أن تُنجيني، وإذا أردتَ الدخول إلى مدينةٍ أو قريةٍ فقل حين تُعاينها[4]: اللهم إني أسألك خيرَ هذه المدينة وخيرَ ما كتبت فيها، وأعوذ بك من شرّها ومن شرّ ما كتبت فيها، اللهم ارزقني خيرها، وأعذني من شرها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا، يا علي: إذا نزلتَ منزلاً فقل: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خيرُ المنزلين، ترزق خيره ويدفعْ عنك شرُّه، يا علي: وإياك والمراءَ فإنه لا تُعقل حكمته ولا تُؤمن فتنته، يا علي: وإياكَ والدخولَ إلى الحمام بلا مئزر، فإنه ملعونٌ الناظرُ والمنظورُ إليه، يا علي: لا تتختم بالسبابة والوسطى، فإنه من فعل قومِ لوط، يا علي: لا تلبس المُعَصْفر، ولا تبت في ملحفة حمراء فإنها محتضرةُ الشيطان، يا علي: لا تقرأ وأنت راكعٌ ولا ساجدٌ، يا علي: إياك والمجادلة، فإنها تُحبط الأعمالَ. يا علي: لا تنهر السائلَ ولو جاءك على فرسٍ، وأعطه فإن الصدقة تقعُ بيد الله قبل أن تقع بيد السائل، يا علي: باكر بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة، يا علي: عليك بحُسن

---

(١) النفر ـ بفتحتين: عدة رجال، من ثلاثة الى عشرة. اهـ مختار الصحاح.

(٢) أردفه، أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئاً فهو رديف. اهـ مختار الصحاح.

(٣) الخبل: بسكون الباء: الفساد. وبفتحها: الجن. اهـ. مختار الصحاح.

(٤) عاين الشيء معاينة: رآه بعينه: اهـ مختار الصحاح.

الخُلُق، فإنك تُدرك بذلك درجة الصائم القائم، يا علي: إياك والغضب، فإن الشيطانَ أقدرُ ما يكون على ابن آدم إذا غضبَ، يا علي: إياك والمزاحَ فإنه يذهب بهاء ابن آدم ونشاطَه، يا علي: عليك بقراءة **﴿قُلْ هو الله أحد﴾** فإنها منهاةٌ للفقر، وإياك والربا فإن فيه ستَّ خصالٍ، ثلاثةٌ منهافي الدنيا وثلاثة في الآخرة، فأما التي في الدنيا: فتعجلُ الفناء، وتُذهِب الغنى وتمحق الرزقَ، وأما التي في الآخرة: فسوءُ الحساب، وسخط ربّ الأرباب عز وجل، والخلودُ في النار أو الخلوة (شك الراوي) يا علي: وإذا دخلتَ منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خيرُ بيتك، يا علي: أحبَّ الفقراءَ والمساكين يحبّك الله، يا علي لا تنهر المساكين والفقراءَ فتنهرك الملائكة يوم القيامة، يا علي: عليك بالصدقة فإنها تدفعُ عنك السوء، يا علي: انفق وأوسعْ على عيالك، ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالاً، يا علي إذا ركبتَ دابة فقل (الحمدُ لله الذي كرّمنا وهدانا للإسلام ومَنَّ علينا بمحمد عليه الصلاةُ والسلامُ، والحمدُ لله الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مُقرنين[1] وإنا إلى ربّنا لَمُنْقَلِبون)، يا علي: لا تَغْضَبْنَ إذا قيل لك: اتقِ الله فيسوءَك ذلك يوم القيامة، يا علي: إن الله يعجب من عبده إذا قال: اللهم اغفرْ لي إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، يقول الله **﴿يا ملائكتي عبدي هذا عَلِمَ أنه لا يغفرُ الذنوبَ غيري، اشهدوا أني قد غفرتُ له﴾**، يا علي: إذا لبست ثوباً جديداً فقل: بسم الله والحمدُ لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأستغني به عن الناس، لم يبلغِ الثوبُ ركبتيك حتى يُغفر لك، يا علي: مَنْ لبس ثوباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو عرياناً أو مسكيناً، كان في جوار الله وأمنِه وحفظه ما دام عليه منه سلك، يا علي: إذا دخلتَ السوقَ فقل حين تدخل: بسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، يقول الله تعالى: عبدي[2] ذكرني والناسُ

---

(١) أقرن له: أطاقه وقوي عليه، قال الله تعالى ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أي مطيقين اهـ مختار الصحاح.

(٢) عبدي هذا، نسخة.

غافلون، إشهدوا أني قد غفرتُ له، يا علي: إن الله يعجبُ ممن يذكره في الأسواق، يا علي: إذا دخلتَ المسجدَ فقل: بسم الله والسلامُ على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجتَ فقل: بسم الله والصلاة على رسول الله اللهم افتح لي أبواب فضلك، يا علي: وإذا سمعتَ المؤذن قل مثلَ مقالته يكتبْ لك مثلُ أجره، يا علي: وإذا فرغت من وُضوئك فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، تخرجْ من ذنوبك كيوم ولدتك أمُّك، وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة، يقال: ادخلْ من أيها شئت، يا علي: إذا فرغت من طعامك فقل: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين، يا علي: إذا شربتَ ماء فقل: الحمد لله الذي سقانا ماءً جعله عذباً فراتاً[1] برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا، تكتبْ شاكراً، يا علي: إياك والكذب فإن الكذب يسود الوجه، ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمّى عند الله كاذباً، ويصدق حتى يسمى عند الله صادقاً، إن الكذب يجانب الإيمان، يا علي: لا تغتابنَّ أحداً، فإن الغيبة تفطّر الصائم، والذي يغتاب الناس يأكلُ لحمه يوم القيامة، يا علي: إياك والنميمة فلا يدخل الجنة قتات (يعني النمّام) يا علي: لا تحلفْ بالله كاذباً ولا صادقاً، يا علي: لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم[2] فإن الله لا يرحم ولا يزكي من يحلف بالله كاذباً، يا علي: أملك عليك لسانك وعوّده الخير، فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيءٌ أشدُّ خيفةً من لسانه. يا علي: إياك واللجاجة[3]، فإنها ندامة، يا علي: إياك والحرصَ فإن الحرص أخرج أباك من الجنة، يا علي: إياك والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما

---

(١) الفرات: الماء العذب. وماء أجاج: أي ملح مر. اهـ مختار الصحاح.

(٢) جعلت فلاناً عرضة لكذا. أي نصبته له، وقوله تعالى ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ أي نصباً، اهـ مختار الصحاح.

(٣) لج لجاجة: عند في الخصومة ـ تمادى في العناد إلى الفعل المزجور عنه اهـ منجد.

تأكلُ النار الحطب، يا علي: ويل لمن يكذب ليُضحك الناس، ويلٌ له ويلٌ له، يا علي: عليك بالسواك فإنه مطهرةٌ للفم، ومرضاةٌ للرب تعالى، ومجلاةٌ للأسنان، يا علي: عليك بالتخلل فإنه ليس شيءٌ أبغضَ إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً، فقال علي رضي الله عنه: فقلت يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى ﴿فَتَلقّى آدمُ مِنْ ربّه كلماتٍ فتابَ عليه﴾[1] ما هؤلاء الكلمات؟ فقال النبي ﷺ (إن الله تعالى أهبط آدم عليه السلام بأرضِ الهند، وحواء بجدة، والحية بأصفهان، وإبليس ببيْسان، ولم يكن في الجنة أحسنُ من الحية والطاووس، وكان للحية قوائم كقوائم البعير، فلما دخل إبليس ـ لعنه الله ـ جوفَها أغوى آدمَ عليه الصلاة والسلام وخدَعه، فغضب الله تعالى على الحية، فألقى عنها قوائمها، وقال: جعلت رزقك من التراب، وجعلتك تمشين على بطنك، لا رحم الله من رحمك، وغضب الله تعالى على الطاووس، فمسخ رجليه لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة، فمكث آدم عليه الصلاة والسلام بأرض الهند مائة سنة لا يرفعُ رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته، وقد جلس جلسة الحزين، فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام، فقال: السلام عليك يا آدم، الله عز وجل يقرئُك السلامَ ويقول لك: ألم أخلقك بيديّ، وأنفخ فيك من روحي، ألم أسجد إليك ملائكتي، ألم أزوّجك حواء أمتي؟ ما هذا البكاءُ؟ قال: يا جبريلُ وما يمنعني من البكاء وقد أُخْرِجتُ من جوار ربي؟ قال جبريل عليه الصلاة والسلام: يا آدم تكلم بهؤلاء الكلمات، فإن الله تعالى غافرٌ ذنبك، وقابلٌ توبتك، قال: فما هي؟ قال: قل: اللهم إني أسألك بحق محمدٍ وآل محمدٍ سبحانك اللهم وبحمدك عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فإنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنتَ فارحمني وأنت خير الراحمين، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلّا أنتَ عملتُ سوءاً

(١) سورة البقرة ـ آية ٣٧.

وظلمتُ نفسي فتُب عليّ إنك أنتَ التواب الرحيم، سبحانك اللهم وبحمدك لا إلـه إلا أنت عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فـاغفـر لي وأنت خـير الغافرين، فهؤلاء الكلمـاتُ)، يا عـلي: وأنهاك عن حيّات البيـوت إلا الأفـطس والأبـتر فإنهما شيطانان، يا عـلي: وإذا رأيت حيّة في رحلِك فـلا تقتلها حتى تُحَـرّج[1] عليها ثلاثاً، فإن عادت الرابعة فاقتلها، يا عـلي: وإذا رأيت حيّة في الـطريق فـاقتلها، فـإني قد اشتـرطت على الجنّ أن لا يـظهـروا في صـورة الحيـاتِ في الطريق، فمن فعل خـلّى بنفسه للقتـل، يا عـلي: أربعُ خصـالٍ من الشقاء: جمودُ العين، وقساوةُ القلب، وبُعدُ الأمل، وحبُّ الدنيـا. يا عـلي: أنهاك عن أربع خصالٍ عظامٍ: الحسد، والحرص، والغضب، والكذب، يـا علي: ألا أُنبئك بشرّ الناس؟ قـال: قلت: بلى يـا رسول الله، قـال: من أكل وحـده، ومنع رِفْده، وضرب عبدَه، ألا أنبئك بشرٍ من هؤلاء جميعاً؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: من لا يُـرجى خيرُه، ولا يؤمن شـره، يا عـلي: إذا صليت عـلى جنازةٍ فقـل: اللهم هـذا عبـدُك وابنُ عبـدك وابنُ أمتِـك، مـاضٍ فيـه حكمُك، خلقته ولم يكن شيئاً مذكوراً، نزل بك وأنتَ خيرُ منزولٍ به، اللهم لقنْـه حجته، وألحقْـه بنبيّه ﷺ، وثبّتْـه بـالقـول الثـابت، فـإنـه افتقـرَ إليـك واستغنيتَ عنه، كان يشهـد أن لا إله إلا أنت، فـاغفر لـه وارحمه ولا تحـرمنا أجره ولا تفتّنا بعده، اللهم إن كان زاكياً فزكّه، وإن كان خاطئاً فاغفر له.
يا علي: وإذا صليت على جنازة امرأة فقل: اللهم أنتَ خلقتها وأنت أحييتها، وأنت أمتّها، تعلمُ سرَّها وعلانيتها، جئناك شفعاء لها، فاغفر لها وارحمها، ولا تحـرمنا أجـرها ولا تفتّنـا بعدهـا، وإذا صليت على طفـل فقل: اللهم اجعله لـوالديـه سلفاً، واجعله لهـما ذخراً، واجعله لهـما رشـداً، واجعله لهـما نـوراً،

---

(١) حرج عليه: ضيق عليه ـ وفي الحديث: فليحرج عليها: هو أن يقول لها: أنت في حرج ـ أي ضيق ـ إن عدت إلينا، فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل اهـ نهاية.

واجعله لهما فَرَطاً[1]، وأعقب والديه الجنة، ولا تحرمْهما أجرَه ولا تفتِنهما بعده، يا علي: إذا توضأت فقل: اللهم إني أسألك تمام الوضوء، وتمام مغفرتك ورضوانك، يا علي: إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة أمّنه الله من البلايا الثلاثة: الجنون والجذام والبرص، وإذا أتت عليه ستون سنة فهو في إقبال، وبعد الستين في إدبار ورزقه الله الإنابة فيما يحب، وإذا أتت عليه سبعون سنة أحبه أهلُ السمواتِ وصالحو أهلِ الأرض، وإذا أتت عليه ثمانون سنة كتبت له حسناتُه، ومحيت عنه سيئاته، وإذا أتت عليه تسعون سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإذا أتت عليه مائة سنة كتب الله اسمَه في السماء: أسيرُ الله في أرضه، وكان جليسَ الله تعالى، يا علي: إحفظ وصيتي، احفظ وصيتي، إنك على الحقّ، والحق معك.

من وصايا الصالحين مع ذي النون

صحبة أهل التقوى

الوصية رقم (٨٣)

قال رجل لذي النون: والله إني لأحبك، فقال له ذو النون: إن كنت عرفت الله فحسبك الله، وإن كنت لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدُلّك على الله تتعلمَ منه حفظَ الحرمة لمولاك، وفي معنى ما قاله ذو النون وأوصى به ما اتفق لنا مع صاحبنا عبدالله بن الأستاذ المروزي ـ وكان من كبار الصالحين ـ كان له أخٌ مات، فرآه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني الجنّة آكلُ وأشربُ وأنكحُ، قال له: ليس عن هذا أسألك، هل رأيتَ ربّك؟ قال: لا ما يراه إلّا من يعرفه واستيقظ، فركب دابته وجاء إلينا إلى أشبيلية، وعرّفني بالرؤيا، ثم قال لي: قد قصدتُك لتُعرّفني بالله، فلازمني حتى عرف الله بالقدْر الذي يمكن للمُحْدَث أن يعرفه به من طريق الكشف والشهود، لا

---

(١) أي أجراً يتقدمهما حتى يردا عليه. اهـ مختار الصحاح.

من طريق الأدلة النظرية رحمه الله. وقال بعضهم في وصية: اصحب الذين وصفهم الله في كتابه وهم: أهلُ التقوى الذين هم على سَمْتِ مَحَجّتِه[1]، لعلك أن ترقى في ملكوت السموات، فتكونَ للأبرار جليساً، وللأخيار في أمنِ ذلك المقيل أنيساً، وإن كنت على التقوى عازماً فالنجاءَ النجاءَ فيما بقي من عُمُرك، وقال بعض العلماء: تزود من الدنيا للآخرة وطريقها، فإن خير الزاد التقوى، وسارع إلى الخيرات، ونافسْ في الدرجات قبل فناء العمر وتقاربِ الأجل والفوت.

الحذر من مجالسة أقوام

الوصية رقم (٨٤) قيل لبعض العلماء: أوْصِنا، قال: إياكم ومجالسةَ أقوام يتكلفون بينهم زُخْرف القول غروراً، ويتملقون[2] في الكلام خداعاً، وقلوبهم مملوءة غشاً وغلاً ودَغَلاً[3] وحسداً وكبراً وحرصاً وطمعاً وبغضاً وعداوة ومكراً وختلاً[4]، دينهم التعصبُ، واعتقادُهم النفاقُ، وأعمالهم الرياءُ، واختيارُهم شهوات الدنيا، يتمنون الخُلود فيها مع علمهم بأنهم لا سبيلَ لهم إلى ذلك، يجمعون ما لا يأكلون، ويبنون ما لا يسكنون، ويمّلون ما لا يدركون، ويكسبون الحرام، وينفقون في المعاصي ويمنعون المعروف ويركبون المنكر.

مجالس الأولياء

الوصية رقم (٨٥) روينا عن يوسف بن الحسين قال: قلت لذي النون في وقت مفارقتي إياه: من أجالسُ؟ قال: عليك بصحبةِ مَنْ يُذكِّرك الله عزّ وجل رؤيته، وتقعُ

---

(١) السمت: الطريق وهو أيضاً: هيئة أهل الخير. والمحجة: بفتحتين: جادة الطريق. اهـ مختار الصحاح.

(٢) تملق له: اي تودد اليه وتلطف له، ورجل ملق: يعطي ما ليس في قلبه. اهـ مختار الصحاح.

(٣) الدغل: بفتحتين : الفساد.

(٤) ختله: خدعه ـ من باب ضرب. اهـ مختار الصحاح.

هيبته على باطنك، ويـزيد في عملك منـطقُه، ويـزهدُك في الـدنيا عمله، ولا يعصي الله ما دمت في قربـه، يعظك بلســان فِعله، ولا يعظك بلســان قولـه، وهــو تاركٌ لمـا يدلّـك عليه، أي هــو خالٍ من الفضـائل التي يعـظك بها لأن الرجل قد يكون على عملٍ من أعمال البر يقتضيه حالُه، ويدلـك بقولـه على عمل من أعمال البر يقتضيه حالُك ولا يقتضيه حاله في الوقت، فيـريد بقـوله بلسان فعله، أي أفعاله مستقيمةٌ، وهذا معنى قولـه تعالى ﴿**أتـأمرونَ النـاسَ بـالبرّ؟**﴾ ومـا عينّ بِـرّاً من برّ ﴿**وتَنْسَـوْن أنفُسكم وأنتم تَتْلون الكتـابَ أفـلا تعقِلون**﴾[1].

من عيسى عليه السلام الدنيا

الوصية رقم (٨٦) قال عيسى عليه الصلاة والسلام: يا بني إسرائيل اعلموا أنَّ مَثَـل دنياكم مع آخرتكم كَمَثل مشرقكم مـع مغربكم، كلما أقبلتم الى المشـرق بعُدتم عن المغرب، وكلما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بُعداً، أوصاهم بهذا المِثل أن يقرُبوا من الآخرة بالأعمال الصالحة.

الغافلون

الوصية رقم (٨٧) أوصى بعضُ العلماء، قـال: إيـاكم أن تكـونـوا من قـــوم يتمـردون وفي طُغيـانهم يعمهون، لا يستمعـون النداء، ولا يُجيبـون الدعـاء، تراهم مُـولّين مُدبرين، عن الآخرة معرضين، وعلى الأعقاب ناكصين، وعلى الدنيا مكبِّين، يتكـالبون تكـالب الكـلاب عـلى الجِيَف، منهمكـين في الشهـوات، تـاركـين الصـلاة، لا يسمعون المـوعظة، ولا ينفعهم التـذكـرة، لا جَـرَمَ أن من هـذه صفتُه يُمهلون قليلاً ويتمتعون يسيراً، ثم تجيئُهم سكرة الموت بالحق، ذلك مـا كـانوا منـه يحيدون ، شـاؤوا أم أبوْا، فيفـارقـون محبـوبَهم عـلى رغم منهم،

(١) سورة البقرة ـ آية ٤٤.

ويتركون ما جمعوه لغيرهم، يتمتعُ بمال أحدهم حليلُ زوجته، وامرأةُ ابنه، وبعلُ ابنته، وصاحبُ ميراثه، للوارث المهنأة وعليهم الوبال، ثقيلٌ ظهره بأوزاره، معذبُ النفس بما كسبت يداه، يا حسرةً عليه إذا قامت على أبنائها القيامة، فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء، وكونوا من الذين أخذوا من عاجلهم لآجلهم، ومن حياتهم لموتهم كما قال ﷺ فيهم (صَحِبوا الدنيا بأجسادٍ أرواحُها معلقةٌ بالمحلّ الأعلى)[1].

النظر الى المعطى صلة والى العطاء قطيعة

الوصية رقم (٨٨) قال بعض الصالحين يوصي إنساناً: إحذر أن تنقطعَ عنه فتكونَ مخدوعاً، قال له وكيف يكون ذلك؟ قال: لأن المخدوعَ من ينظر إلى عطاياه فينقطعُ عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه، ثم قال: تعلّق الناسُ بالأسباب، وتعلق الصدِّيقون بولي الأسباب، ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، ومن علامات تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصبابُ العطايا عليه وشغلُه عنها به، ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال، ثم قال: اعقِل فإن هذا من صفوة التوحيد.

عيسى والدواء

الوصية رقم (٨٩) قال عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه يوصيه: صُم عن الدنيا، واجعلْ فطرَك الموتَ، وكن كالمداوي جرحَه بالدواء خشية أن يثقل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت، فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخيرٍ لا شر بعده، وإلى الشرّير بشرٍّ لا خير بعده.

---

(١) لم أجده ومعناه جيد.

أعلام الإيمان

الوصية رقم (٩٠) قال ذو النون: ثلاثةٌ من أعلام الإيمان: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذلُ النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم، وإرشادهم الى مصالحهم وإن جهّلوه وكرهوه. وقال محمد بنُ أحمدَ بنِ سلمة: أوصاني ذوالنونُ: لا تشْغَلَنَّك عيوبُ الناس عن عيب نفسك، لست عليهم برقيب، ثم قال: إن أحبَّ عبادِ الله إلى الله عزّ وجلّ أعقلُهم عنه، وإنما يُستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله حسنُ استماعه للمحدّث وإن كان به عالماً، وسرعةُ قبوله للحق وإن جاء ممن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به.

الطريق إلى الله

الوصية رقم (٩٠) أوصى بها راهبٌ عارفاً من المسلمين: اجتاز بعضُ العارفين في سياحته براهب في صومعة على رأس جبلٍ فوقف به فناداه: يا راهبُ، فاخرجَ الراهب رأسَه من صومعته وقال: من ذا؟ قال: رجلٌ من أبناء جنسك الآدميين، قال: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريقُ إلى الله؟ قال الراهب: في خلاف الهوى، قال: فما خيرُ الزاد؟ قال: التقوى، قال: فَلِمَ تبعّدت عن الناس، وتحصّنتَ في هذه الصومعة؟ قال: مخافةً على قلبي من فتنتهم، وحذراً على عقلي الحيرةَ من سوء عشرتهم، وطلبتُ راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيحِ فعالهم، وجعلتُ معاملتي مع ربي فاسترحت منهم، قال: فخبرني يا أحدَ تبّاع المسيح: كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم؟ واصدقِ القولَ لي، ودعْ عنك تزويقَ الكلام وزخرفَ القول، فسكت الراهب ساعةً متفكراً ثم قال: شرُّ معاملة تكون، قال له العارف: كيف؟ قال: لأنه أمرَنا بالكد للأبدان وجهدِ النفوس وصيامِ النهار وقيامِ الليل وتركِ الشهوات المركوزة في الجِبِلَّة، ومخالفة الهوى الغالب، ومجاهدةِ العدوّ المسلط، والرضا، وخشونةِ

العيش، والصبرِ على الشدائد والبلوى، ومع هذا كلّه جعلَ الأجر بالنسيئة في الآخـرةِ بعد المـوت، مع بُعـد الطريق وكثـرةِ الشكـوك والحيـرةِ والخـوف من الناس، فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا، فأخبرْنا عنكم يا معشرَ تُبّـاع أحمد: كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم؟ قال العارف: خيرَ معـاملة وأحسنَها، قـال الراهب: صفْ لي: ما هي وكيف هي؟ قال العارف: ربُّنا أعطانا سَلفاً كثيراً قبـل العمل، ومـواهبَ جزيلة لا تُحصى فنـونُ أنـواعهـا من النعم والإحسـان والإفضال قبل المعاملة، فنحنُ ليلَنا ونهارَنا في أنواع نعمه وفنونٍ من آلائه، ما بـين سالفٍ معتـاد وآنفٍ مستفـاد، قـال لـه الـراهب: فكيف خُصصتم بهـذ المعـاملة دون غيركم والـرب واحـد؟ قـال العـارف: أمـا النعمـةُ والإفضـال والإحسان فعمومٌ للجميع قد غمرتنا كلّنـا، ولكنا خُصصنـا بحسن الاعتقاد، وصحةِ الرأي؛ والإقرار بالحق، والإيمان والتسليم له، ووُفقنـا لمعرفـة الحقائق لمّـا أعطينـا الانقيادَ لـلإيمان والتسليمَ وصـدقَ المعـاملة مـع محـاسبـة النفس، ومـلازمةَ الـطريق، وتفقدَ تصـاريف الأحوال الـطارئـة من الغيب، ومـراعـاة القلب بما يردُ عليه من الخواطر والوحيِ والإلهام ساعةً ساعةً، قال الـراهب: زدني في البيان فإنها وصية عجيبة، ما سمعت بمثلها من أهل هذا الشان، قال العارف: أزيدُك، اسمع ما أقوله، وافهم ما تسمع، واعقل ما تفهم: إن الله جلّ ثناؤه لمّا خلق الإنسان من طينٍ ولم يكُ قبلُ شيئاً مذكوراً، ثم جعَـلَ نسله من سلالةٍ من ماء مهين، نطفةً في قرار مكين، ثم قلّبه حالاً بعد حالٍ تسعـة أشهر الى أن أخرجه من هناك خلقاً سوياً ببنيةٍ صحيحة، وصورة تامة، وقامة منتصبة، وحواسَّ سالمةٍ، ثم زوده من هناك لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشـاربين حولين كاملين، ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنونٍ لطفه وغرائب حكمتـه الى أن بلغ أشدَّه واستوى، ثم آتاه حُكماً وعلماً، ثم أعطاه قلباً زكيـاً وسمعاً دقيقـاً وبصراً حاداً، وذوقاً لذيذاً وشمّاً طيباً، ولمساً ليناً ولساناً ناطقاً، وعقـلاً صحيحاً وفهـماً جيداً، وذهناً صافياً وتمييزاً وفكراً، وَرَويّة وإرادة ومشيئة، واختيـاراً، وجوارحَ

طائعة ويدينِ صانعتين، ورجلين ماشيتين، ثم علمه الفصاحةَ والبيانَ والخطَّ بالقلم، والصنائعَ والحرف والحرثَ والزراعةَ والبيعَ والشراءَ والتصرف في المعاشِ وطلبَ وجودالمنافع، واتخاذَ البنيان، وطلبَ العزّ والسلطان، والأمرَ والنهيَ والرياسة، والتدبيرَ والسياسة، وسخر له ما في الأرض جميعاً من الحيوانات والنبات وخواصّ المعادن، فغدا متحكماً عليها تحكمَ الأرباب، متصرفاً فيها تصرفَ الملاّك، متمتعاً بها إلى حينٍ، ثم إن الله تعالى جلّ ثناؤه أراد أن يزيده من فضله وإحسانه، وجوده وإنعامه غنىً آخرَ هو أشرفُ وأجلُّ من هذا الذي تقدم ذكرُه، وهو ما أكرم به ملائكته وخالصَ عباده وأهلَ جنته من النعيم الأبدي الأزلي، لا يشوبه شيء من النقص، ولا من التنغيص، إذ كان نعيمُ الدنيا مشوباً بالبؤس، ولذاتُها بالآلام، وسرورها بالحزن، وفرحها بالغم، وراحتُها بالتعب، وعزّها بالذل، وصفوُها بالكدر، وغناها بالفقر، وصحتها بالسقم، وأهلُها فيها معذبون في صورة المنعمين، ومغرورون في صورة الواثقين، مهانون في صورة المكرَمين، وَجِلون غير مطمئنين، خائفون غير آمنين، مترددون بين المتضادين: نورٍ وظلمةٍ، وليلٍ ونهارٍ، وصيف وشتاء، وحرٍّ وبردٍ، ورطب ويابس، وعطش وريٍّ، وجوعٍ وشبع، ونوم ويقظة، وراحة وتعب، وشباب وهرم، وقوة وضعف، وحياة وموت، وما شاكل هذه الأمور التي أهلُ الدنيا وأبناؤها فيها مترددون مدفوعون إليها، متحيرون فيها، فأراد ربي أيها الراهبُ أن يخلصهم من هذه الأمور، والآلامِ المشوبة باللذات، وينقلَهم منها إلى نعيمٍ لا بؤسَ فيه، ولذةٍ لا ألم فيها، وسرور بلا حزن، وفرح بلا غم، وعز بلا ذل، وكرامة بلا هوان، وراحة بلا تعب، وصفو بلا كدر، وأمنٍ بلا خوف، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وحياة بلا موت، وشباب بلا هرم، ومودة بين أهلها بلا ريبة، فهم في نور لا يشوبه ظلمة، ويقظة بلا نوم، وذكر بلا غفلة، وعلم بلا جهالة، وصداقة بين أهلها بلا عداوة ولا حسدٍ ولا غيبة، إخواناً على سرر متقابلين آمنين مطمئنين أبدَ

الآبدين. ولمّا لم يكن الإنسان أن يكون بهذا المزاج المظلم الخاص الذي هو محلُّ القاذورات المتولدُ من الأركان التي لا تليق بتلك الدار الآخرة، والصفات الصافية، والأحوالِ الباقية، اقتضت العناية الإلهية بواجب حكمة الباري تعالى أن يُنشئه نشأة أخرى كما ذكر في قوله تعالى ﴿**ولقد عَلِمْتُمُ النشأةَ الأولى فلولا تَذَكَّرون**﴾[1] النشأةَ الآخرة أنها على غير مثال، كما كانت الأولى على غير مثال، فهم في هذه النشأة الأخروية لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يَمْتَخطون، وفضلاتُ أطعمتهم وأغذيتهم عَرَقٌ يخرجُ من أعرافهم أطيبَ من ريح المسك، فأين هذه النشأةُ من تلك؟ وأين هذا المزاجُ من ذاك المزاج؟ مع كونها نشأةً طبيعية معتدلةَ المزاج، متساويةَ الأمشاج قال تعالى ﴿**ونُنْشِئكم فيما لا تعلمون**﴾[2] و﴿**الله يُنشيء النشأةَ الآخرة**﴾[3] فبعثَ الله جلَّ ثناؤه لهذا السبب أنبياءَه إلى عباده يبشرونهم بها، ويدعونهم إليها ويرغبونهم فيها، ويدلونهم على طريقها، كيما يطلبونها مستعدين، قبل الورود عليها، ولكي يسهّل عليهم أيضاً مفارقةَ مألوفاتِ الدنيا من شهواتها ولذاتها، ويخفف عليهم أيضاً شدائدَ الدنيا ومصائبها إذا كانوا يرجون بعدها ما يعمرها، ويمحو ما؛ قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها، ويحذرهم فوتَ نعيمها، فإنه من فاته فقد خَسِرَ خسراناً مبيناً، قال العارف: فهذا رأينا واعتقادُنا يا راهبُ في معاملتنا مع ربنا الذي قلتُ لك، وبهذا الاعتقاد طابَ عيشنا في الدنيا، وسهلَ علينا الزهد فيها وترك شهواتها، واشتدت رغبتنا في الآخرة، وزاد حرصنا في طلبها، وخفَّ علينا كدُّ العبادة فلا نحس بها، بل نرى ذلك نعمةً وكرامةً وفخراً وشرفاً، إذ جعلنا الله أهلاً أن نذكره، فهدى قلوبنا، وشرحَ صدورنا ونوّر أبصارنا، لمّا تعرف إلينا بكثرة إنعامه وفنون إحسانه، فقال الراهب: جزاك

---

(١) سورة الواقعة ـ آية ٦٢.

(٢) سورة الواقعة ـ آية ٦١.

(٣) سورة العنكبوت ـ آية ٢٠.

الله خيراً من واعظ ما أبلغَه، ومن ذاكر إحسانٍ ما أرفقه، ومن هادي رشدٍ ما أبصرَه، ومن طبيب رفيقٍ ما أحذَقه، ومن أخ ناصح ما أشفقه.

من ذي النون

الوصية رقم (٩٢) قال ذو النون: ليس بذي لب من كاسَ في أمر دنياه، وحُمِقَ في أمر آخرته، ولا من سفه في مواطن حلمه، وتكبر في مواطن تواضعه، ولا من فُقد منه الهوى في مواضع طمعه، ولا من غضب من حقّ إن قيل له، ولا من زهد فيما يرغب العاقل في مثله، ولا من رغب فيما يزهد الأكياس في مثله، ولا من استقلّ الكثير من خالقه عزّ وجلّ، واستكثر قليلَ الشكر من نفسه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه، ولم يُنصف من نفسه غيره، ولا من نسي الله في مواطن طاعته، وذكّر الله في مواطن الحاجة إليه، ولا من جَمَع العلم فعُرف به، ثم آثر عليه هواه عند متعلّمه، ولا من قلَّ منه الحياءُ من الله على جميل ستره، ولا من أغفل الشكرَ عن إظهار نعمته، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذا صبر عدوه على مجاهدته، ولا من جعل مروءتَه لباسَه، ولم يجعل أدبَه وورعه وتقواه لباسه، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزييناً في مجلسه، ثم قال: استغفر الله إن الكلام كثير، وإن لم تقطعه لم ينقطع، وقام وهو يقول: لا تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم، والتزود لآخرتكم من دنياكم، والاستعانة بربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه.

وصية لقمان المشهور

الوصية رقم (٩٣) قال لقمان لابنه: جالِس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيي القلوبَ الميتة بنور العلم، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء، وإياك ومنازعة العلماء فإن الحكمة نزلت من السماء صافية، فلما تعلمها الرجال صرفوها إلى هوى نفوسهم.

النظر في عيوب الناس

الوصية رقم (٩٤) روينا عن ذي النون المصري أنه قال: من نظر في عيوب الناس عَمِيَ عن عيوب نفسه، ومن اعتنى بالفردوس والنار شُغِل عن القيل والقال، ومَنْ هرب من الناس سَلِم من شرهم، ومن شكر المزيدَ زيدَ له، وقال بعضهم: مثَل العالم الراغب في الدنيا والحريص في طلب شهواتها، كمثلَ الطبيب المداوي غيرَه، الممرِّض نفسَه، فلا يُرجى منه الصلاحُ، فكيف يشفي غيرَه؟

سبب الذنب

الوصية رقم (٩٥) سُئل بعض الأولياء العارفين بالله: ما سبب الذنب؟ قال: سببه النظرة، ومن النظرة الخطرةُ، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبتْ، وإن لم تداركها امتزجت بالوساوس، فيتولد منها الشهوة، وكلُّ ذلك ـ بعدُ ـ باطنٌ لم يظهر على الجوارح، فإن تداركت الشهوة بقمعها وإلا تولد منها الطلب، فإن تداركت الطلبَ وإلا تولد منه الفعل.

لبني اسرائيل العلماء والفقهاء

الوصية رقم (٩٦) تتضمن وصية نبوية، قال عيسى عليه الصلاة والسلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل: يا أيها العلماء وأيها الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون فيها فتدخلوا الجنة، ولا تتركون أحداً يجوزكم إليها، وإن الجاهل أعذرُ من العالم، وليس لواحد منهما عذر. وقال بعض الصالحين: من ترك الشغلَ بفضول الدنيا فهو زاهد،ومن أنصف في المودة وقام بحقوق الناس فهو متواضع، ومن كظم الغيظَ واحتمل الضيم والتزمَ الصبرَ فهو حليم، ومن تمسك بالعدل وتركَ فضول الكلام وأوجزَ في المنطق، وترك ما لا يعنيه، واقتصد في أموره فهو عاقل، ومن تفرغ إلى الأمور المقربة إلى الله تعالى وتفرغ من نَكَد الدنيا وقال في نفسه: إن لم تأكل مُتَّ، وإنْ شبعتَ كسلتَ، وإن زدتَ مرضت فهو عابد.

من آثر الله

الوصية رقم (٩٧) من رجل صالح ناصح لعباد الله، وقد قال لـه من حضر من اصحابـه: أوصنا بوصية لعل الله أن ينفعنا بها، فقال رضي الله عنه: آثروا الله على جميع الأشياء، واستعملوا الصدقَ فيما بينكم وبينه، وأحبـوه بكل قلوبكم، والـزموا بـابـه، واشتغلوا بـه، وتـوسـدوا المـوتَ إذا نمتم، واجعلوه نُصْب أعينكم إذا قمتم، وكـونوا كـأنكم لا حـاجـة لكم إلى الـدنيـا ولا بـدَّ لكم من الآخـرة، واحفظوا ألسنتكم، ولتُحزنكم ذنوبكم، وليكن افتخاركم بربكم، وكونوا من خالصي أهل الله تسلموا ويسلمِ منكم الناس فتنـالوا غـداً مُناكم، ثم قـال: استغفرُ الله فإن للكـلام حلاوة في الـدنيا، ومـا أعظم مؤنتهـا في الآخرة، ثم قال: (ليسألَ الصادقين عن صدقهم) وفي دونِ ما قلتُ كفاية.

وصايا نبوية لأبي هريرة

الوصية رقم (٩٨) أوصى بها رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه[1]، فلنذكر منها ما يسَّر الله على قلمي الذي أنشىء به صورَ الحروف الدالة على المعاني، وفي مثل هذا قلتُ أخاطبُ الخادمَ الـذي يَقِدُ لي السـراجَ حتى أكتب ما يُلقي الله في رُوعي من الأسرار الإلهية والمعارف الربانية:

قِدِ السراجَ عسى أحظى برؤيته ... وأنشيءُ المـلأ المرقـوم في الورقِ

فـما تـرى طبقـاً يعنـو لخـدمتـه ... إلا ويُخبـر بـالأحـوال عن طَبَقِ

في أحرفٍ ما لها حدٌّ فيحصُرها ... تبـدو معانيـه للأبصـار في نَسَق

يُخـطط القلمُ العلويُّ صورتهـا ... على يدي دائـماً ما دام لي رمقي

قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة: يا أبا هريرة إذا توضأتَ فقل: (بسم الله والحمد لله) فإن حفظتك لا تزال تكتب لك حتى تفرغ من ذلك الوضوء. (يا

---

(١) الحديث الوصية: راجع ص ١٧١ رقم الحديث (١) نفس الكلام.

أبا هريرة) إذا أكلت طعاماً دسماً فقل: (بسم الله والحمد لله) فإن حفظتك لا تستريح تكتب لك حسناتٍ حتى تنبذه عنك. (يا أبا هريرة) إذا غشيتَ أهلك أو ما ملكتْ يمينُك فقل (بسم الله والحمد لله) فإن حفظتك تكتب لك حسناتٍ حتى تغتسل من الجنابة، فإذا اغتسلتَ من الجنابة غفر لك ذنوبك. (يا أبا هريرة) فإن كان لك ولدٌ من تلك الوقعة كتب لك حسنات بعدد نسل ذلك الولد وعقبه حتى لا يبقى منه شيء. (يا أبا هريرة) إذا ركبت دابة فقل: (بسم الله والحمد لله) تكتبْ من العابدين حتى تنزل عن ظهرها. (يا أبا هريرة) إذا ركبت السفينة فقل (بسم الله والحمد لله) تكتبْ من العابدين حتى تخرج منها. (يا أبا هريرة) إذا لبست ثوباً جديداً فقل: (بسم الله والحمد لله) يكتب لك عشر حسنات بعدد كل، سلك فيه. (يا أبا هريرة) لا يهابنَّك ما ملكتْ يمينُك، فإنك إن متَّ وأنت كذلك كنت عند الله وجيهاً. (يا أبا هريرة) لا تهجر امرأتك إلا في بيتها، ولا تضربْها ولا تشتمها إلاّ في أمر دينها، فإنك إن كنت كذلك مشيتَ في طرقات الدنيا وأنت عتيقُ الله من النار. (يا أبا هريرة) احمل الأذى عمّن هو أكبرُ منك وأصغرُ منك وخيرٌ منك وشرٌّ منك، فإنك إن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة، ومن باهى الله به الملائكةَ جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء. (يا أبا هريرة) إن كنت أميراً أو وزير أميرٍ أو داخلاً على أميرٍ، أو مشاورَ أميرٍ فلا تُجاوزَنْ سيرتي وسنتي، فإنه أيما أميرٍ أو وزيرِ أميرٍ، أو داخلاً على أمير، أو مشاورِ أمير خالف سيرتي وسنتي، جاء يوم القيامة تأخذه النارُ من كل مكان. (يا أبا هريرة) عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها. (يا أبا هريرة) قل للمؤمنين الذين أصابوا الصغائر والكبائر لا يمت أحد منهم وهو مصرٌّ عليها، فإنه من لقي ربه عزّ وجلّ على ذلك وهو مصرّ عليها فإن عقوبتها - يعني الصغيرة - كعقوبة من لقي الله على كبيرة وهو مصر عليها. (يا أبا هريرة): لأن تلقى الله عز وجل على كبائر قد تبت منها خير لك من أن تلقاه

وقد تعلمت آية من كتاب الله عز وجل ثم تنساها. (يا أبا هريرة): لا تلعن الولاة فإن الله أدخل أمةً جهنم بلعنهم ولاتهم. (يا أبا هريرة) لا تسبنَّ شيئاً إلا الشيطان، فإنك إن مت وأنت كذلك صافحتك جميع رسل الله تعالى وأنبياء الله تعالى والمؤمنون حتى تعبر الى الجنة. (يا أبا هريرة) لا تسبَّ من ظلمك تعطَ من الأجر أضعافاً. (يا أبا هريرة) أشبع اليتيم والأرملة وكن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، تعطَ بكل نفس تنفست في دار الدنيا قصراً في الجنة، كلُّ قصر خير من الدنيا وما فيها. (يا أبا هريرة) امش في ظلم الليل الى مساجد الله عزّ وجل تعط حسنات بوزن كلِّ شيء وضعت عليه قدمك مما تحبُّ وتكره إلى الأرض السابعة السفلى. (يا أبا هريرة) ليكن مأواك المساجد والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله، فإنك إن مت وأنت كذلك كان الله مؤنسك في القبر ويوم القيامة وعلى الصراط ويكلمك في الجنة. (يا أبا هريرة) لا تنهر الفقير فتنهرك الملائكة يوم القيامة. (يا أبا هريرة) لا تغضب إذا قيل لك اتق الله، وإن قد هممت بسيئة أن تعملها تكن خطيتك عقوبتها النار. يا أبا هريرة) من قيل له: اتق الله، فغضب جيء به يوم القيامة، فيوقف موقفاً لا يبقى ملك إلا مرّ به، فقال له: أنت الذي قيل له اتق الله فغضب؟ فيسوءه ذلك، فاتق مساوىء يوم القيامة أو مساءتي (الشك من الراوي) (يا أبا هريرة) أحسن إلى ما خوَّلك الله، فإنه من أساء الى ما خوله الله فإنه يرصده على الصراط فيتعلق به، فكم من مؤمن يردُّ من الصراط للقصاص. (يا أبا هريرة) على كل مسلم صلاة في جوف الليل ولو قدر حلب شاةٍ، ومن صلى في جوف الليل يريد أن يرضي ربه عزّ وجل رضي الله عنه وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة، فرغم أبو هريرة، قال: قلت يا رسول الله ﷺ: في أي الليل الصلاة أفضل؟ قال: وسط الليل. (يا أبا هريرة) إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأغراضهم فافعل تكن من المقربين، ولا تتخذِنّ أحداً من خلق الله غرضاً

فيجعلك الله غرضاً لشرر جهنم يوم القيامة. (يا أبا هريرة) إذا ذكـرت جهنم فاستجر بالله منها، وليبـك قلبك منهـا ونفسك ويقشعـر جلدك منها يجِـرك الله منها. (يا أبا هريرة) إذا اشتقت الى الجنة فاسأل الله أن يجعل لك فيهـا نصيباً ومقيلاً، وليحنّ قلبك شوقاً إليها، وتدمع عيناك وأنت مؤمن بها، إذاً يعطيكها الله تعالى ولا يردّك. (يا أبا هـريرة) إن شئت أن لا تفـارقني يوم القيـامة حتى تدخـل معي الجنـة أحببني حبـاً لا تنسـاني، واعلم أنـك إن أحببتني لم تتـرك ثلاثة: الاقتداء بهديي، والشوق إليّ، وكثرة الصـلاة علي، قلت: فـوصل إلي منها سرورٌ عـظيم، وارضَ بقسْم الله، فإنـه من خرج من الـدنيا وهـو راض بقسْم الله خرج والله عنه راض، ومن رضي الله عنـه فمصيره إلى الجنـة. (يا أبا هريرة) مر بالمعروف وانهَ عن المنكر، قـال: كيف آمر بـالمعروف وأنهى عن المنكر؟ قال: علّم الناس الخير ولقنهم إياه، وإذا رأيت من يعمل بمعـاصي الله تعالى لا تخف سوطه وسيفه، فلا يحل لك أن تجاوزه حتى تقول له: اتق الله. (يا أبا هريرة) تعلم القـرآن وعلمه للنـاس حتى يجيئك المـوت وأنت كذلـك، وإن كنت كذلك جاءت الملائكـة إلى قبرك وصلّوا عليـك واستغفروا لـك إلى يوم القيامـة، كما تحـج المؤمنون الى بيت الله عـز وجل. (يـا أبا هـريرة) القَ المسلمين بطلاقة وجهك ومصافحة أيـديهم بالسـلام، إن استطعت أن تكـون كـذلك حيث كنت، فـإن الملائكـة معـك سـوى حفـظتـك يستغفـرون لـك ويصلون عليك، واعلم أنه من خرج من الدنيا والملائكـة يستغفرون لـه غفر الله لـه. (يا أبـا هـريـرة) إن أحببت أن يُفشى لـك الثنـاء الحسن في الـدنيـا والآخرة كُفّ لسانك عن غيبة الناس، فإنـه من لم يغتب الناس نصـره الله في الدنيا والآخرة، أما نصرته في الدنيا فإنه ليس أحد يتناوله إلا كانت الملائكة تكذبهم عنه، وأما نصرته في الآخرة فعفـو الله عن قبيح مـا صنع ويُتَقبّـل منه أحسن ما عمل. (يا أبا هريرة) اغدُ في سبيل الله يبسطِ الله لـك الرزق. (يـا أبا هريرة) صِلْ رحمك يأتِكَ الرزق من حيث لا تحتسب، واحجج البيت يغفر

الله ذنوبك التي وافيت بها البلد الحرام. (يا أبا هريرة) اعتق الرقاب يعتق الله بكل عضو منك عضواً منك وفيه أضعاف ذلك من الدرجات. (يا أبا هريرة) أشبع الجائع يكنْ لك مثل أجر حسناته وحسنات عقبه، وليس عليك من سيئاتهم شيء. (يا أبا هريرة) لا تحقرنَّ من المعروف شيئاًتعمله، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، فإنه من خصال البر، والبر كلُّه عظيم، وصغيره ثوابه الجنة. (يا أبا هريرة) أُأمر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب، ولا يكن للشيطان في بيتك مدخل ولا مسلك. (يا أبا هريرة) إذا عطس أخوك المسلم فشمِّته، فإنه يكتب لك به عشرون حسنةً، فقلت يا رسول الله: بأبي أنت وأمي كيف ذاك؟ قال: إنك حين تقول له: يرحمُك الله يكتب لك عشر حسنات، وحين يقول لك: يهديك الله يكتب لك عشر حسنات. (يا أبا هريرة) كن مستغفراً للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، يكونوا كلُّهم شفعاء لك، ويكن لك مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. (يا أبا هريرة) إن كنت تريد أن تكون عند الله صديقاً فآمن بجميع رسل الله وأنبياء الله وكتبه. (يا أبا هريرة) إن كنت تريد أن تحرّم على النار جسدك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله). (يا أبا هريرة) لا يحلُّ لك أن تدخل على من هو في سكرات الموت ولو كان نبياً حتى تلقنه شهادة أن لا إله إلا الله. (يا أبا هريرة) من لقّن مريضاً في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقالها، كان له مثل جميع حسناته، فإن لم يقلها فله عتق رقبة بقوله لا إله إلا الله. (يا أبا هريرة) لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله رب اغفر لي، فإنها تهدم الذنوب هدماً، فقلت: يا رسول الله، هذا للموتى، فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدم وأهدم، قال: فعدّده رسول الله ﷺ عليّ أكثر منْ عشرين مرة يقول رسول الله ﷺ: أهدم وأهدم (يا أبا هريرة) إن

استطعت أن لا تمطر السماء مطراً إلا صليت عنده ركعتين، فإنك تعطي حسنات بعدد كل قطرة نزلت تلك الساعة، وعدد كل ورقة أنبتت من ذلك المطر. (يا أبا هريرة) تصدق بالماء، فإنه لا يتوضأ أحدٌ إلا كان لك مثل حسناته من غير أن ينقص من حسناته شيء. (يا أبا هريرة) أما علمت أن رجلاً غفر له، احتش حشيشاً فجاءت بهيمة فأكلته. (يا أبا هريرة) قل للناس حُسْناً تفلح يوم القيامة. (يا أبا هريرة) عد على المسكين كافراً كان أو مسلماً، فإنك إن عدت على المسكين الكافر رحمك الله، وأما ثوابك إن عدت على المسكين المسلم فلا أحسن صفته (يا أبا هريرة) إن كنت في مال أبيك أو أمك أو ولدك فلا يحل لك أن تتصدق منه إلا بإذنه. (يا أبا هريرة) لا يحل لك من مال امرأتك شيء إلا تعطيك من غير أن تسألها، وذلك هو قول الله تعالى ﴿**فإن طِبنَ لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً**﴾(1). (يا أبا هريرة) قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن شيئاً إلا بكل رطب يخفن فساده إذا كان غائباً. (يا أبا هريرة) علِّم الناس سنتي يكن لك النورُ الساطع يوم القيامة، يغبطك به الأولون والآخرون. (يا أبا هريرة) كن مؤذناً وإماماً، فإنك إذا رفعت صوتك بالأذان يرفع الله صوتك حتى يبلغ العرش، فلا يمر صوتك على شيء إلا كان لك بعدده عشر حسنات، ولك إذا كنت إماماً بعدد من صلى خلفك، ولك مثل صلاتهم لا ينقص من صلاتهم شيء، إلا أن تكون إماماً خائناً، قال: قلت يا رسول الله: وكيف الإمام الخائن؟ قال: إذا خصصت نفسك بالدعاء دونهم فقد خنتهم، (يا أبا هريرة) لا تضربن في أدب فوق ثلاث، فإنك إن زدت فهي قصاص يوم القيامة. (يا أبا هريرة) أدِّبْ صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً. (يا أبا هريرة) عليك بابن السبيل فقدِّمه

---

(1) سورة النساء ـ الآية ٤.

الى أهلك أو إلى أهله، تشيعك الملائكة إلى الصراط. (يا أبا هريرة) جالس الفقراء، فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفة عين. (يا أبا هريرة) لا تؤذ المسلمين في طريقهم، فإنه من آذى المسلمين في طريقهم ذمّه المسلمون والملائكةُ جميعاً. (يا أبا هريرة) إذا مررت على أذى في الطريق فغطه بالتراب، يسترِ الله عليك يوم القيامة. (يا أبا هريرة) إذا أرشدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة. (يا أبا هريرة) من مشى مع أعمى ميلاً يسدده، كان له بكل ذراع من الميل عشر حسنات. (يا أبا هريرة) أسمع الأصمّ الذي يسألك عن خير يسمعك الله ما يسرُّك يوم القيامة. (يا أبا هريرة) أرشد الضال ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة (يا أبا هريرة) لا ترشد اليهوديّ إلى بيته، ولا النصراني إلى كنيسته، ولا الصابئيَّ إلى صومعته، ولا المجوسيَّ إلى بيت ناره، ولا المشرك إلى بيت وثنه إذا تكتب عليك مثلُ خطاياه حتى ترجع. (يا أبا هريرة) لا ترشد أحداً إلى غير حدود الله فيعملَ به إذا يكون عليك مثل ذنبه. (يا أبا هريرة) ارشد عباد الله الى مساجد الله، وإلى البلد الحرام، وإلى قبري يكن لك مثل أجورهم ولا تنقص من أجورهم شيئاً. (يا أبا هريرة) أبلغ النساء أنه ليس عليهن زيارة قبري، ولكن عليهن حج بيت الله الحرام إذا كان معهن محرم، وإلا فلا، قلت: يا رسول الله، وإن كانت امرأة مثل الحشفة[1]؟ قال: وإن كانت امرأة مثل الحشفة. (يا أبا هريرة) إن استطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يدٌ ولا لسانٌ فإني أحب لك ذلك. (يا أبا هريرة) لا يكن أمير من أمرائك إلا أمير يعدل مثل ما تعدل أنت، فإنْ عدلت أنت وجار هو كنت أنت شريكه في الإثم، ولم تكن شريكه في الأجر. (يا أبا هريرة) إن كان لك مال وجبت عليه زكاة فزكِّه، فإن أصابته آفة وقد زكيته مرة واحدة فهي مجزئة إلى يوم القيامة.

(١) الحشفة: الثمرة اليابسة. وفي المختار: الحشف: أردأ الثمر.

(يا أبا هريرة) إذا لقيت اليهودي والنصرانيَّ فلا تصافحه وأنت على وضوء، فإن فعلت فأعد الوضوء. (يا أبا هريرة) لا تكنى اليهودي ولا النصراني ولا المجوسي، ولكن سمه باسمه، فإنك والله تذلُّه بذلك، ولا يحل لك أن تكرمه، إنما لهم من العهد والذمة أن لا يؤخذ أموالهم إلا بطيب أنفسهم، ولا تدخل بيوتهم إلا بإذنهم، ولا تحُل بينهم وبين أطفالهم، ولا يخانون في نسائهم فبذلك آمرك ولتعرف الملة. (يا أبا هريرة) إذا خلوت بيهودي أو نصراني أو مجوسي فلا يحلُّ لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام. (يا أبا هريرة) لا تجادلن أحداً منهم فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل فتكذبه أو تجيء بشيء فيكذبك، بل لا يكون من حديثك إلا أن تدعوه إلى الإسلام وهو: قول الله تعالى **﴿وجادِلهم بالتي هي أحسن﴾**[1] الدعاء إلى الإسلام. (يا أبا هريرة) صلِّ إماماً كنت أو غير إمام في ثوب واحدٍ إن كان صفيقاً[2]. (يا أبا هريرة) أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء أهل بدر؟ فانظر رجلاً مسلماً ليس له ثوب يجمّع فيه يوم الجمعة فأعره ثوبك أو هبه له. (يا أبا هريرة) أتريد أن لا تسمع حسيس النار ولا يقع بك شررها؟ فأغث من استغاث بك، حريقٌ كان، لصٌّ كان، سيل كان، غريق كان، هدم كان. (يا أبا هريرة) نفِّس عن المكروبين والمغمومين تخرج من غم يوم القيامة. (يا أبا هريرة) امش الى غريمك بحقه تشيعك الملائكة بالصلاة عليك. (يا أبا هريرة) مَنْ علم الله منه أنه يريد قضاء دينه رزقه الله من حيث لا يحتسب، وهيأ له قضاء دينه في حياته أو بعد موته. (يا أبا هريرة) من أصاب مالاً حلالاً وأدّى زكاته ثم ورّثه عقبه، فكل ما يصنع فيه ورثته من الحسنات فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم. (يا أبا هريرة) من قذف محصناً أو محصنة، حُبس يوم القيامة في وادي خبال هناك حتى يخرج أو يجيء ببيان ما قاله، قال: قلت يا رسول الله:

(١) سورة النحل ـ آية ١٢٥.

(٢) صفق الثوب: بضم العين ـ كثف نسجه ـ اهـ منجد.

وما وادي خبال؟ قال: وادٍ في جهنم يسيل فيه قيحهم وما يخرج من أجوافهم. (يا أبا هريرة) من مات وعليه دينٌ وترك وفاء ذلك فجحده ورثته وليس لهم عليه بينة، ولم يعلم الله منه أنه يريد قضاءه فهو قصاصٌ من حسناته يوم القيامة. (يا أبا هريرة) المقتول في سبيل الله يغفر له جميع ذنوبه إلا ديناً أو قذف محصنة أو محصن. (يا أبا هريرة) كلُّ ذنب غمّ يوم القيامة، فربَّ ذنب له ثارة من الغم، وربَّ ذنب له ثارات، ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة الدم، أو مال أو عرض. (يا أبا هريرة) من أصاب شيئاً من ذلك فتاب إلى الله عزّ وجلّ قبل موته، واستكان وتضرع، وليس عنده أداء تلك المظلمة، فإن على الله أن يُرضي خُصماءه يوم القيامة من عنده بما شاء. (يا أبا هريرة) إن ظلمك إنسان فلا تشكه، ولا تسمّع به الناس وتعرّفهم حالته، تكن أنت وهو سواء. (يا أبا هريرة) مَن عفا عن مظلمة صغيرة أو كبيرة فأجره على الله، ومن كان أجره على الله فهو من المقربين الذين يدخلون الجنة مُدخلاً. (يا أبا هريرة) لا تُروِّع أحداً من خلق الله عزّ وجلّ فتروعك ملائكة الله في الآخرة يوم القيامة. (يا أبا هريرة) أتريد أن تكون عليك رحمةُ الله حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً؟ فقم بالليل وصلّ وأنت تريد به رضا ربك، ثم مُرْ أهلك يصلون، إذا فرغوا يوقظونك، فإنه إذا مر عليك من الليل ثلاث ساعات، ومن النهار ثلاث ساعات، وفي بيتك من يعي يعبد الله أعطاك الله مثل ذلك. (يا أبا هريرة) صلِّ في زوايا بيتك جميعاً يكن نور بيتك جميعاً في السماء كنور الكواكب في السماء عند أهل الدنيا. (يا أبا هريرة) احمل غداءك وعشاءك إلى أقاربك المحتاجين، يكن لك في كل خير يقسمه الله بين أوليائه وأحبائه في الدنيا والآخرة سهم وافر. (يا أبا هريرة) ارحم جميع خلق الله يرحمك الله من النار يوم القيامة، قال: قلت يا رسول الله: إني لأرحم الذباب يكون في الماء، فقال رسول الله ﷺ رحمك الله، رحمك الله، رحمك الله. (يا أبا هريرة) إذا نزلت بك مصيبة فارضَ بما أعطاك الله، وليعلم

الله منك أن ثواب المصيبة أحبُّ إليك من عدم المصيبة يعطك الله الصلاة والرحمة والهدى. (يا أبا هريرة) عَزِّ الحزين كما تحب أن تُعزى، واذكر ثواب ما أعد الله على المصيبة تعطَ بكل خطوة عتق رقبة. (يا أبا هريرة) إذا مررت بجمع نساءٍ فلا تسلم عليهن، فإن بدأنك بالسلام فاردد عليهن. (يا أبا هريرة) إذا سلم المسلم عى المسلم فردَّ عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة. (يا أبا هريرة) الملائكة تتعجب من المسلم يلقى المسلم فلا يسلم عليه. (يا أبا هريرة) تعوَّد التسليم فإنه خصلة من خصال الجنة، قال ابن شاهين: وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة. (يا أبا هريرة) أصبح وأمسِ ولسانُك رطب من ذكر الله، تصبح وتمسِ وليس عليك خطيئة. (يا أبا هريرة) إن الحسنات يُذهبن السيئات كما يُذهب الماء الوسخ. (يا أبا هريرة) استر عورة أخيك يكن الله لك ناصراً. (يا أبا هريرة) انصر أخاك واستر عليه قبل أن يرفع الى السلطان في حدٍ من حدود الله، فإن رفع الى السلطان فإياك أن تباشر له بنفسك ومالك، فإنه من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو كذا وكذا.

محاسبة النفس والنظر إلى العواقب

الوصية رقم (٩٩) قال بعض العلماء في وصية أوصى بها: اعلم أنه من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر إلى العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم عَلم، وفي التواني والإفراط تكون الهَلكة، وفي التأني السلامة والبركة، وزارع البرِّ يحصد السرور، والقليل مع القناعة خير من الكثير مع السرف في الذل، والتقوى نجاةٌ، والطاعة ملك، وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذولٌ، وصديق الجاهل تعب، ونديم العالم مغتبط، فإذا جهلت فسل، وإذا ندمت فأقلع، وإذا غضبت فاحلُم، وإن ائتمنْتَ فاكتم، ومن كافأك بالشكر فقد أدى إليك الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقرضه الفعل، ومن بدأك ببرِّه شغلك بشكره، فتفهم ما وفد مني إليك، واجعله تمثالاً بين عينيك، فإن

الـذي أفدتـك من وصيتي أبلغ في رفدك من عـطيتي، وضـع الصنـائع عنـد الكرام ذوي الأحساب، ولا تضعنَّ معروفك عند اللئام فتضيعه، فإن الكريم يشكر لك ويرصد لك المكافأة، واللئيم يحسب ذلك خوفاً منـه، ويؤول أمرُك معه الى المذمة، قال الشاعر:

إذا وليـتَ مـعـروفـاً لئيـماً يعـدُّك قـد قتلتَ لـه قتيـلا
فكن مـن ذاك معتـذراً إليـه وقـل: إني أتيتـك مستقيـلا
فـإن تغفر[1] فخير من عـظيم وإن عـاقبت لم تـظلم فتيـلا
وإن والـيـتَ ذلـك ذا وفـاءٍ فقـد أودعتـه شكـراً جميـلا

لا تنسب لنفسك شيئا

الوصية رقم (١٠٠) أوصى بعض العارفين بالله إنساناً فقال: إياك ان تكون في المعرفة مدّعياً، أو تكون بالزهد محترفاً، أو تكون بالعبادة متعلقاً، فقيل له: يرحمك الله، فسرِّ لنا ذلك، فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء انت معرّى عن حقائقها كنت مدعياً، وإذا كنت بالزهد موصوفاً بحالة، وبك دون الأحـوال كنت محترفـاً، وإذا علّقت قلبك بـالعبادة وظننت أنـك تنجو من الله بالعبادة لا بالله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً.

أعمال رجال كأنهم أنبياء

الوصية رقم (١٠١) قال رسول الله في وصيته لأبي هريرة: عليك (يا أبا هريرة) بـطريق أقوام إذا فزع الناس لم يفـزعوا، وإذا طلب النـاس الأمان من النـار لم يخافـوا، قال أبوهريرة: من هم يا رسول الله؟ حلِّهم وصفهم لي حتى أعرفهم، قـال: قوم من أمتي في آخر الزمان يُحشرون في يوم القيامـة محشر الأنبياء، إذا نـظر إليهم

---

(١) فمجترمي عظيم ـ نسخة.

الناس ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم، حتى أعـرِّفهم أنا فـأقول أمتي أمتي، فتعرف الخلائق أنهم ليسوا بأنبياء، فيمرون مثل البرق والريح، تغشّى أبصـارُ أهـل الجمع من أنـوارهم، فقلت: يا رسـول الله: مُرْ لي بمثـل عملهم، لعلي ألحق بهم، فقـال: يا أبـا هريـرة ركب القوم طـريقاً صعباً، لحقـوا بـدرجـة الأنبياء، آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله، والعريَ بعـدما كسـاهم، والعطش بعدما أرواهم، تـركوا ذلـك رجاء عنـد الله، تركـوا الحلال مخـافة حسـابهم، صحبوا الدنيا بأبدانهم، ولم يشتغلوا بشيء منها، عجبت الملائكة والأنبيـاء من طـاعتهم لربهم، طـوبى لهم، طوبى لهم، ودِدْتُ أن الله جمـع بيني وبينهم، ثم بكى رسول الله ﷺ شوقـاً إليهم، ثم قال: إذا أراد الله بـأهل الأرض عـذاباً فنظر إليهم صرف العذاب عنهم، فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم، فمن خالف طريقتهم تعب في شدة الحساب[1].

الانسانية .. كمال

الوصية رقم (١٠٢) كتبت الى بعض معارفنا بوصيةٍ ضمنتها أبياتاً أحرِّضـه فيهـا على تكملة انسانيته وهي:

إنْ تـكـن روحـاً وريحـانـا	كنتَ بـين النـاسِ إنســانـا
إنمـا أعــطاكَ صــورتــه	لـتكـن في الخـلقِ رحمـانـا
فـالـذي قــد حـاز صــورتـه	حــاز مـا يـأتي ومـا كـانـا
والـذي في الغيب من عجبٍ	والــذي قــد جـاءه الآنـا
وإذا يـدعــوه خــالـقــه	إنمـا يـدعـوه مجِـسـانـا

(١) الحديث. لم أجده.

مساءلة الحكماء

الوصية رقم (١٠٣)

وأوصى بعض الصالحين إنساناً قال: أكثرْ مساءلةَ الحكماء، وليكن أولُ شيء تسأل عنه العقل، لأن جميع الأشياء لا تدرك إلا بالعقل، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدُم، ثم اخدم. سأل ابراهيم الأخميْميُّ ذا النون أن يوصيه بوصية يحفظها عنه، قال: وتفعل؟ قال إبراهيم: قلت: نعم إن شاء الله، فقال: يا إبراهيم احفظ عني خمساً فإن أنت حفظتهن لم تبالِ ماذا أصبت بعدهن، قلت: وما هن رحمك الله؟ قال: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعادِ الشهوات، وخالف الهوى، وافزع الى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا، والخوف والرجاء والصبر، وتورثك هذه الخمسة خمسةً: العلم، والعمل، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والوفاء بالعهود، ولن تصل إلى هذه الخمسة إلا بخمس: علم غزير، ومعرفة شافية، وحكمةٍ بالغة، وبصيرةٍ نافذة، ونفس راهبة، والويل كلُّ الويل لمن بُليَ بخمس: حرمانٍ، وعصيانٍ، وخذلان، واستحسان النفس لما يسخط الله، والإزراء على الناس بما يأتي، وأقبح القبح خمسٌ: قبح الفعال، ؛ ومساوي الأعمال، وثقل الظهور بالأوزار، والتجسس على الناس بما لا يحبُّ الله، ومبارزة الله بما يكره، وطوبى ثم طوبى لمن أخلص عشرة: أخلص عمله وعلمه، وحبّه وبغضه، وأخذه وعطاءه، وكلامه وصمته، وقوله وفعله، واعلم يا إبراهيم أن وجوه الحلال خمسة: تجارة بالصدق، وصناعة بالنصح، وصيد البر والبحر، وميراث حلالِ الأصل، وهدية من موضع ترضاها، وكلُّ الدنيا فضولٌ إلا خمسة: خبزٌ يشبعك، وماءٌ يرويك، وثوب يسترك، وبيت يكنُّك، وعلم تستعمله، وتحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء: الإخلاص، والنية، والتوفيق، وموافقة الحق، وطيب المطعم والملبس، وخمسة أشياء فيها الراحة: ترك قرناء السوء، والزهد في الدنيا، والصمت، وحلاوة الطاعة إذا غبت عن

أعين المخلوقين، وترك الإزراء على عباد الله، حتى لا تزدري على أحد يعصي الله، وعندها يسقط عنك خمس: المراء، والجدل، والرياء، والتزيين، وحبُّ المنزلة، وخمس فيهن جمع الهمّ، قطع كل علاقة دون الله، وترك كل لذة فيها حساب، والتبرم بالصديق والعدو، وخفة الحال، وترك الادخار، وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم: نعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو ميتة قاضية، أو فتنة قاتلة، أو تزل قدمٌ بعد ثبوتها، حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك. ومن قول أبي العتاهية في الوصايا منظوماً في هذا الباب:

ما أنا إلا لمن يعاني	أرى خليلي كما يراني
لست أرى ما ملكتُ طرفي	مكان من لا يرى مكاني
فلي إلى ان أموتَ رزق	لو جَهِدَ الخلقُ ما عداني
فاستغنِ بالله عن فلانٍ	وعن فلانٍ وعن فلانِ
فالمالُ من حلِّه قوامٌ	للعِرض والوجه واللسان
والفقرُ ذل عليه بابٌ	مفتاحهُ العجزُ والتواني
ورزقُ ربي له وجوهٌ	هن من الله في ضمانِ
سبحانَ من لم يزل عليّا	ليس له في العلو ثانِ
قضى على خلقه المنايا	فكلُّ حيٍّ سواه فانِ
يا رب لم نبكِ من زمانٍ	إلا بكينا على الزمانِ

النفاق ـ وصية عمرية

الوصية رقم (١٠٤)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه، فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

التواضع

الوصية رقم (١٠٥) تتضمن وصية ونصيحة نبوية، قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن تواضعَ في غير منقصة، وذلَّ في نفسه في غير مسكنة، وأنفقَ من مالٍ جمَعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحِم أهل الذلة والمسكنة، طوبى لمن طابَ كسبُه، وصلُحت سريرته، وكرُمت علانيته، وعزل عن الناس شرّه، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضلَ من قوله[١].

الفضيل بن عياض ينصح هارون الرشيد

الوصية رقم (١٠٦) الفضيل بن عياض لأمير المؤمنين: روينا أن أمير المؤمنين هارون الرشيد حجَّ ومعه الفضل بن الربيع، قال الفضل: أتاني أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً، فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، فقال: ويحك، قد حاك في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله فقلت: ههنا سفيان ابن عُيَيْنة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ الباب، فقال: مَن ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، قال: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدّثه ساعةً، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم فقال لي: اقضِ دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا عبد الرزاق، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان، وقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله: فقلت: ههنا الفضيل بن عياض، فقال: امضِ بنا إليه، فإذا هو قائم يصلي يتلو آيةً من القرآن، يردِّدُها، قال: اقرع الباب، فقرعت، فقال: مَنْ هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحان الله، أما له

---

(١) الحديث رواه البخاري في التاريخ والبغوي وابن قانع وغيرهم ورمز السيوطي لحسنه واعترضه المناوي فقال: وليس بحسن كما قال الذهبي وقال في الإصابة: حديث سنده ضعيف. كشف ٢/٥٨.

عليك طاعةٌ،؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كفُّ أمير المؤنين قبلي إليه، فقال: يا لها من كفٍّ ما ألينها إن نجتْ غداً من عذاب الله عز وجل، فقلت في نفسي ليكلّمنه الليلة بكلامٍ من قلب تقيّ، فقال له: خذ لما جئناك له، رَحِمَك الله، فقال له: إن عمر بن عبدالعزيز لمّا وليَ الخلافة دعا سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا فأشيروا عليّ، فعدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له[1] سالم بن عبدالله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا، وليكن فطرك منها الموت، وقال له محمد بن كعب: إن أردتَ النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ابناً، فوقِّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك، وقال له رجاءُ بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فأحبّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُت إذا شئت، وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف، يومٌ تزلُّ فيه الأقدام، فهل معك ـ رحمك الله ـ من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غُشي عليه، فقلت[2]: ارفق بأمير المؤمنين، قال: تقتُله أنت وأصحابك، وارفقْ به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال له: يا أمير المؤمنين بلغني أنّ عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكا إليه فكتب إليه: يا أخي أذكّرك سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن يُنصرف بك من عند الله عزّ وجل، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدِمَ على عمر بن عبدالعزيز، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا أعود الى ولايةِ حتى ألقى الله

---

(١) اي لعمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه.
(٢) القائل الفضيل بن الربيع.

عزّ وجل، قـال: فبكى هارون بكـاء شديـداً، ثم قال لـه: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عمُّ المصطفى ﷺ جـاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمِّرني على إمارة، فقال له: يا عم إن الإمارة حسرةٌ ونـدامة يـوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فـافعل، فبكى هـارون بكاءً شـديداً وقال له: زدني ـ رحمك الله ـ قال: يا حَسَن الوجه أنت الذي يسألك الله عـز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الـوجه فـافعل، وإيـاك ان تصبـحَ وتمسي وفي قلبـك غشٌّ لأحـد من رعيتـك، فـإن النبي ﷺ قال: من أصبح لهم غاشّاً لم يُـرَح رائحة الجنـة، فبكى هارون وقـال: عليك دين؟ فقال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويـل لي إن سألني، والـويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنمـا أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، وقد قال عز وجل ﴿إن الله هو الرزاق﴾[1] فقال له: هذه ألفُ دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبـادتك، فقـال: سبحان الله أنا أدُلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سلّمك الله ووفقك، ثم صمت ولم يكلمنا، فخرجنا من عنـده، فلما صرنـا على البـاب، قـال لي هـارون: إذا دللتني عـلى رجـل فـدلّني عـلى مثـل هـذا، هـذا سيـد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت له: يا هذا قد ترى ما نحن فيـه من ضيق الحال، فلو قبلتَ هـذا المال لفـرّجتَ عنا بـه، فقال لهـا: مَثَلي ومَثَلُكم كمَثَـل قوم كـان لهم بعيرٌ يـأكلون من كسبه، فلما كبـر نحروه فـأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: نـدخلُ فعسى أن يقبـل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هـارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه ولا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جـاريةٌ سـوداء فقـالت لـه: يـا هـذا قـد آذيت الشيـخ هـذه الليلة فـانصـرف رحمـك الله، فانصرفنا.

---

(١) سورة الذاريات ـ آية ٥٨.

وقال رجل لذي النون المصري: دلني على طريق الصدق والمعرفة، فقال: يا أخي أدِّ الى الله صدقَ حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة، ولا ترقَ حيث لا ترقى فتزل قدمك، فإنه إذا دُلَّ بك لم تسقط، وإذا ارتقيت أنت تسقط، وإياك ان تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً.

أحكام الفرائض

الوصية رقم(١٠٧) ليكن آثَرَ الأشياء عندك وأحبها إليك إحكام ما افترض الله عليك، واتقاء ما نهاك عنه، فإن ما تعبَّدك الله به خيرٌ لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك، وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك، إنما ينبغي للعبد أن يراعيَ أبداً ما وجب عليه من فرضٍ فيحكمه على تمام حدوده، وينظر إلى ما نهي عنه فيتقيه على أحكم ما ينبغي، فالذي قطع العباد عن ربهم عزّ وجل وقطعهم عن أن يُرزقوا حلاوة الإيمان وعن أن يبلغوا حقائق الصدق، وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعدَّ الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهِدون، إنما قطعهم تهاوُنهم عن إحكام ما فرض عليهم في قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم، وألسنتهم ، وأيديهم، وأرجلهم، وبطونهم، وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخلَ عليهم البر إدخالاً، يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معرفته وفوائد كرامته، ولكن أكثر القراء والنساك حقّروا محقرات الذنوب، وتهاونوا بالقليل منها، وما فيهم من العيوب، فحُرموا لذة ثواب الصادقين في العاجل، واستغفر الله مما تقول ولا تفعل.

الوقوف بالنفس عند حدها

الوصية رقم ١٠٨ عبدالله المغاوري وكان رجلاً كبيراً من أهل لبلة من أعمال إشبيلية بغرب الأندلس يُعرف بالأندلسي، كان سبب رجوعه إلى الله أن الموحدين لمّا دخلوا لبْلَة رَمَت امرأة عليه نفسها وقالت له: احملني إلى اشبيلية، ونجني من أيدي هؤلاء القوم، فأخذها على عنقه وخرج بها، فلما خلا بها وكان من الشطار الأشدّاء الأقوياء، وكانت المرأة ذات جمالٍ فائق، فدعته نفسُه إلى وقاعها فقال: يا نفسُ هي أمانةٌ بيدي، ولا أحبُّ الخيانة، وما هذا وفاءً مع صاحبها، فأبت عليه نفسه إلا الفعل، فلما خاف على نفسه أخذ حجراً وجعل ذَكَرَه عليه، وهو قائم وأخذ حجراً آخر فقال به عليه، فرضخه بين الحجرين، فقال: يا نفسي النار ولا العار، فجاء منه واحدُ زمانه، وخرج من حينه يطلب الحجّ، فأقام بالاسكندرية إلى أن مات بها، أدركتُه ولم أجتمع به، فأخبرني أبو الحسن الأشبيلي قال: أوصاني عبدالله المغاوري، فقال لي: يا أبا الحسن آمرك بخمسٍ، وأنهاك عن خمسٍ: آمرك باحتمال أذى الخلق، وإدخال الراحة على الإخوان، وأن تكون أذناً لا لساناً (أي اسمع ما يُتكلم به)، والخامسُ أن تكون مع الناس على نفسك، وأنهاك عن: معاشرة النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وعن الدعوى، وعن الوقوع في رجال الله.

سرور الأبد

الوصية رقم(١٠٩) رويناها من حديث ابن مروان المالكيِّ في المجالسة قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم: أوصني فقال: اجعل الله همك، واجعل الحزن على قدر ذنبك، فكم من حزين وقف به حزنُه على سرور الأبد، وكم من فرح نقله فرحه إلى طول الشقاء.

. للموت ذكرا

الوصية رقم (١١٠) رويناها من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ (توبوا الى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تحصنوا[1]، وانهوا عن المنكر تنصروا، أيها الناس إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، وأحزنكم[2] أحسنُكم له استعداداً، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة الى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور)[3] وأنشد بعضهم:

كنا على ظهرها والدهرُ في مَهَل والعيشُ يجمعُنا والدارُ والوطنُ
ففرّق الدهرُ بالتصريف ألفَتنا واليومَ يجمعنا في بطنها الكفَنُ

الالحاد بالحرم (شعر)

الوصية رقم (١١١) الجرهميّ: عمرو بن لحيّ بالحرم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرد فيه بإلحادٍ بظُلمٍ نُذقه من عذابٍ أليم﴾[4] فكان ابن عباس يسكن الطائف لأجل ذلك، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (احتكار الطعام بمكة إلحادٌ فيه)[5] قال الجرهميُّ يخاطب عمرو بن لحيّ يوصيه:

يا عمرو لا تظلم بمـ ـكة إنها بلد حرام
سائلْ بعادٍ أين هم وكذاك يُخترم الأنام

---

(١) تخصبوا ـ نسخة.

(٢) أحزمكم ـ نسخة.

(٣) الحديث: لم أجده وفي معناه أحاديث صحيحة.

(٤) سورة الحج ـ آية ٢٥.

(٥) الحديث: أخرجه أبو داود عن يعلى بن أميه، رواه أبو داود رقم ٢٢٠ في المناسك باب تحريم حرم مكة، في سنده مجاهيل. جا ٢٩٣/٩.

ومن العماليق الذ ين لهم بها كان السوام[1]

ذي النون ينصح الفتيان

الوصية رقم(١١٢) ذي النون أوصى بعض الفتيان: يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة، واجمعها[2] بردِّ الظلامة تلبس غداً سرابيل السلامة، واقصرها في روضة الأمان، وذوِّقها مضض فرائض الإيمان، تظفر بنعيم الجنان، وجرّعها كأس الصبر، ووطنها على الفقر، حتى تكون تامّ الأمر، فقال له الفتى: وأيُّ نفسٍ تقوى على هذا؟ فقال: نفسٌ على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت، نفسٌ ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرطٍ ولا ثُنيا[3]، نفس تدرّعت رهبانية القلق، ورَعت الدُّجا الى واضح القلق، فما بالُك بنفس في وادي الحَنادس[4] سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت، وإلى الفناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النزر من القوت اقتصرت، ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلام الدياجي زهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في غَلسِ الظلام مشمّرة، وقد نبذتِ المعايشَ ورعت الحشايش، هذه نفسٌ خدوم، عملت ليوم القدوم، وكلُّ ذلك بتوفيق الحي القيوم.

بالخير موصوفا

الوصية رقم(١١٣) أوصى ذي النون أخاه الكفلَ، قال له: يا أخي كن بالخير موصوفاً، ولا تكن للخير وصّافاً.

---

(١) أي الرعاية للأقوام.

(٢) واقمعها. نسخة.

(٣) أي ولا استثناء. والثنيا: ما استثنيته. منجد.

(٤) الحندس، جمع حندس بكسر الحاء والدال: الليل الشديد الظلمة ـ مختار الصحاح.

حسن الجوار

الوصية رقم (١١٤) حدّثنا بها محمد بن قاسم بمدينة فاس، قال: ثنا هبة الله ابن مسعود، ثنا محمد بن بركات، ثنا محمد بن سلامة بن جعفر، ثنا هبة الله بن ابراهيم الخولاني، حدثني علي بن الحسين بن بُندار، ثنا اسماعيل بن أحمد بن أبي حازم، حدثنا أبي، ثنا عمرو بن هاشم، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأحسن مصاحبةَ من صاحبك تكن مؤمناً، واعمل بفرائض الله تكن عابداً، وارضَ بقسم الله تكن زاهداً(١).

أبو العتاهية ينصح شعرا

الوصية رقم (١١٥) مُحكمة في موعظة منظومة لأبي العتاهية:

ألا إن خيرَ الذُّخر خيرٌ تنالُه ... وشر كلامِ القائلين فضولُه

ألم ترَ أن المرءَ في دار بُلغة ... إلى غيرها، والموتُ فيها سبيلُه

وأيُّ بلاغٍ يُكتَفى بكثيره ... إذا كان لا يكفيكَ منه قليلُه

مضاجعُ سكانِ القبورِ مضاجعٌ ... يُفارق فيهنّ الخليلَ خليلُه

تزوّد من الدنيا بزادٍ من التّقى ... فكلُّ بها ضيفٌ وشيكٌ رحيلُه

وخذ للمنايا ـ لا أبالَكَ ـ عُدّة ... فإنّ المنايا من أتت لا تُقيلُه

وما حادثاتُ الدهرِ إلا لعزةٍ ... تبتُّ(٢) قواها أو لملكٍ تزيلُه

ومن ذلك له أيضاً مما ضمّنه ديوانه:

---

(١) الحديث: لم أجده ومعناه خير.

(٢) البت: القطع، أي تقطع قواها. مختار الصحاح.

عيبُ ابـن آدمَ مـا علمتَ كثيرُ　　ومجيئه وذهابه تقديرُ
غَرّتك نفسك للحياةِ مُحِبّة　　الموتُ حقٌّ والبقاءُ يسيرُ
لا تغبط الدنيا فإن جميع ما　　فيها يسيرٌ لو علمتَ حقيرُ
يا ساكنَ الدنيا ألم ترَ زهرة الدُّنيا على الأيام كيف تصيرُ
سل ما بدا لك أن تنال من الغنى　　إن أنت لم تقنع فأنت فقيرُ
يا جامعَ المالِ الكثيرِ لغيره　　إنّ الصغيرَ من الذنوبِ كبيرُ
هل في يديك من الحوادث قوةٌ　　أو هل عليك من المنون خفيرُ[1]
ماذا تقول إذا رحلتَ الى البِلى　　وإذا خلا بك منكرٌ ونكيرُ

من نعاشر ونصحب

الوصية رقم(١١٦) قال بعضهم: سألت أستاذي: من أُحادثه من الناس وإلى من أسكن؟ فقال: عليك بمحادثة من لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرك ولله باطنك، وعاشرهم بالتي هي أحسن.

القناعة وحكم الربانيين

الوصية رقم (١١٧) في حكاية عن بعض أهل الولاية، قال بعض السيّاح: كنت جائزاً في بعض سياحاتي في أرض الشام، إذ مررت بنهر يقال له: نهر الذهب، فرأيت في ظهر قرية من قرى ذلك النهر صومعة فيها راهب، فناديته: يا راهب أجبني، فلم يجبني، فناديته الثانية: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثالثة: يا راهب أجبني، أو قال فناديت الثالثة: يا ربانيُّ، فاطّلع فرآني، فقال: ما حاجتك، وما الذي تريد؟ فقلت له: عظةً أو وصية أنتفع بها، فقال لي: أوَ تركتَ الدنيا؟ قلت: نعم، فقال لي: كلِ القوت، والزم(السموت)،وعلّل[2]

---

(١) الخفير: المجير، تقول: خفر الرجل أي أجاره وكان له خفيرا يمنعه. مختار الصحاح.
(٢) فلان يعلل نفسه بالشيء: أي يلهي نفسه به. اهـ مختار الصحاح.

النفس فإنك تموت، وفكرها الوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت، ثم قال:

لو قنِعنا لكفانا منكِ يا دار اليسيرُ
أنتِ نُعماكِ قليلٌ وبلاياك كثيرُ
وقبورٌ تتلاشى حيث لا تمشي القبورُ
يا مبهْرجْ لا تبهْرجْ إنما النّاقدْ بصيرُ

قال: فتركته وبتُّ ليلتي، فلما أصبحت عدت إليه، وناديت يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: كلْ مما كسبته يمينك وعرق فيه جبينك، فإن ضعف يقينك فسل ربك فإنه يعينك، ثم قال:

إذا الساعة اقتربت يا لها وزلزلتِ الأرض زلزالها
فلا بدّ من سائل قائلٍ من الناس يومئذ ما لها؟
تحدِّث أخبارَها، ربّما وربُّك لا شك أوحى لها
وتنفطر[1] الأرض عن ساعة تُشيب الكهولَ وأطفالها
ترى الناس سكرى بلا قهوةٍ ولكن ترى النفسُ ما هالها
ترى النفسُ ما قدمت محضراً ولو ذرةٌ كان مثقالها
ذنوبي بلائي فما حيلتي إذا كنت في الحشر حمّالها؟
يحاسِبها ملكٌ قادرٌ فإمّا عليها وإمّا لها

قال: فتركته وبتُّ ليلتي، فلما أصبح عدت إليه، وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: صلِّ الفرض، واذكر العرض، ولا تطلب من أحد الصلة ولا القرض، ثم قال:

متى تهجرُ الدنيا وتنوي لها بغضاً وتركُك للعصيان حقاً متى يقض؟

---

(١) تفطر الشيء: تشتق مختار الصحاح..

متى يا صفيقَ الوجه[1] تضمر توبة ... وعمرك في الدنيا يساق بها ركضا؟
فلا بد بعد الموت أن تسكن البِلى ... يرضك ثقلَ اللبن تحت الثرى رضّا
وتعطى كتاباً فيه كلُّ فضيحةٍ ... وتشهد أهوال القيامة والعرْضا
فقم في دياجي الليل لله طائعاً ... لعلّ الذي أسخطته لعسى يرضى

قال فتركته وبتُّ ليلتي، فلما أصبح عدت إليه، وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: يا هذا شغلتني عن عبادة ربي، فقمت إليه مودعاً، فقال لي: كل الصبر، والزم الفقر، ثم أنشد:

متى تُهدى إلى سبيلِ الرشادِ ... إذا كنت المصرّ على الفسادِ
نهارَك لاعباً تغترُّ فيه ... وليلك لا تملُّ من الرُّقادِ
فدع ظلم العباد فليس شيءٌ ... أضرَّ عليك من ظلم العبادِ
وهيِّ الزادَ إنك ذو رحيل ... إلى السفر البعيد على انفراد
تأهب للذي لا بدّ منه ... فإن الموت ميقات العباد
يسرك أن تكون زميل قومٍ ... لهم زادٌ وأنت بغير زادِ؟

وروينا عن بعض علماء هذا الشأن، من أهل الله الناصحين أنفسهم أنه قال: ينبغي لمن علم ان له مقاماً بين يدي الله عزّ وجل ليسأله عما أسلف في هذه الدار ـ أن لا يؤثِرَ القليل الحقير على الجزيل الكثير، ولا التواني والتقصير على الجدّ والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن قد أيّده الله منه بإتقان العلم، ولقحَ عقله بدلالات الفهم أن لا يتحير في ظلمة الغفلة، التي تحير فيها الجاهلون، والعجب كلُّ العجب لأهل هذه الصفة: كيف استوحشوا من طاعة الله وأنِسوا بغيره، وركنوا الى الدنيا وتقلُّب حالاتها، وكثرة آفاتها، ولا زادتهم الدنيا إلا هواناً، ولا ازدادوا لها إلا إكراماً، فما مستيقظٌ من وسنة يخلع وثيق الغلِّ من عنقه، ويهتك جِلباب الران عن قلبه، وإن من أنصح النصحاء لك

(١) الصفيق: الوقح، يقال: وجه صفيق: أي لا حياء له. منجد.

يا أخي من نبهك من أمرك على الحجة، وأمرك بالرحلة، ولم يحسن لك (سوف) و(أرجو) و(لعل) و(يكون) فما رأيتُ هذه الخصال، تورث صاحبها إلا الخسارة والندامة، فكابدوا التسويفَ بالعزم، وبادروا التفريط بالحزم، فقد وضح لهم الطريق، والله المستعان المرشد والدليل.

علاج الشهوة القوية

الوصية رقم(١١٨) سئل بعض أهل الله عن أهون[١] ما يجده العبد على تسكين الشهوة، فقال: الصيام بالنهار، والقيام بالليل، وحذف الشهوات، والتغافل عنها، وترك محادثة النفس بذكرها، فقيل له: فإن الرجل يصوم بالنهار، ويقوم بالليل، ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً، فقال له: ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الأول، فليقطع أسباب المادة منها جهده، ويمسكها عن نفسه بالهموم والأحزان وتسكين سلطانها بذكر الموت، وتقريب الأجل، وقصر الأمل، وما يشغل القلوب. اقطع عن نفسك الشهوات، واستقبل المراقبة لمن هو عليك رقيب، والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب، نسأل الله تعالى التوفيق على بلاغ الطريق والخروج من كل ضيق، إنه قوي شفيق.

حسن الاستقامة يوصل الجنة

الوصية رقم(١١٩) في ذكرى: قال بعض العلماء: من وثِقَ بالمقادير استراح، ومن صحّح صُحّح له، ومن تقرب قرب، ومن صغى[٢] صغي له، ومن توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه، وقيل لبعضهم: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بحسن استقامة ليس فيها رَوَغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبةِ

---

(١) أعون ـ نسخة.

(٢) ومن صفا صفي له ـ نسخة.

الله في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، والمحاسبة لنفسك قبل أن تحاسب. كن عارفاً خائفاً، ولا تكن عارفاً واصفاً، لا تكن خصماً لنفسك على ربك تستزيده في رزقك وجاهك، ولكن كن خصماً لربك على نفسك، لا تجمع معك عليك، ولا تلقَ أحداً بعين الازدراء والتصغير وإن كان مشركاً، خوفاً من عاقبتك فلعلك تسلبُ المعرفة ويرزقها، وقال ذو النون: تعوذوا بالله من القبطي [1] إذا استغرب.

وهذه وصية عجيبة مجربة قالها مجرب ولها حكاية، قال ذو النون المصري: رأيت في بربا بموضع يقال له: دندرة[2] مكتوباً فيها: احذروا العبيد المعتقين، والأحداث المتقربين[3] والجند المتعبدين، والنِبط المستعربين، حدثنا بهذا يونس ابن يحيى بن العباس القصار تجاه الركن اليماني، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، عن أبي بكر بن الباقي، عن أبي الفضل بن أحمد عن أحمد بن عبدالله، عن محمد ابن ابراهيم، قال: سمعت عبدالحكم بن أحمد بن سلام يقول: سمعت ذا النون يقول الحكاية.

خالص الشكر لله رؤيا حق

الوصية رقم(١٢٠) وصية إلهية: حدثنا عماد الدين عبدالله بن الحسن المعروف بابن النحاس، قال: حدثني بدرٌ الجندي، قال: قال لي عليُّ بن الخطاب الجزريُّ بالجزيرة، وكان من الصالحين: رأيت الحقَّ في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ، قال: فسكتُّ، فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ، فسكتُّ، قال ذلك ثلاثاً، ثم قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب أعرضُ عليك ملكي وملكوتي، وأقول لك تمنَّ وتسكت؟ فقال: قلت يارب إن نطقت فبك، وإن تكلمت فبها

(١) من القبط ـ نسخة.

(٢) تابعة لمصر ـ قريبة من السودان.

(٣) المتغربين ـ نسخة.

تجريه على لساني، فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك، فقلت: يا رب قد شرفت أنبياءك بكتب أنزلتها عليهم، فشرفني بحديث ليس بيني وبينك فيه واسطة، فقال: يا ابن الخطاب: من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدّل نعمة الله كفراً، قال: فقلت يا رب زدني، فقال يا ابن الخطاب: حسبك حسبك.

أصدق الوصايا من القران الكريم

الوصية رقم (١٢١)

(وصية) بل وصايا إلهية: أصدق الوصايا وأنفعها ما ورد في القرآن العزيز من أوامر الحق عباده ونواهيه، المنزل من حكيم حميد، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، فلنذكر منها ما يسره الله على لساني، مذكراً بذلك القلوب الغافلة، وتبركاً بكلام الله تعالى، فمن ذلك ما ذكره سبحانه في سورة البقرة: ﴿لا تُفسدوا في الأرض﴾[1] ﴿آمنوا كما آمنَ الناس﴾ ﴿اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قَبْلكم﴾ ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ وهنا سرٌّ لمن تفكر، ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ ﴿وبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ ﴿أوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون﴾ ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون﴾ ﴿فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسَكم﴾ ﴿كلوا

(١) سورة البقرة ـ آية ١١، ١٣، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٨، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٨٣، ٨٤، ٩١، ٩٣، ١٠٦، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١٢٥، ١٢٥، ١٣٢.

من طيبات ما رزقناكم﴾ ﴿قولوا حِطّةٌ﴾ ﴿كلوا واشربوا من رزقِ الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ ﴿لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وفي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حُسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ ﴿لا تَكْفُرْ﴾ ﴿لا تقولوا: راعِنا، وقولوا: انظرنا، واسمعوا﴾ ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله﴾ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ﴿طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكع السجود﴾ ﴿لا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ ﴿قولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾[1] ﴿فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطرَه﴾ ﴿استبقوا الخيرات﴾ ﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾ ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ ﴿كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ ﴿اتبعوا ما أنزل الله﴾ ﴿كلوا مما رزقكم الله واشكروا الله﴾ ﴿فمن شهدَ منكم الشهرَ فليصمه﴾ ﴿ولتكملوا العِدّة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيطِ الأسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى الليل، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد، تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ ﴿وأتوا البيوتَ من أبوابها واتقوا الله﴾ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن

---

(١) سورة البقرة آية: ١٣٦، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩.

الله لا يحب المعتــدين، واقتلوهم حيث ثقفتمـوهم وأخـرجـوهم من حيث أخـرجوكم﴾ ﴿ولا تقتلوهـم عنـد المسجـد الحـرام حتى يقـاتلوكم فيـه، فـإن قاتلوكم فاقتلوهـم﴾ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكونَ الدِّين لله﴾ ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتـدى عليكم﴾ ﴿وأنفقوا في سبيـل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنـوا﴾ ﴿وأتموا الحـج والعمرة لله﴾ ﴿ولا تحلقـوا رؤوسكم حتى يبلغَ الهدى محلّه﴾ ﴿وتـزودوا فإن خـير الزادِ التقـوى واتقـون يا أولي الألبـاب﴾ ﴿فاذكـروا الله عندَ المشعـر الحـرام واذكـروه كـما هداكم﴾ ﴿ثم افيضوا من حيث أفاضَ الناس واستغفروا الله﴾ ﴿فاذكروا الله كـذكـركم آبـاءكم أو أشـد ذكـراً﴾[1] ﴿واذكـروا الله في أيــام معـدودات﴾ ﴿ادخلوا في السِّلم كافة﴾ ﴿ولا تقتلوهم عنـد المسجد الحـرام حتى يقاتلوكم فيـه﴾ ﴿ولا تنكحُوا المشـركـاتِ حتى يُؤمنّ﴾ ﴿ولا تُنكحـوا المشـركـين حتى يؤمنـوا﴾ ﴿فاعتـزلوا النسـاءَ في المحيض ولا تقربـوهن حتى يـطهـرن، فـإذا تـطهرن فـأتوهن من حيثُ أمـركم الله﴾ ﴿فأتـوا حرْثكم أنى شئتم، وقـدموا لأنفسكم واتقوا الله﴾ ﴿واعلموأانكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾ ﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم أنْ تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ ﴿تلك حـدودُ الله فلا تعتدوها﴾ ﴿فأمسكوهنّ بمعروفٍ أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتـدوا﴾ ﴿ولا تتخذوا آيـاتِ الله هزواً واذكـروا نعمةَ الله عليكم ومـا أنزل عليكم من الكتاب والحكمةِ يعظكم به، واتقوا اللهواعلموا أن الله بكلِ شيء عليم﴾ ﴿فلا تعْضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ ﴿لا تضارَّ والدة بولـدها ولا مولود له بولده﴾ ﴿لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً، ولا تعزموا عقـدةَ النكـاح حتى يبلغَ الكتـابُ أجله واعلمـوا أن الله يعلم مـا في أنفسكم

(١) سـورة البقـرة ـ آيـة: ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٨، ١٩١، ٢٢١، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨١.

فاحذروه، واعلموا ان الله غفور حليم﴾ ﴿ومتعوهن على الموسع قدَره وعلى المقتر قدره متاعاً﴾ ﴿وأن تعفوا أقربُ للتقوى ولا تنسوا الفضلَ بينكم﴾ ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ ﴿أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ﴾ ﴿لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ ﴿أنفقوا من طيباتِ ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيثَ منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ ﴿اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ ﴿إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل، ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتبَ كما علمه الله فليكتبْ وليملل الذي عليه الحق وليتقِ الله ربه، ولا يبخسْ منه شيئاً، فإنْ كان الذي عليه الحقُ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع ان يملّ هو فليملل وليه بالعدل، واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أنْ تضل إحداهما فتذكرَ إحداهما الأخرى، ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾[1] ﴿واشهدوا إذا تبايعتم﴾ ﴿فليؤد الذي ائتُمِن وليتقِ الله ربّه ولا تكتموا الشهادة﴾. واعلموا أن الله تعالى قد ذكر في كتابه كلَّ صفة يحمدها الله، وكلَّ صفة يذمها الله وصيةً لنا وتعريفاً أن نجتنب ما ذمّ من ذلك، ونتصف بما حدّ من ذلك، وقرّر على أمورٍ وبّخ بها عباده، ونعتَ كلَّ صاحبِ صفةٍ بما هو عليه عند الله، فمّما حَمِدَ ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[2] والإيمانُ بما أنزل على الرسل عليهم السلام، والايقانُ بالآخرة، وقال فيهم ﴿أولئك على هدى من ربهم[2] أي على بيان وتوفيق حيث صدقوا ربهم فيما أخبرهم به مما هو غيب في حقهم ﴿وأولئك هم المفلحون﴾[2] الناجون من عذاب الله الباقون

---

(١) سورة البقرة ـ آية: ٢٨٢، ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) البقرة ـ آية ٤، ٥.

في رحمة الله. ومما ذمّه: الكافرُ والمنافقُ فالكافر ذو الوجه الواحد الذي أظهر معاندةَ الله سواء عليه أعلمه الحق أو لم يعلمه، فإنه لا يؤمن بشيء من ذلك لا عقلاً ولا شرعاً، وأخبر أن الله تعالى ختم على قلبه بخاتم الكفر، فلا يدخله الإيمان مع علمه به، وختم على سمعٍ فهمه وهو الجاهل فلم يعلم ما أراد الله بما قاله، وعلى أبصارِ عقولهم غشاوةٌ، حيث نسبوا ما رأوه من الآيات الى السحر، وقال في ذي الوجهين وهو المنافق: إنه يقول: آمنا بالله وبما جاء من عند الله وهو ليس كذلك، وإنما يفعل ذلك خداعاً لله والذين آمنوا، وجعل الفسادَ صلاحاً، والصلاحَ فساداً، والإيمانَ سفهاً، والمؤمنين سفهاء، ويأتي المؤمنين بوجه يرضيهم، ويأتي الكافرين بوجه يرضيهم، فأخبرَ الله أنّ هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، وأنهم الصُمُّ عن سماع ما ذكرهم الله به، البكمُ عن الكلام بالحق، العميُ عن النظر في آيات الله، وأنهم لا يرجعون، ومما ذمّ الله: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، فأخبر أن أولئك هم الخاسرون، وقرّرَ ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون**﴾[1] ومما وبخ به: من أمر بالبر ونسي نفسه ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلونَ الكتاب أفلا تعقلون**﴾[2] ومما ذم: من أعطاه الأنفس فطلب الأدْون لقلةِ علمه ودناءة همته، فقال ﴿**وإذا قلتم يا موسى لن نصبرَ على طعام واحدٍ**﴾ يشير إلى أن الصبر مع الله صعبٌ ﴿**فادعُ لنا ربك يخرج لنا مما تنبتُ الأرض منْ بقلها وقثائها وفومها وعدَسها وبصلها**﴾ فقال لهم ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى**﴾ وهو ما ذكروه ﴿**بالذي هو خير**﴾ وهو ما أنزل الله عليهم من المنّ والسلوى، فأشار إلى دناءة همتهم بقوله ﴿**اهبطوا مصراً**﴾، لما نزلوا من

---

(١) البقرة آية ٢٩.

(٢) البقرة آية ٤٥.

الأعلى إلى الأدنى قيل لهم ﴿اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾ إنما هي أعمالكم تردُّ عليكم ﴿وضربتْ عليهم الذلّة والمسكنة﴾ لأنهم هبطوا ﴿**وباؤوا بغضب من الله**﴾[1] لأنهم لم يختاروا ما اختار الله لهم وكفروا بالأنبياء وبآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق، وعصوا واعتدوا. ومما ذمهم به القساوةُ فقال بعد تقرير ما أنعم الله به عليهم ﴿**ثم قستْ قلوبُكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة**﴾[2] وإنما كانت أشد قسوة لأن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبطُ من خشية الله، وأنتم ما عندكم في قلوبكم من هذا شيء، يذمهم بذلك، ومما ذم من يقولُ ما توسوس به نفسه وما يوسوس له شيطانه: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً من الجاه والرياسة عليهم، وما يحصلونه من المال، فأخبر الله تعالى أن لهم الويلَ من الله من أجل ذلك، هذا كله ذكره الله لنا في كتابه لنجتنبَ مثل هذه الصفات، ومما أوصى به عباده مما يحمده أن لا تعبدوا ﴿**إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾[3] فمن لم يعمل بوصيته ووصف حاله على جهة الذم، يسمعنا تعالى ما جرى من عباده حتى لا نسلك مسلكهم الذي ذمه الله به، فقال عقيب هذا القول ﴿**ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون**﴾[4] ﴿**ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، وهو محرمٌ عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتابِ وتكفرون ببعض**﴾[2] كما قال في حقهم وحقّ أمثالهم ﴿**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن**

---

(١) البقرة آية ٦٣

(٢) البقرة آية ٧٥.

(٣) البقرة آية ٨٤

(٤) البقرة آية ٨٦.

يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفرُ ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾[1] فأخبر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً وقال: **﴿فما جزاء من يفعلُ ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يردون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عما يعملون﴾**[2] فإنه أخبر عن هؤلاء أنهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، كما اشترى أولئك الضلالةَ بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، كما اشترى أمثالهم العذابَ بالمغفرة، فعجب الله من صبرهم على النار بقوله: **﴿فما أصبرهم على النار﴾**[3] فدل على أنهم عرفوا الحق وجحدوا مع اليقين كما قال في حق من هذه صفته في النمل **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾**[4] يعني: الآيات براهين على صدقهم فيما أخبروا به عن الله **﴿ظلماً وعلوّاً﴾** وأي آية كانت للعرب معجزة مثل القرآن، ولذلك قال **﴿ذلك بأن الله نزّل الكتابَ بالحق﴾**[5] وقال في الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب **﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾**[6] وأنه من سئل عن علم تعين عليه الجواب عنه، وهو يعلمه فكتمه وهو مما أنزله الله ـ ألجمه الله بلجامٍ من نار، وأن الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب واشتروا به ثمناً قليلاً أي بكتمانهم لما حصّلوه من المال والرياسة بذلك أن أولئك لا خلاقَ لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وأوصى عبادَه أيضاً فقال لهم **﴿ليس البر أن تولّوا وجوهكم قِبَل المشرقِ والمغرب، ولكنّ البرّ من آمن بالله واليومِ الآخر والملائكة والكتابِ والنبيين وآتى المالَ على حبه ذوي القربى واليتامى**

---

(١) النساء آية ١٥٠.
(٢) سورة البقرة. ٨٦.
(٣) سورة البقرة آية: ١٧٥.
(٤) سورة النمل آية ١٤.
(٥) سورة البقرة آية ١٧٦.
(٦) سورة البقرة آية ١٠٩.

والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾[1] فأخبر أن أولئك الذين صَدَقوا وأولئك هم المتقون، وأوصى وليَّ الدم أن يعفوَ ويخلّي بين القاتل والمقتولِ يوم القيامة، وأخبر ﷺ أن حكم القاتل قَوَداً حكمُ القاتل اعتداء وهو قوله تعالى **﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾**[2] فقال في صاحب التسعة: اما أن قتله كان مثله فتركه ولم يقتله **﴿فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾** من ولي الدم **﴿وأداءٌ إليه بإحسان﴾** من القاتل إلى ولي الدم **﴿ فمن اعتدى بعد ذلك﴾** أي إن قتله بعد ذلك غدراً وقد رضي بالدية وبما عفا عنه منها **﴿فله عذاب أليم﴾**[3]، وذكر في حق من حضرتْهُ الوفاةُ أن يوصي مما له التصرفُ فيه من ماله وهو: الثلث للأقربين، وهم الذين لا حظّ لهم في الميراث، وللوالدين وهو مذهب ابن عباس، حتى إنه يعصي عنده من لم يوص لوالديه عند الموت بالمعروف وهو أن لا يتجاوز ثلثَ ماله، وأخبر أنه**﴿حقاً على المتقين﴾**، وأخبر أنه من بدَّله بعدما سمعه من الموصي فإنما إثمه على الذين يبدلونه من الأولياء والحكام، وأخبر عن الساعي بالصلح بين الموصي والموصَى له أنه لا إثم عليه،- فهذه كلها وصايا إلهية منصوص عليها، ومنها أيضاً: أخبر الحقُّ أنه لا يتبع المتشابه من الكتاب ويتأوله على ما يعطيه نظره إلا من في قلبه زيغ - أي ميل عن الحق - وأخبر انه ما يعلم تأويله إلا الله، وأن الراسخين في العلم يقولون **﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾**، ومن جعله معطوفاً فيكون، الراسخون في العلم، من أعلمهم الله بتأويل ما أراد بذلك، وأقام الله عذرَ عباده في قوله **﴿زُيِّن للناس حبُّ الشهوات﴾**[4] الآيات، وأخبر- عن الذين يقولون **﴿ربّنا إننا آمنا فاغفر لنا**

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٨.

(٢) سورة الشورى آية ٤١.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٨.

(٤) سورة آل عمران آية ١٥.

ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾[1] وهم الذين اتقوا - أن لهم عند ربهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواجٌ مطهرة، وأخبر سبحانه أن الذين يقتلون النبيين بغير حق - ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس - أن لهم عذاباً أليماً وما لهم من ناصرين ينجونهم[2] من ذلك العذاب، ونهانا أن نتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين في نصرة دينه إلا أن نتقي منهم تقاة، وأنه من فعل ذلك فليس من الله في شيء، وقد حذرنا الله نفسه، وقال ﷺ حين نهانا عن التفكر في ذات الله، لأنه ليس كمثله شيء، وقال الله لنبيه ﷺ أن يقول لنا ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحْبِبْكُم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[3].

من الله الغنى

الوصية رقم(١٢٢) وصية إلهية في ذكر من يغبطُ الله من عباده، قال الله تعالى ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك﴾[4].

أحب الأولياء إلى الله

الوصية رقم(١٢٣) وصية إلهية، يقول الله تعالى ﴿إن أغبط أوليائي عندي المؤمن الخفيف الحاذّ[5] ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر والعلانية، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر على

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧، ١٨.
(٢) في الأصل: ينجيهم - وهو خطأ.
(٣) سورة آل عمران آية ٣٢.
(٤) أي خفيف الظهر - مختار الصحاح.
(٥) الحديث: لم أقف عليه ومعناه صحيح.

ذلك﴾ ثم نقر رسول الله ﷺ عندما قال هذا الحديثَ عن ربه بيديه، ثم قال (عُجِّلت منيته، وقلّت بواكيه، وقل تراثه)[1] .

الجنان لمن عفا عن أخيه

الوصية رقم(١٢٤) وصية في إصلاح ذات البين، قال أنس بن مالك: بينما رسول الله ﷺ جالسٌ إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ قال: (رجلان من أمتي جثَيا بين يدي ربِّ العزة تعالى، فقال أحدهما: يا رب خُذ لي بمظلِمتي من أخي، فقال: أعطِ أخاك مظلِمته، قال: يا رب لم يبقَ من حسناتي شيء، قال: يا رب فليحمل عني من أوزاري) وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: (إن ذلك ليوم عظيم، يومٌ يحتاج الناس فيه أن يحمل من أوزارهم) قال (فيقول الله عز وجل للطالب: ارفع رأسك فانظر إلى الجنان، فرفع رأسه فقال: يا ربِّ أرى مدائن من فضة، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا، لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطاني الثمن: قال: يا رب: ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوتُ عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة) ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: (اتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينكم؛ فإن الله تعالى يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة)[2]) .

الرضى بقسم الله راحة وسعادة

الوصية رقم(١٢٥) روينا من حديث كعب الأحبار أنه قال: وجدتُ في التوراة اثنتي عشرة كلمةً فكتبتها وعلّقتها في عنقي أنظر فيها كل يوم إعجاباً بها (يا ابنَ آدم إن

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي رقم ٢٣٤٨ في الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه. عن أبي أمامة الباهلي، واسناده حسن وقال الترمذي هذا حديث حسن. جا ١٠/١٣٧ .

(٢) الحديث: لم أقف عليه ومعناه جيد.

رضيتَ بمـا قسمتُ لك أرحتَ قلبـك وبدنـك وأنت محمود، وإن لم تـرضَ بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركضَ فيها ركضَ الـوحش في البريـة، وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا مـا قدّرت لـك وأنت مذمـوم، يا ابن آدم كـلٌّ يريدك له وأنا أريدك لك، وأنت تفرُّ مني، يا ابن آدم مـا تنصفني خلقتك من تراب، ثم من نطفةٍ ولم يعيني خلقك، أفيعييني رغيفٌ أسوقه إليـك في حين؟ يـا ابن آدم إني وحقي لـك محبٌّ، فبحقي عليــك كن لي محباً، يــا ابنَ آدم خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء من أجلك فلا تهتـك ما خلقتُ من أجـلي فيما خلقتُ من أجلك، يا ابن آدم كما لا أطالبك بعمل غد، لا تطالبني برزق غدٍ، يا ابن آدم: لي عليك فريضة، ولك عـلي رزق، إن خنتني في فريضتي لم أخنك في رزقك على ما كان منك، يا ابن آدم لا تخافنَّ فوتَ الرزق مـا دامت خـزائني مملوءة، وخزائني مملوءة لا تنفـد أبـداً، يـا ابنَ آدم لا تخـافنَّ من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً، وسلطاني باقٍ لا ينفـد أبداً، يـا ابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط).

معصية الحبيب للحبيب شديدة

الوصية رقم(١٢٦) وصية خليلية في الوَجل من الله تعالى، لما قال الله تعالى لإبـراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: يا إبراهيم ما هـذا الوَجـل الشديـد الذي أراه منـك؟ قال: فقال له إبراهيم: يا ربِّ وكيف لا أوجل ولا أكون على وجلٍ؟ وآدم أبي كان محلُّه في القرب منـك، خلقته بيـديك ونفختَ فيـه من روحك، وأمـرتَ الملائكة بالسجود له فبمعصية واحـدةٍ أخرجتـه من جوارك، فـأوحى إليه: يـا إبراهيم أما علمت ان معصية الحبيب على الحبيب شديدة.

محجوب عن الله

الوصية رقم (١٢٧) وصية إلهية بما يحجب عن الله فعله، أوحى عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود حذِّر بني اسرائيل أكلَ الشهوات، فإن القلوبَ المتعلقة بالشهوات محجوبة عني[١].

مناجاة

الوصية رقم(١٢٨) وصية إلهية بذكر الله على كل حال، قال موسى عليه السلام: أي رب أبعيدٌ أنت فأناديك، أم قريبٌ فأناجيك؟ فقال الله تعالى له: أنا جليس من ذكرني، ومن ذكرني فأنا معه، قال: فأي العمل أحب إليك يا رب؟ قال: تُكثر ذكري على كل حال[٢].

قيام الليل

الوصية رقم(١٢٩) وصية إلهية بقيام الليل، يقول الله تعالى إذا نزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا: كذَبَ من ادّعى محبتي، ونام عنّي، أليس كل محبٍ يطلب الخلوةَ بحبيبه؟ أنا ذا مُطّلِع على أحبابي، وقد مثّلوني بين أعينهم، وخاطبوني على المشاهدة، وكلموني بحضورٍ، غداً أُقِرُّ أعينهم في جناتي[٣].

وصية من الله لعباده هامة

الوصية رقم(١٣٠) (وصايا بما كلّم الله عزّ وجل بها نبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وذِكْرى) يا موسى ادنُ مني واعرف قدري فإني أنا الله، يا موسى أتدري لِمَ كلمتك من بين خلقي، واصطفيتُك برسالاتي وبكلامي دون بني إسرائيل؟ قال: لا يا رب، قال: لأني اطّلعت على أسرار عبيدي فلم أرَ قلباً أصفى

---

(١) الحديث: المعنى صحيح ولم أقف عليه.
(٢) الحديث: المعنى صحيح ولم أقف عليه.
(٣) الحديث: المعنى طيب ولم أجده.

لمودتي من قلبك، قال موسى: لِمَ خلَقتني يا رب، ولم أكُ شيئاً؟ قال: أردت بك خيراً، قال: ربِّ مُنّ عليَّ، قال: أسكنتُك جنتي في جواري مع ملائكتي، فتكونُ هناك منعّماً مخلداً ملتذاً، فرحاً مسروراً أبدَ الآبدين، فقال موسى: يا رب فما الذي ينبغي لي أن أعمل؟ قال: لا يزال لسانُك يكون رطباً من ذكري، وقلبك وَجِلاً من خشيتي، وبدنك مشغولاً بخدمتي، ولا تأمن مكري ولو ترى رجلَك في الجنة، قال موسى: يا رب فلِمَ ابتليتني بفرعون؟ قال: إنما اصطنعتك لنفسي أخاطب بلسانك بني اسرائيل فأسمعهم كلامي، وأعلمهم شريعة التوراة، وسنة الدين، وطرائق الآخرة، من اتّبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان، يا موسى: بلِّغ بني إسرائيل وقل لهم: إني لما خلقت السموات والأرض، خلقت لهما أهلاً وسكاناً، فأهل سمواتي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يا موسى بلِّغ عني بني إسرائيل وقل لهم: مَنْ قبِل وصيتي، وأوفى بعهدي، ولم يعصني رقّيته الى رتبة ملائكتي، وأحللته جنتي معهم، وجازيتهم بأحسنِ ما كانوا يعملون، يا موسى قل لبني إسرائيل عني: إني لما خلقت الجِنَّ والإنس والحيوانات ألهمتهم مصالح الحياة الدنيا، وعرفتهم كيفية التصرف فيها لطلب منافعها، والهربِ من مضارها، كلُّ ذلك لما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتمييز والشعور أجمع، فهكذا ألهمت أنبيائي ورسلي والخواصّ من عبادي، وعرّفتهم أمرَ المبدأ والمعاد، والنشأة الأخرى، وبيّنت لهم الطريق وكيفية الوصول إليها، يا موسى قل لبني إسرائيل: يقبلون من الأنبياء وصيتي ويعملون بها، واضمَنْ لهم عني أن أكفِيَهم كلَّ ما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً، إذا أوفوا بعهدي، أوفي بعدهم كائناً من كان من سائر بني آدم، وألحقهم بأنبيائي وملائكتي في الدار الآخرة، دارِ القرار، فقال موسى: يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا مِحَنَ الدنيا ومصائبها وبلاياها، أليس كان خيراً لنا؟ قال: يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرتَ، ولكن لم يعرف حقّها، ولم يحفظ

وصيتي، ولم يوفِ بعهدي، بل عصاني فأخرجته من الجنة، فلما تاب وأنابَ وعدته أن أردّه إليها، وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحدٌ من ذريته إلاّ من قبِلَ وصيتي، وأوفى بعهدي، فلا ينال عهدي الظالمين، ولا يدخل جنتي المتكبرون، لأني جعلتها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين، يا موسى: ادعُ إليّ عبادي وذكّرهم بآلائي، فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك إلا كان خيراً لهم سالفاً وآنفاً، عاجلاً وآجلاً. يا موسى: الويل لمن تفوته جنتي، ويا حسرةً عليه وندامةً حين لا ينفعانه، يا موسى: خلقت الجنةَ يوم خلقت السمواتِ والأرض، وزينتُها بألوان المحاسن، وجعلت نعيم أهلها وسرورَهم روحاً وريحاناً، فلو نظر أهل الدنيا إليها نظرةً من بعيد لم تعجبهم الحياة الدنيا بعدها، يا موسى: هي مذخورةٌ لأوليائي وعبادي الصالحين، تحيتهم يوم يلقونه سلام، طوبىٰ لهم وحسن مآب.

للإنسان من الله هامة

الوصية رقم(١٣١) يا ابن آدم صلِّ أربعَ ركعات في أول النهار أكفِكَ آخِرَه، أخرجه النسائي[١].

يقول الله: يا ابنَ آدم أنّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيتَ بين يديك، وللأرض منك وئيدٌ (يعني صوتاً) ثم جمعتَ ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي[٢] قلتَ: أتصدق، وأنّى أوان الصدقة؟[٣]

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي وعن أبي ذر وأبي الدرداء. رواه الترمذي رقم ٤٧٥ في الصلاة باب ما جاء في صلاة الضحى. ورواه أيضا أحمد في المسند ٦/٤٤٠ باسناد آخر وهو حديث حسن. جا ٩/٤٣٧.

(٢) جمع ترقوة: وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر يميناً وشمالاً، ولكل إنسان ترقوتان، اهـ صاوي على الجلالين.

(٣) الحديث: لم أجده. ومعناه جيد.

يقول الله: يا ابنَ آدم إنـك إن تبذل الفضـلَ خيرٌ لـك، وإن تمسكه شرٌّ لـك، ولا تلامُ عـلى كفـافٍ، وابـدأ بمن تعـول، واليَـد العليـا خـيرٌ من اليـد السفلى[1].

حدثني موسى بن محمدٍ القرظيُّ بمكـة، والضياءُ عبـد الوهـاب بن سكينة ببغداد، عـند اجتماعي به برباطه، وقال: يقـول الله: إذا أحدثَ عبـدي ولم يتوضأ فقد جفاني، وإذا توضأ ولم يصلِّ فقد جفاني، وإذا صلّى ولم يـدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبـه فقد جفـوته، ولست بـربٍ جافٍ، ولست بـرب جافٍ، ولست برب جافٍ[2]

وصية إلهية نافعة في طهارة الجوارح يقول الله: يا أخا المرسلين، ويـا أخا المنذرين يعني سيدنا محمداً ﷺ يُبلغها إلينا عن ربـه عزّ وجـلّ: أن لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة، وألسنٍ صادقة، وأيدٍ نقية، وفروجٍ طاهرة، ولا تدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحدٍ من عبادي عند أحدٍ منهم ظلامة، فإن العبـد ما دام قائماً بين يديّ يصلي، فإني لا أقبل صـلاته حتى يـردّ تلك الظلامـة إلى أهلها، فإذا فعل ذلك، فأكون سمعه الذي يسمع به،وبصره الـذي يبصر به، ويكـون من أوليـائي وأصفيـائي، ويكـون جـاري مـع النبيـين والصـديقـين والشهداء والصالحين في الجنة[3].

وصيـة إلهية في تـوبيخ الـواثب على الـدنيا، قـال الله تعالى: يـا ابن آدم

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم والترمـذي عن أبي أمامـة الباهـلي، رواه مسلم رقم ١٠٣٦ في الزكـاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، والترمذي رقم ٢٣٤٤ في الزهـد باب رقم ٣٢. جـا ١٠/١٣٩.

(٢) الحديث: لم أجده والمعنى طيب.

(٣) الحديث، رواه أبو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس.

رَهَصَتْك[1] الدنيا ثلاثَ رَهَصات: الفقر والمرض والموت، ومع ذلك إنك لوثّاب[2].

وصية ملكية بالتواضع، أوحى الله إلى محمد ﷺ - وعنده جبريل - إن شئتَ نبياً عبداً، وإن شئتَ نبياً ملكاً؟ فنظر إلى جبريلَ، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، قال: فقلت نبياً عبداً، فلو قلت نبياً ملِكاً لسارت الجبال معي ذهباً وفضة[3].

وصية إلهية بتعظيم الأولياء، يقول الله تعالى: من أهانَ لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وفي رواية: فقد آذنته بحرب، وقال: أحبُّ عبادي عندي صاحب النصيحة، وقال تعالى: يا ابنَ آدم: خيري إليك نازلٌ، وشرُّك إليّ صاعد، وأنا أتحبّب إليك بالنعم، وأنت تتبغض إليّ بالمعاصي، وفي كل يوم يأتيني ملك كريمٌ بقبيح فعلك، يا ابنَ آدم ما تراقبني؟ أما تعلم أنك بعيني؟ يا ابن آدم: في خلواتك وعند حضور شهواتك اذكرني وسلني أن أنزعها من قلبك، وأعصمك عن معصيتي، وأُبغضها إليك، وأُيسر لك طاعتي وأحببها إليك، وأُزين ذلك في عينك، يا ابن آدم: إنما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي، لا أن تعصيني وتتولى عني، وأعرض عنك، أنا الغني عنك، وأنتَ الفقير إليّ، وإنما خلقتُ الدنيا وسخرتها لك لتستعدّ للقائي، وتتزود منها لئلا تعرض عني، وتخلد إلى الأرض، واعلم بأن الدار الآخرة خيرٌ لك من الدنيا، فلا تختر غيرَ ما اخترت لك، ولا تكره لقائي فإنه من كَرِه لقائي كرهتُ لقاءه، ومن أحبَّ لقائي أحببت لقاءه[4].

---

(١) أصل الرهص: أن يصيب باطن حافر الدابة شيء يوهنه، أو ينزل فيه الماء من الإعياء، وأصل الرهص شدة العصر، ومنه الحديث: فرمينا الصيد حتى رهصناه أي: أوهناه، اهـ نهاية ابن الأثير.

(٢) الحديث. لم أجده.

(٣) الحديث: مشهور على الألسنة ولم أجده.

(٤) الحديث: أخرجه البخاري في الرقائق باب التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه. جـ١ ٥٤٢/٩.

لله سيفا لا ينام

الوصية رقم (١٣٢) وصية إلهية برغبةٍ ورهبة، رويناها من حديث محمد بن مسلمة بن وضّاح، من أهل قرطبة رحمه الله، قال: قال الله لبني إسرائيل: رغّبناكم في الآخرة فلم ترغبوا، وزهّدناكم في الدنيا فلم تزهدوا، وخوّفناكم بالنار فلم تخافوا، وشوّقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا، ونُحنا عليكم فلم تبكوا، بشّر القاتلين بأن لله سيفاً لا ينام، وهو دار جهنم[١].

مودة من لا يحبك

الوصية رقم(١٣٣) لا تثق بمودة من لا يحبك إلا معصوماً، من صحبك ووافقك على ما تحب، وخالفك فيما تكره فإنما يصحب هواه، ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا، يا معشر المريدين: من أراد منكم الطريقَ فليلقَ العلماء بالجهل، والزهادَ بالرغبة، وأهلَ المعرفة بالصمت. وأوصاني شيخي رحمه الله أولَ ما دخلتُ عليه قبل أن أرى وجهه، فقال لي وقد قلت له: أوصني قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك، فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتك عليّ، فقال رضي الله عنه: هذه همةٌ عالية شريفة يا ولدي: سُدّ الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهّاب، يكلمك من غير حجاب، فعملت على هذه الوصية حتى رأيتُ بركتها، ودخلتُ عليه بعد ذلك فرأى خلعتها عليّ، فقال: هكذا هكذا وإلا فلا لا، ثم قال: امحُ لي ما كتبتَ، وانسَ ما حفِظتَ، واجهل ما علمتَ ولا تقف عندما عرفت، وافنَ دائماً أبداً ما عشت، واتقِ به فيما عملت، واعتصم به فيما أردت، فعملت بها حتى أشرقت عليّ بركتُها، ثم دخلت عليه فقال: إذا فتح لك باب السير فيه فلا تقف معه تحجب عنه، وافنَ عن كل ما يبدو لك منه، وإياك وإفشاء سرّه فصنه، وكن هكذا معه

---

(١) الحديث: لم أجده.

على كلِّ حال، لا تتحدث معه بما قد علمته، فإن في ذلك تضييعَ الوقت، واطلب المزيد كما أمرك في قوله لنبيه ﷺ يأمره وأمّته ﴿وقُلْ ربي زدني علماً﴾[1]، اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحُكم، يقول الله لأبي يزيدَ البسطاميّ: تقرب إليّ بالذِّلة والافتقار، وقال له: اترك نفسَك وتعال.

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: كن كالطير الوحداني، يأكل من رؤوس الأشجار، ويشربُ من الماء القراح[2] إذا جنَّه الليلُ أوى إلى كهف من الكهوف، استئناساً بي واستيحاشاً ممن عصاني، يا موسى آليت على نفسي أني لا أتمم لمدبرٍ من دوني عملاً، يا موسى لأقطعنَّ أمل كل مؤملٍ أمّل غيري، ولأقصِمنّ ظهر من استندَ الى سواي، ولأطيلنّ وحشة من استأنس بغيري، ولأعرُض عمن أحبّ حبيب سواي، يا موسى: إن لي عباداً إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن نادوني أقبلتُ عليهم، وإن أقبلوا عليّ أدنيتُهم، وإن دنوا مني قربْتهم، وإن تقربوا مني اكتنفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حمايَ، وبي يفتخرون، أنا مدبِّر أمورهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولي أحوالِهم، لم أجعل لقلوبهم راحةً في شيء إلا في ذكري، فذكري لأسقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلا بي، ولا يحُطُّون رحال قلوبهم إلا عندي، ولا يستقر بهم القرارُ في الإيواء إلا إليّ.

سر خلق الله للإنسان مناجاة

الوصية رقم(١٣٥) حكي في زمان النبوّة الأولى أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكّر في أمر التكليف والبلوى، ولم يتجه له وجهُ الحكمة في ذلك، وقد أمره الله

---

(١) سورة طه ـ آية ١١٥.

(٢) الماء القراح، بالفتح: الذي لا يشوبه شيء مختار الصحاح.

بالتفكر له ولعباده، فأخذ يناجي ربّه في خلوته بسرِّه ولسانه، فقال: يا رب خلقتني ولم تستأمرني، ثم تميتني ولا تستشيرني، وأمرتني ونهيتني ولم تُخبرني، وسلّطتَ عليّ هوى مُردياً، وشيطاناً مغوياً، وركّبت في نفسي شهواتٍ مركوزة، وجعلتَ بين عينيّ دنيا مزينة، ثم خوفتني وزجرتني بوعيدٍ وتهديد، وقلت ﴿استقم كما أمرتَ﴾ ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيلي، واحذرِ الشيطان أن يغويك، والدنيا لا تغرّنك، وتجنب شهواتك لا ترديك، وآمالك وأمانيك لا تلهيك، واوصيك بأبناء جنسك فدارِهم، ومعيشتك فاطلبها من وجهٍ حلال، فإنك مسؤول عنها إن لم تطلبها، ومسؤول عنها إن طلبتها من غير وجهها، ولا تنسَ الآخرة كما لم تنس نصيبَك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغِ الفساد في الأرض، ولا تُعْرِض عن الآخرة فتخسرَ الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسرانُ المبين، فقد حصلتُ ـ يا رب ـ بين أمورٍ متضادة، وقوىً متجاذبة، وأحوالٍ متقابلة، فلا أدري كيف أعمل، ولا أهتدي أيّ شيء أصنع، وقد تحيرتُ في أموري، وضللت عن حيلتي، فأدركني يا رب، وخذ بيدي، ودلني على سبيل نجاتي، وإلا هلكتُ، فأوحى الله عزّ وجل إليه: يا عبدي ما أمرتُك بشيء تعاونني فيه، ولا نهيتُك عن شيء كان يضرني إن فعلتَه، بل إنما أمرتك لتعلم أن لك ربّاً وإلهاً هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشئك، وحافظك، وصاحبك وناصرك ومعينك، ولتعلم بأنك محتاج في جميع ما أمرتك إلى معاونتي، وتوبتي، وهدايتي، وتيسيري، وعنايتي، ولتعلم أيضاً بأنك محتاج في جميع ما نهيتُك عنه إلى عصمتي وحفظي ورعايتي، وأنك إليّ محتاجٌ في جميع تصرفاتك وأحوالك في جميع أوقاتك، من أمور دنياك وآخرتك، ليلاً ونهاراً، وأنه لا يخفى عليّ من أمورك صغيرٌ ولا كبير، سراً وعلانية، وليتبينَ لك وتعرفَ أنك مفتقر ومحتاج إليّ، ولا بد لك مني، فعند ذلك لا تعرضُ عني، ولا تتشاغل عني، ولا تنساني، ولا تشتغل بغيري، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري، وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك

تسألني، وفي جميع تصرفاتك تخاطِبني، وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني، وتكونُ منقطعاً إليّ من جميع خلقي، ومتصلاً بي دونهم، وتعلمُ أني معك حيثُ ما تكون، أراك وإن لم ترني، فإذا أردتَ هذه كلّها وتيقنت، وبان لك حقيقة ماقلت، وصحة ما وصفت، تركتَ كل شيء وراءك، وأقبلتَ إليّ وحدك، فعند ذلك أُقرِّبك مني، وأوصلك إليّ، وأرفعُك عندي، وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي، في جواري مع ملائكتي، مكرماً مفضلاً مسروراً فرحاً منعماً ملذذاً آمناً، مُبْقى سرمداً أبداً دائماً، فلا تظنّ بي يا عبدي ظنَّ السوء، ولا تتوهم عليّ غير ما يقتضيه كرمي وجودي، واذكر سالفَ إنعامي عليك، وقديمَ إحساني إليك، وجميلَ آلائي لديك، إذ خلقتك ولم تكُ شيئاً مذكوراً، خلقاً سوياً، وجعلت لك سمعاً لطيفاً، وبصراً حاداً، وحواسَّ دراكة، وقلباً ذكياً، وفهماً ثاقباً، وذهناً صافياً، وفكراً لطيفاً، ولساناً فصيحاً، وعقلاً رصيناً، وبنية تامة، وصورة حسنة، وأعضاء صحيحة، وأدوات كاملة،[؟] وجوارح طائعة، ثم ألهمتك الكلامَ والمقال، وعرَّفتك المنافع والمضار، وكيفية التصرف في الأفعال والصنائع والأعمال، وكشفتُ الحجبَ عن بصرك، وفتحتُ عينك لتنظر إلى ملكوتي، وترى مجاريَ الليل والنهار، والأفلاك الدوارة، والكواكب السيارة، وعلمتُك حسابَ الأوقات والأزمان والشهور، والأعوام والسنينَ والأيام، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان، تتصرف فيها تصرفَ المُلّاك، وتتحكم فيها تحكمَ الأرباب، فلما رأيتُك متعدياً جائراً باغياً، خائناً ظالماً طاغياً، متجاوزَ الحدّ والمقدار، عرّفتك الحدود والأحكام، والقياسَ والمقدار، والعدل والإنصاف، والحقَّ والصواب، والخير والمعروف، والسيرة العادلة، ليدوم لك الفضلُ والنِّعم، ويُصرف عنك العذاب والنقم، وغرّضتك لما هو خيرٌ لك وأفضلُ، وأشرفُ وأعزُّ وأكرم، وألذُّ وأنعم، ثم أنت تظنُّ بي ظنونَ السوء، وتتوهم عليّ غير الحق، يا عبدي إذا تعذّر عليك فعل شيء مما أمرتك به، فقل: (لا حولَ

ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم) كما قالت حملة العرش لما ثَقُلَ عليهم حمله، وإذا أصابتك مصيبة فقل: ﴿إنّا لله وإنا إليه راجعون﴾[1] كما يقول أهل صفوتي ومودتي، وإذا زلّت بك القدمُ في مصيبتي فقل ما قال صفيي آدم وزوجتُه: ﴿ربّنا ظلمنا أنفسَنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحَمْنا لنكوننَّ من الخاسرين﴾[2]. وإذا أشكلَ عليك أمرٌ، وأهمّك رأيٌ، أو أردتَ رشداً وقولاً صواباً، فقل كما قال خليلي إبراهيم: ﴿الذي خلقني فهو يهدينِ، والذي هو يُطعمني ويسقين، وإذا مرضتُ فهو يشفينِ، والذي يُميتني ثم يُحيين، والذي أطمَعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، ربّ هب لي حُكماً وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسانَ صدقٍ في الآخرين، واجعلني من ورثةِ جنّة النعيم، واغفر لأبي إنه كان من الضالين، ولا تُخزني يومَ يبعثون، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[3]. وإذا أصابتك مصيبةٌ فقل كما أعلمتُك فيما أنزلته عليكَ من قول يعقوب: ﴿إنما أشكو بثي وحُزني إلى الله، وأعلمُ من الله ما لا تعلمون﴾[4]. وإذا جرت منك خطيئةٌ فقل كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿هذا من عَمَل الشيطان، إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مبينٌ﴾[5]. وإذا صرفتْ عنك معصية فقل كما قال يوسفُ عليه الصلاة والسلام أو صاحبتُه ﴿وما أبرىء نفسي، إنّ النفس لأمارةٌ بالسوء إلا ما رحِمَ ربي، إن ربي غفورٌ رحيم﴾[6]. وإذا ابتلاك الله ببليةٍ فافعل ما ذكر الله عن داود عليه الصلاة والسلام ﴿فاستغفر ربّه وخرَّ راكعاً وأناب﴾[7] وإذا رأيتَ العصاةَ من خلق

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٧.
(٢) سورة الأعراف آية ٣٤.
(٣) سورة الشعراء ـ آية ٧٩ـ٩٠.
(٤) سورة يوسف آية ٨٧.
(٥) سورة القصص آية ١٦.
(٦) سورة يوسف آية ٥٤.
(٧) سورة ص آية ٣٥.

اللهوالخاطئين من عباده، ولم تدرِ ما حكمُ الله فيهم، فقل كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إنْ تُعذِّبْهم فإنهم عبادُك، وإن تغفرْ لهم فإنك أنتَ العزيز الحكيم﴾[1]. وإذا استغفرت الله وطلبتَ عفوه فقل كما قال محمد ﷺ وأنصارُه ﴿ربّنا لا تؤاخِذنا إنْ نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملتَه على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمِّلْنا ما لا طاقةَ لنا به، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا، أنتَ مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[2]. وإذا خفت عواقب الأمور، ولم تدرِ بماذا يُختمْ لك فقل كما يقول الأصفياء ﴿ربنا لا تزغْ قلوبنا بعد إذ هديتَنا، وهبْ لنا من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهاب، ربّنا إنك جامعُ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه إن الله لا يُخلف الميعاد﴾[3].

إذا لم تظلم أحدا فلا تحتاج لدعائي

مع الحسن البصري مع خامس الخلفاء الراشدين

الوصية رقم(١٣٥)

وصية في موعظة، دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة، في يوم حار، وبلال في جيشه وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبدالله: كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إن بيتك لطيبٌ، والجنة أطيب منه، وذكر النار يلهي عنه، قال: فما تقول في القدر؟ قال: على جيرانك[4] أهل القبور فتفكر فيهم، فإن فيهم شغلاً عن القدر، قال: ادعُ لي قال: وما تصنع بدعائي، وعلى بابك كذا وكذا؟ وكلٌّ يقول: إنك قد ظلمتهم، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي، لا تظلم أحداً، ولا تحتاج إلى دعائي.

ومن كلام الحسن البصري: مالي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً؟ أرى أناساً

---

(١) سورة المائدة آية ١١٩.
(٢) سورة البقرة آية ٣٨٦.
(٣) سورة آل عمران آية ٩، ١٠.
(٤) قال: جيرانك نسخة.

ولا أرى أنيساً؟ دخلوا ثم خرجوا، عرفوا ثم أنكروا.

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه عجباً لقوم أُمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحُبِس أولاهم على أخراهم، وهم قعود يلعبون، يا ابن آدم: السكين تحدُّ، والتنور يسجر، والكبش يعتلف، كفى بالتجارِب تأديباً، وبتقلب الأيام عظةً، وبذكر الموتِ زاجراً عن المعصية، ذهبت الدنيا بحال وبالها، وبقيت الأيام قلائد في الأعناق، إنكم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون؟ أتنتظرون المعاينة؟ فكأن قد جاءتكم.

ومن كلام عمر بن عبدالعزيز: إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، فوالله ما بسط أملًا من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه، ولربما كانت بين ذانِك خطفات المنايا، فكم رأيتم ورأينا من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقرُّ عين من وَثِق بالنجاة من عذاب الله ! وإنما يفرح من أمِنَ من الأهوال يوم القيامة ، فأما من لا يداوي كلْماً، أصابه جرحٌ من ناحية أخرى، أعوذ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت[1]، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت،أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنارمنزلةٌ؟وأنكم صائرون إلى أحدهما.

الخلق ليس عبثا

الوصية رقم(١٣٦) ومن وصاياه في مواعظه رضي الله عنه: إن الله عزّ وجل لم يخلقكم عبثاً، ولم يدع شيئاً من أموركم سدى، إن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم والقضاء

(١) انكدرت النجوم: أسرعت وانقضت، مختار الصحاح.

بينكم، فخاب وخسرَ من خرج من رحمة الله عزّ وجل، وحرم الجنة التي عرضُها السموات والأرض، فاشترى قليلاً بكثير، وفانياً بباقٍ، وخوفاً بأمن، ألا ترون أنكم في أسلاب[1] الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك، حتى تُرَدُّ إلى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى، قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع[2] من الأرض، ثم تدعوه غير ممهدٍ ولا موسدٍ، قد خلعَ الأسباب، وفارق الأحباب وسكن التراب، وواجه الحساب، مرتهناً بعمله، فقيراً إلى ما قدّم، غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وأيمُ الله إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحد منكم حاجةٌ إلا أحببتُ أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عنده إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وأيمُ الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله كتابٌ ناطق وسنةٌ عادلة حثّ فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته، ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس.

برسول الله أسوة حسنة

الوصية رقم(١٣٧) عليك بالاقتداء برسول الله ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله، إلا ما نصّ عليه أنه مختص به مما لا يجوز لنا أن نفعله، أو خاطب به أحداً من الناس أن يفعله، ونهى غيره عن ذلك.

بَزَق رجلٌ في النيل بحضور ذي النون المصري، فقال: تعِستَ يا بغيضُ، تبزق على نِعَم الله.؟ وكان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة

---

(١) جمع سلب: وهو ما سلب.

(٢) الصدع: الشق. مختار الصحاح.

النِّعم الإلهية التي أحوجنا إليها فلذلك حكم عليه حالُه فنطق بما نطق به، وكان شيخنا أبو مدين، وقع بينه وبين أبي الحسن بن الدقاق، وكان ابن الدقاق ممن يغشاه ويحضر مجلسه، فانقطع عن حضور مجلسه لأجل ذلك، فاستدعاه الشيخ وقال له: يا أبا الحسن: ما شأنك انقطعت؟ إن شيطاني خاصم شيطانك، ونحن على وُدِّنا كما كنا، ما تغيرنا، ولا ندخل أنفسنا بينهما، فتذكر أبو الحسن، وقبِلَ وصية الشيخ، واستغفر الله ورجع الى حضور مجلسه.

البلاء نعمة حسن السريرة حسن والعلانية

الوصية رقم(١٣٨) وصية بمكاتبة، اعتلّ رجل من إخوان ذي النون فكتب إليه أن يدعو له، فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم؟ واعلم يا أخي أن العلة مجازاة يأنس بها أهل الصفاء، والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء، ومن لم يعدَّ البلاء نعمةً فليس من الحكماء، ومن لم يأمن الشفيقَ على نفسه فقد أمِنَ أهل التهم على أمره، فليكن معك يا أخي حياءٌ يمنعك عن الشكوى والسلام.

وقال بعضهم: كتبت إلي تسألني عن حالي، فما عسيتُ أن أخبرك به من حال، وأنا بين خلالٍ موجعاتٍ، أبكاني منهن أربعٌ: حبُّ عيني للنظر، ولساني للفضول، وقلبي للرياسة، وإجابتي إبليس عدوَّ الله فيما يكره الله، وأقلقني منها أربعٌ: عينٌ لا تبكي من الذنوب المنتنة، وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة، وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا، ومعرفة كلما قلّبتها وجدتني بالله أجهل، وأضناني منها أربع: أني عدمت خير خصال الإيمان: الحياء، وعدمت خير زاد الآخرة: التقوى، وأفنيت أيامي بمحبة الدنيا، وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً.

وودعه إنسان فقال له: قل لأبي يزيد إلى متى النومُ والراحة وقد جازتِ

القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجلُ من ينامُ الليل كلّه ثم يصبح في المنزل قبل القافلة، فقال ذو النون: هنيئاً له، هذا كلامٌ لا تبلغه أحوالنا. وكان العلماء يكتبُ بعضهم إلى بعض بثلاث: من أحسن الله سريرته أحسنَ الله علانيته، ومن أحسنَ آخرته أحسنَ الله له أمرَ دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس. وكتب رجلٌ إلى عالمٍ: أثبتَ العلمُ الحجةَ، وقطعَ عمودَ الشك والشبهة، وشغلتُ أيام عمري بطلبه، ولم أدركْ منه ما فاتني، فكتب إليه الرجل: العلم نورٌ لصاحبه، ودليلٌ على حظّه، ووسيلةٌ إلى درجة السعداء، فكتب إليه العالم: أبليتُ إليه في طلبه جدَّ الشباب، فأدركني حين علمتُ الضعف عن العمل به، ولو اقتصرتُ منه على القليل كان لي فيه مُرشداً إلى السبيل. وكان شيخنا أبو عبدالله المجاهدُ، وشيخنا تلميذه أبو عبدالله بن قسوم نائبه في التدريس والإمامة، لا يبرحان إلا والورقُ والمدادُ والقلمُ معهما، يكتبان كلَّ يوم ما قُدِّر لهما من العلم رغبة أن يحشرا غداً عند الله من طلاب العلم.

إلا ما كان لله

الوصية رقم(١٣٩) دخل رجل على عبدالملك بن مروان، ممن كان يُوصف بالفضل والأدب، فقال له عبدالملك بن مروان: تكلمْ، قال له: بمَ أتكلم، وقد علمتُ أن كلَّ كلامٍ يتكلم به المتكلمُ وبالٌ عليه إلا ما كان لله؟ فبكى عبدالملك، ثم قال: يرحمُك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصَوْن، فقال الرجل: يا أميرَ المؤمنين إن لِلناس في القيامة جولةً لا ينجو من غُصص مرارتها، ومعاينةِ الرّدى فيها إلا من أرضى الله بسخطِ نفسه، قال: فبكى عبدالملك، ثم قال: لا جَرَمَ والله لأجعلنّ هذه الكلماتِ مثالاً نُصبَ عيني ما عشت أبداً.

عند أمير صالح

الوصية رقم(١٤٠) (وصية) مشفقٍ ناصح عند أميرٍ صالح، لما قدم عمرُ بن هُبيرة العراق والياً، أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيتٍ، فكانا فيه شهراً أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما ذاتَ يوم فقال: "إن الأميرَ داخلٌ عليكما، فجاء عمر متوكئاً على عصا له، فسلم ثم جلس معظماً لهما، فقال: إن أمير المؤمنين يزيد ابن عبدالملك، يكتب إليّ كُتُباً، أعرفُ أن في انفاذها الهلاكَ، فإن أطعتهُ عصيتُ الله، وإن عصيتُه أطعتُ الله، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو أجبِ الأمير، فتكلم الشعبي بكلامٍ يريد به ابقاءَ وجهٍ عنده، فقال ابن هبيرة: ما تقول أنتَ يا أبا سعيدٍ؟ فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعتَ، قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك مَلَكٌ من ملائكة الله تعالى فظٌّ غليظٌ لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعةِ قصرك الى ضيق قبرك، يا عمرُ بن هبيرة: إنْ تتقِ الله يعصمك من يزيدَ بن عبدالملك، ولن يعصمك يزيدُ بن عبدالملك من الله إن أطعته وعصيت الله، يا عمرُ بن هبيرة: لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبحِ ما تعمل في طاعة يزيدَ بن عبدالملك فيغلقَ باب المغفرة دونك، يا عمرُ بن هبيرة: لقد أدركتُ ناساً من صدر هذه الأمة كانوا عن الدنيا ـ وهي مقبلةٌ ـ أشدَّ إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمرُ بن هبيرة: إني أخوِّفُك مقاماً خوّفكه الله، فقال ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخافَ وعيد**﴾[1] يا عمرُ بن هبيرة: إن تكُ مع الله في طعته كفاك يزيدَ بن عبدالملك، وإن تكُ مع يزيدَ بن عبدالملك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمرُ بن هبيرة، وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما

---

(١) سورة إبراهيم ـ آية ١٤ .

وجوائزهما، فأكثر جائزةَ الحسن ونَقَصَ جائزةَ الشعبي، فخرج الشّعبي إلى المسجد، فقال: أيها الناس مَنِ استطاع منكم أن يُؤثر الله على خلقه فليفعلْ، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسنُ منه شيئاً فجهلتُه، ولكني أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

قلت[1] وكتبتُ إلى عزّالدين كيكاووس سلطانِ بلاد الروم، جوابَ كتابٍ كتبَ به إليّ من أنطاكية، وكنتُ مقيماً بملطية:

كتبتُ كتابي والدموعُ تسيلُ ... وما لي إلى ما أرتضيه سبيلُ
أريد أرى دينَ النبي محمدٍ ... يقامُ ودين المبطلين يزولُ
فلم أرَ إلّا الزورَ يعلو وأهلُه ... يعزّون، والدينُ القويمُ ذليلُ
فيا عزّ دينِ الله سمعاً لناصحٍ ... شفيقٍ فنُصّاح الملوك قليلُ
وحاذرْ بتأييد الإله بطانةً ... تشيرُ بأمرٍ ما عليه دليلُ
لينمى بيتُ المال والبيت ساقط ... فجُدْ وتوكّلْ فالإله كفيلُ

التفاتات ولاة الأمور

الوصية

رقم (١٤١) وصية بمراقبة الألفاظ المسموعة. بلغني أن عمرَ بن عبدالعزيز لما ولي الخلافةَ، أخذ أقطاع أمير كبير، كان أقطعه إياها سليمانُ بن عبدالملك، والوليدُ بن عبدالملك، فلما مات عمرُ بن عبدالعزيز وولي يزيدُ بن عبدالملك، جاءالأمير إليه فقال له: إن أخاك سليمانَ أمير المؤمنين، والوليدَ أقطعاني شيئاً قطعه عني أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، فأريد منك أن

---

(١) القائل هو الشيخ الأكبر: مؤلف هذا الكتاب ـ رضي الله تعالى عنه وقدس سره.

تـردّه عليّ، فقـال: لا أفعل، قـال: ولِمَ؟ قال: لأن الحق فيهـا فعـل عمـر بن عبـدالعزيـز، قال: وبِمَ ذلـك؟ قال: لأن أخـويّ أحسنا إليـك وذكرتهـما وما دعوتَ لهما، وعمر بن عبدالعزيز أساءَ إليك وذكرته فترضيتَ عنه، فعلمتُ أن عمر آثر الله على هواه فيك، وأن سليمان بن عبدالملك، والوليـد آثرا هـواهما عـلى حق الله، فـوالله لا رأيتَــه مني أبـداً، وهــذا من أحسن مـا يحكى من التفاتات ولاةِ الأمور.

حكمة بالغة

الوصية رقم(١٤٢) وصية في موعظة. قال سعيد بن سليمان: كنت بمكة وإلى جانبي عبدالله ابن عبدالعزيز العُمري، وقـد حج هـارون الرشيـد، وقال لـه إنسان: يـا أبا عبدالله هو ذا أمير المؤمنين يسعى وقد أُخلي له المسعى، قال العُمري للرجل: لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنت عنه غنياً، ثم قام فتبعتـه، فأقبـل هارون الرشيد من المَرْوة يريد الصّفا، فصاح به: يا هـارون، فلما نظر إليـه، قال: لبيك يا عُمري ارقَ الصفا، فلما رقاها قال: ارمِ بـطرفك إلى البيت: قال هارون: قـد فعلت، قال: كم هـم؟ قـال: ومن يُحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلُهم؟ قال: خلقٌ لا يحصيهم إلا الله، قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسأل عن خاصّة نفسـه، وأنت وحدك تُسـأل عنهم كلهم، فانـظر كيف تكـون. قال: فبكى هـارون الرشيـد وجلس، وجعل يُعـطونه منـديـلاً للدمـوع، فقال العُمـري: وأُخرى أقـولها؟ قـال: قل يـا عم، قال: والله إن الـرجل ليسـرف في مالـه فيستحق الحجـر عليـه، فكيف بمن أسـرفَ في مـال المسلمين، ثم مضى وهارون يبكي، قال البَغَوي: فبلغني أن هـارونِ الرشيـد كان يقول: إني لأحب أن أحـج كلَّ سنـة، ما يمنعني إلا رجـلٌ من ولدَ عمـر يُسمعني ما أكره.

الانسان لا يقنع بالقليل ولا يشبع بالكثير

الوصية رقم(١٤٣) وصية نبوية في موعظة إلهية، قال رسول الله ﷺ : (يقـول الله تعالى: يـا ابن آدم كـلّ يوم نـرزقـك وأنت تحـزن، وينقصُ كـل يـوم من عمـرك وأنتَ تفرح، أنت فيما يكفيك وتطلب ما يطغيك، لا بقليلٍ تقنع ولا بكثير تشبع)[1].

موعظة العلماء للأفراد مع أبي جعفر المنصور

الوصية رقم(١٤٤) حجّ أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، فبينما هو يطوف بالبيت ليلاً إذ سمع قـائلاً يقـول: (اللهم إنا نشكـو إليك ظهـور البغي والفساد في الأرض، ومـا يحول بين الحق وأهله من الطمع) فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجـد، ثم أرسل إلى الرجل، فصلى ركعتين، ثم استلم الركنَ، وأقبل مع الـرسول، فسلم عليه بالخلافة، فقال له المنصـور: ما الـذي سمعتك تـذكر؟ قـال: إن أمّنتني يا أميرَ المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أصـولها، وإلا اقتصـرت على نفسي ففيها لي شغلٌ شاغل، قال: فأنت آمنٌ على نفسك، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله استـرعاك أمـرَ عباده وأمـوالهم، فجعلت بينك وبينهم حجابـاً من الجص والآجر، وأبواباً من الحديد، وحرّاساً معهم سلاح، ثم سجنت نفسك منهم، وبعثت عمـالك في جبـاية الأمـوال وجمعها، وأمـرت أن لا يدخـل عليك من الناس إلا فلانٌ وفلانٌ، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك، ولا أحدَ إلاّ وله في هذا المال حقٌ، فلما رآك النفرُ ـ الذين استخلصتهم لنفسـك، وآثرتهم على رعيتك، وأمـرت أن لا يُحجبوا دونـك ـ تجبي الأموالَ وتجمعهـا، قالـوا: هذا خانَ الله، فـما لنا لا نخـونُه، فـأتمروا أن لا يصـل اليك من علم أخبـارِ الناس إلا ما أحبوه، ولا يخرجَ لك عاملٌ إلا خوّنوه عندك وعـابوه حتى تسقط

---

(١) الحديث: رواه ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر. كذا في الجـامع الصغـير في ابن آدم، ورواه ايضا البيهقي عن أبي هريرة، قال المناوي ورواه أيضاً الخطيب وأبو نعيم وابن عساكر وابن النجـار في سنده كذاب متهم بالوضع. ولكن معناه صحيح. كشف ١/٣١.

منزلته عندك، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناسُ وهابوهم، وصانعوهم ليصلوا الى ظُلم من دونهم، وكان أولَ من صانعهم عمالُك بالهدايا والأموال ليبقوا بذلك عمالَك على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والأموال من رعيتك ليصلوا الى ظلم من دونهم، فامتلأت بلادُ الله بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القومُ شركاءَك وأنت غافلٌ، فإن جاء مُتظلم حِيْلَ بينك وبينه، وإن أراد رفعَ قضيةٍ إليك وجدك قد نهيتَ عن ذلك، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مصالحهم، فإن جاء ذلك المتظلم وبلغَ بطانتك خبرُه سألوا صاحبَ المظالم أن لا يرفعَ مظلِمته إليك، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به، ويشكو ويستغيث ويدفعه، فإذا جهد وخرج ظهر لك وصرخ بين يديك فضُرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره، وأنت تنظرُ فلا تُنكر، فما بقاء الإسلام على هذا؟ قال: فبكى المنصورُ بكاءً شديداً وقال: ويحك، كيف أحتالُ لنفسي، قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم وهم: العلماءُ وأهلُ الديانة، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم يشدوك. فقال: قد بعثتُ إليهم فهربوا مني، فقال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتحْ بابك، وسهل حجابك، وانصر المظلومَ واقمعِ الظالمَ وخذِ الفيء والصدقات على وجوهها، وأنا ضامنٌ عنهم أنهم يأتونك ويساعدونك على صلاح الأمة، ثم أذّن بالصلاة فقام يصلي، وعاد إلى مجلسه ثم طلب الرجلَ فلم يجده.

إصلاح الآخرة

الوصية رقم (١٤٥) رويناها من حديث الهاشمي يُبلغ بها النبي ﷺ أنه قال: (أيها الناس أقبلوا على ما كُلفتموه من إصلاحِ آخرتكم، وأعرضوا عمّا ضُمِنَ لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارحَ غذيتْ بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم التماسَ مغفرته، واصرفوا هممكم الى التقرب إليه بطاعته،

إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فإنه نصيبه من الآخرة، ولا يدركُ منها ما يـريد، ومَنْ بـدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبُه من الدنيا وأدركَ من الآخرة ما يريد)[1].

اعتذار مقبول

الوصية منظومة من ذي علم في الاعتذار:

رقم (١٤٦) إذا اعتـذر الصديقُ إليـك يـوماً ... من التـقصـير عـذرَ أخٍ مـقـرِّ

فصُنْـهُ من عِتـابِـك واعفُ عنـه ... فـإن العفـوَ سيمـةُ كـلِّ حُـرِّ

كن أكن. أنفق أنفق عليك

الوصية يقـول الله تعالى: يـا ابن آدم إذا ذكرتني شكـرتني، وإذا نسيتني كفرتني،

رقم (١٤٧) وقال: انفق أنفق عليك، أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه، لا أجمعُ علـى عبدي خـوفـين، ولا أجمـعُ لـه أمنين، إن خـافني في الـدنيـا لم يخفْ في الآخرة، وإن أمنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة. أين المتحابون بجلالي، اليومَ أظلهم في ظلّي. أنا عندَ ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني. يقـول الله لأهونِ أهل النار عـذاباً: لـو أن لك مـا في الأرض من شيء كنتَ تفتدي بـه؟ قال: نعم قال: فقد سألتُك ما هو أهونُ من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئـاً فأبيتَ إلا الشـركَ. الكبريـاءُ ردائي، والعظمـةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلتُه النار)[2]. يقول الله لموسى: إن هذا دينٌ أرتضيه لنفسي،لا يُصلحه إلا السخاء وحسنُ الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه، يا موسى إنـك لن تتقـربَ إليّ بشيء أحبّ إلي من الرضـا بقضائي، ولن تعمـلَ عملاً أحفظَ لحسناتك من النظر في أمورك، يا موسى: لا تتضرعْ إلى أهل الـدنيا فـأسخطَ عليـك، ولا تجُدْ بـدينك لـدنيا فـأغلقَ عليك أبـواب رحمتي، يا مـوسى: قل

---

(١) الحديث: لم أجده ومعناه خير.

(٢) الحديث: الحديث بهذا اللفظ الكامل لم أجده ومفرداته خيره ومعانيه حسنة.

للمؤمنين التائبين: أبشروا، وقل للمؤمنين المُختبين أخبتوا[1] وأحسنوا. أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر. من رجا غيري لم يعرفني، ومن لم يعرفني لم يعبُدني، ومن لم يعبدني فقد استوجبَ سخطي، ومن خاف غيري حلّت به نقمتي، يا موسى: خف ثلاثةً: خفني، وخفْ نفسك، ! وخفْ من لا يخافني (أي يقول: خذ حذرك من هؤلاء). يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بِقراب الأرض خطايا ثم لقينني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقرابها مغفرة. إذاقال العبدُ **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** يقول الله: ذكرني عبدي، وإذا قال **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** يقول الله: حمدني عبدي، وإذا قال**﴿الرحمن الرحيم﴾** يقول الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: **﴿مالك يوم الدين﴾** يقول الله: (مجّدني عبدي وفوّض إليّ عبدي، وإذا قال: **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال **﴿إهدنا الصراط المستقيم صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** يقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال (آمين) يقول الله: قد أجبتُ. الإخلاصُ سرٌّ من أسراري استودعتُه قلبَ من أحببتُ من عبادي، إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا (يعني عينيه) لم يكن له جزاءُ عندي إلا الجنة. قال رسول الله ﷺ (يخرج في آخر الزمان رجالٌ يطلبون الدنيا بالدين، ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: أبي يغترون، أم عليّ يجترؤون؟ فبي حلفت لأُتيحنّ على أولئك منهم فتنة تدع الحكيم منهم حيران)[2]،

---

(١) الأخبات: الخشوع ـ يقال: أخبت لله تعالى: أي خشع له سبحانه اهـ مختار الصحاح.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي رقم ٢٤٠٦ في الزهد باب رقم ٦٠ وهو حديث حسنٌ عن أبي هريرة وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم. جا ٤/٥٤٤.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُجاء يوم القيامة بابن آدم كأنه بذج[1] فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول الله تعالى له: أعطيتُك وخوّلتُك وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: جمعته وثمرته أكثر ما كان، فأرجعني آتِك به، فإذا به عبدٌ لم يُقدّم خيراً، فيمضي به إلى النار)[2] يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدُّ فقرك، وإلا تفعلْ أملأ يديك شغلاً ولم أسدّ فقرك. يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طولِ ما ترجو مِنْ أملك، وقصّرت منْ حرصك وحيلك، وابتغيت الزيادة في عملك، وإنما تلقى الندم لو قد زلت بك القدم، وأسلمك الأهل والحشم، وانصرف عنك الحبيب، وأسلمك الغريب فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة. وقال الله تعالى (إنما أتقبّل الصلاةَ ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطلْ بها على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحِم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، واستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة علماً، ومَثَله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة)[3]، (يا موسى إني أعلمك خمس كلمات هنّ عماد الدين: ما لم تعلم أنْ قد زال مُلكي فلا تترك طاعتي، وما لم تعلم أن خزائني نفدت فلا تهتم برزقك، وما لم تعلم أنّ عدوك قد مات فلا تأمن فجأته ولا تدع محاربته، وما لم تعلم أني قد غفرت لك فلا تَعِبِ المذنبين، وما لم تدخل جنتي فلا تأمن مكري).

قال رسول الله ﷺ (قال موسى: يا ربّ علمني شيئاً أذكرُك به وأدعوك

---

(١) قوله بذج. البذج: (محركة) ولد الضأن اهـ.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك: رواه الترمذي رقم ٢٤٢٩ في صفة القيامة باب رقم ٧ واسناده ضعيف.

(٣) الحديث: لم أجده ومعناه جيد وصحيح.

به، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب كلُّ عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنتَ، إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبعَ وعُمارهن، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)[1].

يقول الله لمحمد ﷺ (يا محمد أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحدٌ إلاّ صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحدٌ إلا سلمت عليه عشراً)[2]. وقال الله (وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين فيّ)[3]، يقول الله عزّ وجل (يا دنيا اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك)[4] وقال الله (إن عبداً أصلحت له جسمه، ووسّعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم)[5] وقال رسول الله ﷺ (إن الله سيُخلِص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كلُّ سجلٍ مثلُ مد البصر، ثم يقول له: أتنكرُ من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفَلَكَ عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندي حسنة، فإنه لا ظلمَ عليك اليوم، فيخرج بطاقةً فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضرْ وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلمُ، قال: فيوضعُ السجلاتُ في كِفّة، والبطاقةُ في كِفّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله

---

(١) الحديث: أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم وصححاه. كشف ٢٢٧/٢.

(٢) الحديث: لم أجده.

(٣) الحديث: طرف من حديث أخرجه الموطأ عن أبي ادريس الخولاني «عائذ الله» رواه الموطأ رقم ٩٥٣/٢ في الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله. واسناده صحيح وصححه الحاكم وابن عبدالبر وغيرهما. جا ٥٥١/٦.

(٤) الحديث: مشهور على ألسنة المتصوفة ولم أجده.

(٥) الحديث:

شيء)(١) وقـال رسول الله ﷺ: (يـوقفون ـ يعني المـلائكـة ـ بـين يـدي الله، ويشهـدون ـ يعني للعبد ـ بـالعمل الصـالـح المخلص لله، فيقـول لهم: أنتم الحفـظةُ على عمـل عبدي، وأنـا الرقيب عـلى ما في قلبـه، إنه لم يُـردني بهـذا العمل، وأراد به غيري فعليه لعنتي)(٢).

وقـال رسول الله ﷺ: (١) (إن الله إذا كـان يومُ القيـامة ينـزل إلى العبـاد ليقضي بينهم، وكـلُّ أمةٍ جـاثيةٌ، فـأوّلُ من يُدعى بـه: رجلٌ جمـع القرآن، ورجلٌ قُتِل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله للقارىء: ألم أعلّمـك ما أنزلتُه على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملتَ فيما علِمتَ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وأطرافَ النهار، فيقول الله له: كـذبتَ، وتقول لـه الملائكة: كذبتَ، ويقول الله له: إنما قـرأتَ ليقال: فـلانٌ قارىء، فقـد قيل ذلـك، ويؤتى بصاحبِ المـال، فيقول الله لـه: ألم أوسّع عليـك حتى لم أدعْك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتُك؟ قال: كنتُ أصلُ الرَّحِمَ، وأتصدقُ، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكـة له كـذبتَ، ويقول الله له: بـل أردت أن يقال: فـلانٌ جوادٌ، فقيـل ذلك، ويؤتى بـالذي قُتِـل في سبيـل الله، فيقـول الله: فيم ذا قتلتَ؟ فيقـول: أمـرتَ بـالجهـاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قُتلت، فيقول الله له: كـذبتَ، وتقول المـلائكة لـه: كذبت، ويقول الله له: بل أردتَ أن يقال: فلانٌ جريءٌ فقد قيل ذلك)، ثم ضرب رسول الله ﷺ عـلى ركبة أبي هـريرة ثم قـال: (يا أبـا هريـرة: أولئك الثلاثةُ أوّلُ من تُسعر بهم النار يـوم القيامـة) فكان أبـو هريـرة إذا حدث بهـا الحديث يُغشى عليه، ويتلو قول الله تعالى ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربّـه فليعملْ**

---

(١) الحـديث أخرجـه الترمـذي عن عبدالله بن عمـرو بن العاص. رواه الترمذي رقم ٢٦٤١ في الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. وإسنـاده صحيح ورواه أيضـاً ابن ماجه وابن حبان وغيرهم. جا ١٠/٤٥٨.

(٢) الحديث: لم أجده.

عملاً صالحاً، ولا يُشرك بعبادةِ ربّه أحداً﴾[٢].

كـم تمنيتُ فـأحسنتُ المقـالْ ... وفـعلتُ الخـيرَ جـهْـراً ليُـقـالْ
وإذا واسيـتُ يـومـاً سـائـلاً ... أطلبُ الشكـرَ عليهـا ليقـالْ
وإذا أقـتُـلُ يـومـاً كـافـراً ... أطلبُ الـذكـر عليـه ليُقـال
وإذا مـا صُمتُ يومـاً صائـماً ... اشتكي الجـوعَ عشيّـاً ليُـقـالْ
وإذا صليتُ والنـاسُ معـي ... أتـأنّى في صـلاتي لـيُـقـالْ
وأنـا في خـلوتي أنـقـرُهـا ... حيث لا أخشى عليهـا أن يُقـالْ
عـمـلي عُجـبٌ وصنـعٌ ورِيـا ... يـا لهـا من عثـراتٍ لا تُقـال
فـاهجُـروني واطـردوني عنكم ... إنّ أحمـالي وأوزاري ثِـقـالْ
نـسـألُ الله تـعـالى تـوبـةً ... خـالِصَ الصدقِ لـه لا ليقـالْ

عظة القبر وكلامه مع عمر بن عبدالعزيز

الوصية رقم(١٤٨) وصية اعتبار لأحد الأبرار، بلغني أن عمـر بن عبدالعـزيز، شيّع جنازة، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابُه ناحيةً عن الجنازة، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، جنازة أنت وليّهـا تأخـرت عنها وتـركتها؟ فقـال: نعم ناداني القبـرُ من خلفي: يا عمـر بن عبدالعـزيز، ألا تسـألني ما صنعتُ بـالأحبـة؟ قلت: بلى قال: أحرقت الأكفان، ومزّقت الأبدان، ومصصتُ الـدم، وأكلت اللحم، قال: ألا تسألني ما صنعت بالأوصـال[٣]؟ قلت: بلى، قـال: نزعت الكفّين من الذراعـين، والذراعـين من العضُدين، والعضُـدين من الكتفين، والوَرِكين[٤] من الفخذين، والفخذين من الرُّكبتين، والركبتين من السـاقين،

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي . جا ٥٣٨/٤.
(٢) سورة الكهف ـ آية ١١٠.
(١) الأوصال: المفاصل ـ مختار الصحاح.
(٢) الورك: ما فوق الفخذ ـ وهي مؤنثة ـ مختار الصحاح.

والساقين من القدمين، ثم بكى عمر ثم قال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليلٌ، وعزيزها ذليل، وغنيُّها فقير، وشابُّها يهرم، وحيُّها يموت، فلا يغرّنكم إقبالُها مع معرفتكم بسرعةِ إدبارها، فالمغرور مَن اغترّ بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشقّوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أياماً يسيرة؟ غرّتهم بصحتهم فاغتروا بنشاطهم، فركبوا المعاصي، إنهم كانوا والله في الدنيا مغبوطين بالأموال، على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه، ماذا صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أسرّة ممهدة، وفرش منضودة، بين خدمٍ يخدمون، وأهلٍ يكرمون وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ومرّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، وأسأل غنيهم ما بقي من غناه، واسأل فقيرهم ما بقي من فقره، واسألهم عن الألسنِ التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة: ما صنع بها الديدان؟ مَحَت الألوانَ، وأكلت اللحمان[1]، وعفّرتِ الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفَقار، وأبانت الأحشاء، ومزقت الأشلاء[2] وأين حُجّابهم ونوابُهم، وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكنونهم؟ والله ما فرشوا فراشاً، ولا وضعوا هنالك متكأ. ولا غرسوا لهم شجراً، ولا أنزلوهم من اللحد قِراراً، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمّة ظلماءَ؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة، فكم من ناعمٍ وناعمة أصبحوا ووجوههم باليةٌ، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزقة، وقد سالت الحدقات على الوجنات، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً، حتى عادت العظام

(١) اللحمان: جمع لحم ـ بالضم.
(٢) أشلاء الانسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرق. مختار الصحاح.

رمياً، قد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السّعة إلى المضائق، وقد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، الغضُّ الناضر فيه، المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غداً: ما الذي غرّك من الدنيا، هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك المطّرد؟ وأين ثمرتك الحاضرة يُنعها، وأين رقاق ثيابك، وأين طيبك، وأين بخورك، وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسك دَخَلاً، وهو يرشح عرقاً، ويتلظى عطشاً، يتقلب في سكراتِ الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجلّ ما لا يمتنع منه، هيهات يا مُغمض الوالدِ والأخِ والولدِ وغاسله، الأمر الأجلّ ما لا يمتنع منه، هيهات يا مُغمض الوالدِ والأخِ وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه في القبر وراجعاً عنه، ! ليت شعري : كيف كنت على خشونة الثرى؟ ليت شعري: بأي خدّيك يبدأ البلى، وأيُّ عينيك سالت أوّلاً؟ يا مجاور الهلكات، صرت في محل الموتى، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا، وما يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم تمثل ناظماً:

تُسرُّ بما يفنى وتُشغل بالمُنى ... كما اغترَّ باللذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلك نومٌ والرّدى لك لازمُ
وتعمل شيئاً سوف تكره غِبَّه[1] ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

ثم انصرف، فما بقي بعد ذلك إلا جمعة ثم مات رضي الله تعالى عنه، ومن نظمنا في ذلك:

شابَ فوداي[2] وشبّ الأملُ ... ومضى العمرُ وجاء الأجلُ

(١) غب كل شيء ـ بالكسر: عاقبته. مختار الصحاح.
(٢) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذنين الى الأمام، والشعر الذي عليه، يقال: بدا الشعر بفوديه.

عسكرُ الموتِ لنا منتظرٌ فإذا صرنا إليهم رحلُوا
ليت شعري، ليت شعري هل دَرَوا أنني بعدهم مُنتقلُ؟
في فنونِ اللهو أفنى طرباً غافلاً عمّا له أنتقلُ

ولنا في هذا المعنى أيضاً:

ضمّتْ لنا آرامُنا[1] الآراما[2] فكأنّ ذاك العيشَ كان مناما
يا واقفينَ على القبور تعجّبوا من قائمينَ غدوا به ونياما
تحت التراب مُوسّدين أكفَّهم قد عاينوا الحسناتِ والإجراما
لا يُوقظون فيخبرون بما رأوا لا بُدّ من يومٍ تكونُ قياما

ورأيت على قبرٍ أبياتاً، وهي على لسان صاحبه:

يا أيها الناس كان لي أملُ قصّر بي عن بلوغه الأجلُ
فليتقِ الله ربّه رجلُ أمكنه في حياته العملُ
ما أنا وحدي كما نُقلتُ تَرَوا كلٌّ إلى مثله سينقِلُ

ورأيت أيضاً مكتوباً على قبرٍ:

يا مَنْ بدنياه اشتغل وغرّه طولُ الأملْ
ولم يزل في غفلة حتى دنا منه الأجلْ
الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العملْ

ورأيت مكتوباً على قبر أم ابن البسبلي، وكان ابنها من أصدقائي، وقد علاّه، وشيّده، وأنفق على بنائه مالاً كثيراً، فكتب شخصٌ من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورةِ الحال، وهي:

---

(١) هي: مجمع الحجارة، وأراد هنا: القبور.
(٢) أي الأشخاص ـ وقصد بذلك الجناس.

أرى أهل القصور إذا تُوفُّوا بنوا تلكَ المقابر بالصخورِ
أبوا إلاّ مباهاةً وفخراً على الفقراء حتى في القبورِ
فإن يكن التفاضلُ في ذُراها فإنّ العدل منها في القُعورِ
لعمر أبيهم لو أبرزوهم لما علموا الغنيَّ من الفقيرِ
ولا عرفوا العبيدَ من الموالي ولا عرفوا الإناث من الذكورِ
ولا البدن الملبّس ثوب صوفٍ ولا البدن المنعّم في الحريرِ
إذا ما مات هذا ثمّ هذا فما فضلُ الغني على الفقير؟

وكان على قبرٍ مكتوباً بمدينة سلا منقطع التراب بيتان على لسانِ صاحب القبر:

ولقد نظرتَ كما نظرتُ ولقد نظرتُ فما اعتبرتُ
فانظرْ لنفسك سيدي قبلَ الحصولِ كما حصلتُ

الرضا عن الله والغنى عما في أيدي الناس

الوصية رقم (١٤٩) وصية سنية من ذوي همة علية:

لا تضرعنّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مضرٌ منك بالدِّينِ
واسترزق الله رزقاً من خزائنه فإنما هو بين الكاف والنونِ

وفي هذا المعنى قال أبو حازم الأعرجُ لبعض الخلفاء، وقد سأله الخليفة ما مالُك يا أبا حازم؟ فقال: الرضا عن الله، والغنى عن الناس:

للناسِ مالٌ ولي مالانِ ما لهما إذا تحارسَ أهلَ المال حرّاسُ
مالي: الرضا بالذي أصبحت أملِكه وما ليَ: اليأسُ مما يملك الناسُ

قال له خاله هشام بن عبدالملك لما ولي البحرين: ما طعامك يا أبا حازم؟ قال الخبز والزيت، قال: أفلا تسأمُها؟ قال: إذا سأمتُها تركتها حتى أشتهيها.

لا تدري

الوصية رقم(١٥٠) وصية إلهية مذكّرة ﴿ما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إنّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾[1].

وما هذه الأيام إلاّ معارةٌ فما استطعْتَ من معروفها فتزودِ
فإنك لا تدري بأية بلدةٍ تموت وما يحدثُ الله في غدِ
يقولون: لا تبعد ومن يكُ بعده ذراعين من درب الأحبةِ يبعُدِ

وصية امرأة

الوصية رقم (١٥١) وصية من امرأة من ولدِ حسان بن ثابت:

سلِ الخيرَ أهلَ الخير قدماً ولا تسلْ فتى ذاقَ طعمَ العيش منذُ قريبِ

مع هارون الرشيد وبهلول

الوصية رقم(١٥٢) وصية مجنون عاقل، قالها عند خليفة غافل، حج هارون الرشيد راجلاً من أجل يمينه حين حنث، فقعد يستريح في ظل ميل، فمر به بهلول المجنون، وكان في الركب، فقال له: يا أمير المؤمنين:

هب الدُّنيا تُواتيكا أليسَ الموت يأتيكا؟
ألا يا طالب الدُّنيا دعِ الدنيا لشانيكا
إلى كم تطلب الدنيا؟ وظلُّ الميلِ يكفيكا

أحب الاخوان إلي المباسطة

بة ١٥٢) وصية حكيم في صفة الحميم، قيل لخالد بن صفوان: أيُّ الإخوان أحبُّ إليك، قال: الذي يغفر زلتي، ويسدُّ خَلتي، ويقيل عثرتي. وكتب رجل إلى صديق له: إني وجدت المودة منقطعةً ما كانت الحشمة منبسطة،

---

(١) سورة لقمان ـ آية ٣٤.

وليس يُزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة، ولا تقع المؤانسة إلّا بالبر والملاطفة. وبتنا ليلة عند أبي الحسن بن أبي عمرو بن الطفيل بأشبيلية سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان كثيراً ما يحتشمني، ويلزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب، وأبو بكر بن سام، وأبو الحكم بن السراج وكلُّهم قد منعهم احترامُ جانبي الانبساطَ، ولزموا الأدب والسكون، فأردت أن أعمل الحيلة في مباسطتهم، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا، فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم، فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه (الإرشادَ في خرق الأدبِ المعتاد) فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله، فقال لي: اشتهي ذلك، فمددت رجلي في حجره، وقلت له: كبّسني، ففهم عني ما قصدت، وفهمت الجماعة، فانبسطوا وزال عنهم ما كان بهم من الانقباض والوحشة، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينية.

عظـة

الوصية رقم (١٥٤) وصية إفصاح بغالب الأحوال ممن يُعدُّ من الأبدال، قال الحسن البصري: ما أُعطي رجلٌ شيئاً من الدنيا إلا قيل له: خذه ومثله من الحرص، وقال: أشدُّ الناس صراخاً يوم القيامة: رجلٌ سنّ ضلالةً فاتُّبع عليها؛ ورجلٌ سيءُ الملكة، ورجل فارغٌ استعان بنعم الله على معاصيه.

مثال ـ الحلم العمل ـ العالم ـ العدل ـ ميزان: الباري سبحانه

الوصية رقم (١٥٥) يا وليَّ راقب إيمانك، وأضف إلى حسن صورته زينة العلم، فإذا زينته به ظهر بصورة لم يكن عليها من الحسن، فإذا أعجبك فأضف إليه زينة العمل بالعلم، فتزيد حسناً إلى حسن، فإذا تعشقتَ بصورة العمل لما ترى من حسنها، ربما أدّاك إلى أن تحمّل النفس فوق طاقتها، فزين العملَ بالرفق، فإن المُنبتّ: لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، وقد قيل: ما أضيف شيء الى شيء

أزينَ من حلم إلى حلم، وإذا سبّك إنسانٌ فانظر فيما سبّك به: فإن كان ما سبّك به صفة فيك، فلا تلمه، فما قال إلا حقاً، ولم نفسك، وأزلْ عنها تلك الصفة المذمومة، واشكره على ما ظهر منه، فقد بالغ في نصحك، وإن لم يقصده، ولكن الله أنطقه فارغَ له ذلك، وإن سبّك بماليس فيك فخذ ذلك منه تذكرة وتحذيراً يحذّرك بما ذكره أن تذكره، لئلا تتصف به فيما تستقبله من زمانك، فقد نصحك على كلِّ حال، فإن صدَق فيما قال فقل: غفر الله لي ولك وللمسلمين، وإن كذب فيما قال فقل: غفر الله لك فقد نبهتني على أمرٍ ربما لو لم تنبهني وقعتُ فيه، وأنشده:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ لعزةَ من أعراضنا ما استحلّتِ

كانت لي كلمةٌ مسموعة عند بعض الملوك، وهو الملكُ الظاهر غازي صاحبُ مدينة حلب، رحمه الله ابن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب، فرفعت إليه من حوائج الناس في مجلس واحد ـ وكان جاء لزيارتي ـ مائة وثمانَ عشرة حاجة، فقضاها كلها، وكان منها: أني كلمته في رجل أظهر سرّه وقدَح في مُلكه، وكان من جملة بطانته، وعزم على قتله، وأوصى به نائبه في القلعة بدر الدين إيدمور أن يخفي أمره حتى لا يصل إليّ حديثُه، فوصلني حديثه فلما كلمتُه في شأنه، أطرقَ وقال: حتى أعرِّفَ سيدي ذنبَ هذا المذكور، وأنه من الذنوب التي لا تتجاوز الملوك عن مثله، فقلت له: يا هذا تخيلتُ أن لك همةَ الملوك، وأنك سلطان، والله ما أعلمُ في العالم ذنباً يقاوم عفوي، وأنا واحد من رعيتك، فكيف يقاومُ ذنبُ رجلٍ عفوك في غير حدٍ من حدود الله؟ إنك لدنيء الهمة، فخجلَ وسرحه وعفا عنه، وقال: جزاك الله خيراً من جليس، مثلُك من يجالس الملوك، وبعد ذلك المجلس ما رفعتُ إليه حاجة إلا سارع في قضائها من فوره من غير توقف كانت ما كانت .

يا وليُّ: احبس نفسك عن القليل من الذمِّ تأمن كثيره، فإن النفس فيها لجاجةٌ، إذا نوزعت صدعت، وإذا سكنت عنها انقمعت، قال الأحنف بن قيس في هذا المعنى: من لم يصبر على كلمة أسمع كلمات، وربَّ غيظٍ قد تجرّعته مخافةَ ما هو أشدُّ منه، يا ولي والله ما عاقبتُ أحداً يجب عليّ أدبه في حال غضبي، ولا امتلائي بغيظي، فإذا ذهبت عني حالةُ الغضبِ والغيظ، ورأيتُ المصلحة في الأدب أدّبته، وما يرجعُ إليّ فأعفو عنه عن طيب نفس وعدم إقامة على دغلٍ وحقد، وأبذلُ جهدي في إيصال الخير إليه، وأسارعُ في قضاء حوائجه، وما أدري أني أقرضتُ أحداً قرضاً وفي نفسي أني أطلبه منه، فلا أطلبه، فإن جاء به وأرى حاجتي إليه آخذه منه، وإن علمت أنه ضيقَ على نفسه فيه أنظرتُه إلى ميسرة، هذا فيما يختص بنفسي وحكمُ الجار الأقرب حكمُ العيال، له حقٌّ يطلبه، أنا مأمور بإيصاله اليه إذا قدرتُ عليه.

يا وليُّ: اعلم ان الحاكم لا بد إذا أرضى أحدَ الخصمين أن يسخط الآخر، وأنت حاكمٌ والخصمان في مجلس قلبك: الملَكُ، والشيطان، فأرضِ الملَكَ، وأسخط الشيطان، فإنه يقول للإنسان (اكفر) فإذا كفر (قال إني بريء منك إني أخافُ الله ربَّ العالمين)[1] واعلم أن الدين أقوى جُنةً وأحصن، والعدل أقوى عُدةً يتخذها الحاكم لقتال من يُسخطه من الخصمين، فإنه يقاتل هواه فيه، ولا سيما إن كان المبطلُ حميمه وصاحبه، وإذا أردت أن لا تخاف أحداً فلا تخف أحداً، تأمنُ من كل شيء إذا أمن منك كلُّ شيء. مررت في سفري في زمن جاهليتي، ومعي والدي، وأنا ما بين قرمونة وبلمة من بلاد الأندلس، وإذا بقطيع حُمُرٍ وحشٍ ترعى، وكنتُ مولعاً بصيدها، وكان غلماني على بُعد مني، ففكرت في نفسي، وجعلتُ في قلبي أني لا أوذي واحداً منها بصيد، وعندما أبصرها الحصان الذي أنا راكبه هشّ إليها،

---

(١) سورة الحشر - آية ١٦.

فمسكته عنها، ورمحي بيدي إلى أن وصلت إليها ودخلتُ بينها، وربما مرّ سنان الرمح بأسنِمة بعضها، وهي في المرعى، فوالله ما رفعتْ رؤوسها حتى جُزتها، ثم أعقبني الغلمان، ففرت الحُمُر أمامهم، وما عرفت سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق، أعني طريق الله، فحينئذ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب، وهو ما ذكرناه، فسرى الأمانُ في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم، فكفَّ عن ظلمك واعدل في حكمك ينصرك الحقُّ ويُطعك الخلقُ، وتصفُ لك النعمُ، وترتفع عنك التُّهم، فيطيب عيشُك، ويسكن جأشك؛، وملكت القلوب، وأمنت محاربةَ الأعداء، وأخفى ودَّك في نفسه من أظهر لك العداوةَ في حسد لحسدٍ قام به، فهو حبيب في صورة بغيض. (ومن منشور الحكم والوصايا) قال بعضهم: العدلُ ميزان الباري سبحانه، ولذلك هو مبرؤ من كل زيغ وميل. قال بعضهم في وصيةِ ملك: إذا حسُنت سيرته وصلُحت سريرته صيّر رعيته جنداً، وإن أولَ العدل أن يبدأ الرجلُ بنفسه فيلزمها كل خلةٍ زكيةٍ، وخصلةٍ رضية، في مذهب سديد، ومكسبٍ حميد، ليسلم عاجلاً ويسعد آجلاً، وإن أول الجور أن يعمد إليها فيجنبها الخير، ويعوّدها الشر، ويُكسبها الآثام، ويُلبسها المذامّ، ليعظم وزرُها، ويقبح ذكرها. قال بعضهم: من بدأ بنفسه فساسَها أدركَ سياسة الناس، أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتُكم، اصلح نفسك لنفسك تكنِ الناسُ تبعاً لك، أحسن العظات ما بدأتَ به نفسك، وأجريت عليه أمرك. من رضي عن نفسه سخِط الناس عليه، من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه، كان لمجده أهدم، وخيرُ الآداب ما حصل لك ثمرُه، وظهر عليك أثرُه، ومن تعزّز بالله لم يُذله سلطان، ومن توكل عليه لم يضرّه شيطان، ليكن مرجعك إلى الحق، ومنزعك إلى الصدق، فإن الحق أقوى مُعين، والصدق أفضل قرين، من لم يرحم الناس منعه الله من رحمته، ومن استطالَ بلسانه سلبه الله من قدرته. إن العدل ميزان وضعه الله للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه في

ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، استغنِ عن الناس بخلّتين: قلةِ الطمع، وشدة الورع. من طال كلامه سُئِم، ومن قلّ احترامُه شُتِم.

ودخلت على بعض الصالحين بسبتة على بحر الزُّقاق، وكان قد جرى بيني وبينَ السلطان من الكلام ما يوجب وغرَ الصدر، ويضع من القَدْر، فوصل إليه الخبر فلما أبصرني قال لي: ياأخي ذَلّ من ليس له ظالمٌ يعضُده، فقلت له: وضلّ من ليس له عالم يرشده، فقال: يا أخي الرفقَ الرفقَ، فقلت له: ما دام رأس المال محفوظاً ـ أعني الدين ـ فقال: صدقتَ وسكت عني. لا تحاجَّ من يذهلك خوفُه، ويملكك سيفه، فربَّ حجةٍ تأتي على مهجة، وفرصةٍ تؤدي الى غُصة، وإياك واللجاجَ فإنه يوغر القلوبَ، ويُنتج الحروب، عِيٌّ تسلُم به خيرٌ من نطقٍ تندمُ عليه، واقتصر من الكلام على ما يُقيم حجّتك ويُملكك حاجتك، وإياك وفضوله، فإنه يُزل القدم ويُورث الندم، عيّ يزري بك خيرٌ من براعة تأتي عليك.

ليس بغائب ما قسم لك الآخرة
إن مع العز ذلا. خصال الإيمان

الوصية رقم(١٥٦)

(وصية نبوية) قال رسول الله ﷺ لرجل يوصيه: (أقللْ من الشهوات يُسهلْ عليك الفقرُ، وأقللْ من الذنوب يُسهلْ عليك الموتُ، وقدّم مالك أمامك يُسرك اللحاقُ به، واقنع بما أُوتيتَه يخفَّ عليك الحساب، ولا تتشاغل عما فُرض عليك، بما قد ضُمن لك، إنه ليس بفائتك ما قُسم لك، ولست بلا حقٍ ما زُوي عنك، ولا تكُ جاهداً فيما يُصبح نافذاً، واسعَ لملكٍ لا زوالَ له في منزل لا انتقالَ عنه)[١]. (ومن الوصايا النبوية أيضاً) قال رسول الله ﷺ (ما سكنَ حبُّ الدنيا قلبَ عبدٍ إلا التاطَ منها بثلاث: شغلٍ لا ينفكُّ عنه

---

(١) الحديث: لم أجده ومعناه جيد.

عَنَاه، وفقرٍ لا يُدرِكُ غِناه، وأملٍ لا يُنال منتهاه). (إنّ الدنيا والآخرةَ طالبتان ومطلوبتان، فطالبُ الآخرةِ تطلبُه الدّنيا حتى يستكمل رزقَه، وطالبُ الدنيا تطلبُه الآخرة حتى يأخذَ الموت بعنقه، ألا وإنّ السعيدَ من اختارَ باقيةً يدوم نعيمها على فانيةٍ لا ينفدُ عذابها، وقدّم لما يقدُم عليه مما هو الآن في يديه قبل أن يُخلِّفه لمن يسعدُ بإنفاقه وقد شقي هو بجمعه واحتكاره[1]). (ومنها أيضاً) قال رسول الله ﷺ: (كأنّ الموتَ على غيرنا كُتب، وكأنّ الحقَّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذين نشيّع من الأموات سفرٌ، عما قليلٍ إلينا راجعون، نبوّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مُخلدون بعدهم، نسينا كلَّ واعظةٍ، وأمِنّا كلَّ جائحةٍ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه في غير معصية، وجالسَ أهل الفقه والحكمة، وخالط أهلَ الذلة والمسكنة، طوبى لمن ذَلّت نفسه، وحسُنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شرّه، طوبى لمن أنفقَ الفضلَ من ماله، وأمسكَ الفضل من قوله، ووسِعته السُّنة ولم تستهوه البدعة)[2]. (ومن مواعظه ﷺ) قوله (يا قيسُ) يريد قيسَ بن عاصم الفهريّ (إنّ مع العز ذلاًّ، وإن مع الحياةِ موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنةٍ ثواباً، ولكل سيئةٍ عقاباً، وإن لكل أجلٍ كتاباً، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تُبعث إلاّ معه، ولا تُسئل إلاّ عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه وهو: فعلك)[3]،

(١) الحديث: وجدت حديثاً مماثلاً له: قال ﷺ من شرب حب الدنيا التاط منها بثلاث: شفاء لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه فإن الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه. رواه الطبراني عن شيخه جبرون بن عيسى المغربي عن يحيى بن سليمان الحفري عن فضيل بن عياض والحديث صحيح. مجمع الزوائد ١٠/١٤٩.

(٢) لم أجده والمعنى جيد.

(٣) الحديث: لم أجده والمعنى جيد.

(ومن وصاياه ﷺ) ما قال ﷺ: (أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادِروا بالأعمالِ الصالحةِ قبل أن تشتغلوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقةَ تُرزقوا، وأمروا بالمعروف تُحصنوا، وانهوا عن المنكر تنصروا، يا أيها الناس إن أكيسكم أكثرُكم للموت ذكراً، وأحزمكم أحسنكم له استعداداً، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابةَ إلى دار الخلود، والتزودَ لسكنى القبور، والتأهبَ ليوم النشور)[1]. (ومنها أيضاً عنه ﷺ) قال ﷺ: (أيها الناسُ إن لكم معالمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذِ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشّبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفسُ محمد بيده ما بعدَ الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار)[2]. (ومما ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان) مما حدّثنا به أبو عبدالله محمدبن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميُّ بالمسجد الأزهر بعينِ الخيل من مدينة فاس، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من لفظه، وأنا أسمعُ، وأسنده إلى رسول الله ﷺ مُعنعناً قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُكمل عبدٌ الإيمانَ حتى يكونَ فيه خمسُ خصال: التوكلُ على الله، والتفويضُ إلى الله، والتسليمُ لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبر على بلاء الله، إنه من أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)[3]. وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: (الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، وأرفعُها: قول لا إله إلا الله)[4]

(١) الحديث:

(٢) الحديث: رواه البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع. إحياء ٣/١٧١٤.

(٣) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

(٤) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

(وصية نبوية محمدية) قال قال رسول الله ﷺ: (لا خيرَ في العيش إلا لعالمٍ ناطق، أو مستمعٍ واعٍ، يا أيها الناس إنكم في زمانِ هُدنة، وإن السيرَ بكم سريع، وقد رأيتم الليلَ والنهارَ كيف يُبليان كلَّ جديد، ويُقربان كلّ بعيد، ويأتيان بكل موعود) فقال له المقداد: وما الهدنةُ يا رسول الله؟ فقال ﷺ: (دارُ بلاءٍ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأمور كقِطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافعٌ مشفعٌ وشاهدٌ مصدَّق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضحُ دليلٍ إلى خير سبيل، من قال به صُدّق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، وإن العبدَ عند خروج نفسه وحلول رمَسه يرى جزاءَ ما أسلف، وقِلة غِنى ما أخلف، ولعله من باطلٍ جمعه، ومن حقٍ منعه)[1].

أخلاق المسلم

الوصية رقم (١٥٧) (وصية نبوية) بتذكرةٍ، قال رسول الله ﷺ: (إن العبدَ لا يُكتب في المسلمين حتى يسلم الناسُ من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمنَ جارُه بوائقه، ولا يُعد من المتقين حتى يدعَ ما لا بأس به حذراً مما به البأس، يا أيها الناسُ إنه من خاف البيوت[2] أدْلَج، ومن أدلج في السير وصل، وإنما تعرِفون عواقبَ أعمالكم لو قد طويت صحائفُ آجالكم، إن نيةَ المؤمن خيرٌ من عمله، ونيةَ المنافق شرٌّ من عمله)[3].

(١) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

(٢) نسخة: البيات.

(٣) الحديث: معناه موجود بأحاديث صحيحة متفرقة ولم أجده بنصه.

عاقبة التوكل على الله

الوصية رقم (١٥٨) (وصية فيها بشرى للمنقطعين إلى الله) قال رسول الله ﷺ : (من انقطعَ إلى الله كفاه الله كلَّ مؤونة، ومن انقطع إلى الدنيا وَكَله الله إليها، ومن حاول أمراً بمعصيةِ الله كان أبعدَ له مما رجا، وأقربَ مما اتقى، ومن طلب محامدَ الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذامّاً، ومن أرضى الناسَ بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرّهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمرَ دنياه)[(١)].

اداب

الوصية رقم(١٥٩) (وصية نبوية خبرية) قال رسول الله ﷺ: (رحم الله امرأ تكلم فغنم، أو سكت فسلم، إنّ اللسان أمْلكُ شيءٍ للانسان، ألا وإن كلامَ العبد كلّه عليه إلا ذكر الله، أو أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن منكرٍ، أو إصلاحاً بين مؤمنين) فقال له معاذُ بن جبل: يا رسول الله أنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال ﷺ: (وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتهم؟ فمن أرادَ السلامةَ فليحفظ ما جرى به لسانُه، وليحرُس ما انطوى عليه جنانه، وليحسن عمله وليُقصر أمله)[(٢)].

محاسن الدنيا

الوصية رقم(١٦٠) وصية نبوية أيضاً) قال رسول الله ﷺ :(لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطيةُ المؤمن، عليها يبلغ الخيرَ وبها ينجو من الشر، إذا قال العبد: لعن الله الدنيا،

---

(١) الحديث: معناه موجود بأحاديث صحيحة. ولم أجده.

(٢) الحديث: رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه) قلنا: من هنا قال قتادة رضي الله عنه: ما أنصف أحدٌ الدنيا، ذُمّت بإساءةِ المسيء فيها، ولم تُحمد بإحسان المحسن فيها[1]، وفي عكس هذا يقول بعضهم في الدنيا:

إذا امتحنَ الدّنيا لبيبٌ تكشفتْ ... له عن عدوٍ في ثيابِ صديقِ

هذا إنما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة، وقد ذم الله ذلك.

عبر الموت

الوصية رقم (١٦١) (وصية نبوية) قال رسول الله ﷺ: (أكثروا ذكر هاذمِ اللذات، فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وَسَّعَه عليكم ورضيتم به فأُجِرتم، وإن ذكرتموه في غنى بغّضه إليكم فجدتم به فأُثِبتم، إن المنايا قاطعاتُ الآمال، والليالِيَ مدنياتُ الآجال، وإن المرء بين يومين: يومٍ قد مضى أحصي فيه عمله فختم عليه، ويومٍ قد بقي لا يدري لعله لا يصل إليه)[2].

الرزق مقسوم

الوصية رقم (١٦٢) (وصية بتذكرة) قال رسول الله ﷺ (إن الرزق مقسوم، لن يعدوَ امرؤٌ كُتِب له فأجملوا في الطلب، وإن العمر محدودٌ لن يجاوز أحدُكم ما قدّر له، فبادروا قبل نفادِ الأجل، والأعمال مُحصاةٌ لن يُهمل منها صغيرةٌ ولا كبيرة، فأكثروا من صالحِ العمل، أيها الناس إن في القنوع لسعةً، وإن في الاقتصاد لبُلغةً، وإن في الزهد لراحةً، ولكل عملٍ جزاءٌ، وكلُّ آتٍ قريب)[3].

(١) الحديث: لم أجده.
(٢) الحديث رواه البزاز والطبراني باختصار واسناده حسن. مجمع الزوائد ١٠/٨:٣.
(٣) الحديث: معناه صحيح ولم أجده.

لبيب واعتبار

الوصية رقم(١٦٣) (وصية بذكرى لبيب واعتبار) قال رسول الله ﷺ: (أما رأيتَ المأخـوذين على الغِرّة، المُزعجين بعد الطمأنينة؟ الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهـواتِ، حتى أتتهم رسلُ ربهم، فـلا ما كـانوا أمّلوا أدركـوا، ولا إلى ما فاتهم رجعوا، قَدِموا على ما عملوا، ونـدِموا عـلى ما خلّفـوا، ولم يُغنِ الندم، وقد جفّ القلم، فرحم الله امرأ قدّم خيراً وأنفق قصداً، وقال صدقاً، ومَلَك دواعي شهواته، ولم تملِكه وعصى أمرَ نفسه فلم تُهلكه)[١].

الصمت وحسن الخلق

الوصية رقم(١٦٤) (وصية وبيان) قـال رسول الله ﷺ: (أيهـا الناس لا تعُـطوا الحكمة غـيرَ أهلهـا فتظلمـوها، ولا تمنعـوها أهلهـا فتظلمـوهم، ولا تُعاقبـوا ظالمـاً فيبطلَ فضلكم، ولا تـراؤوا النـاسَ فيحبطَ عملكم، ولا تمنعـوا المـوجـودَ فيقـلَّ خيرُكم، أيها الناس إن الأشياء ثلاثة: أمر استبان رشدُه فاتّبعوه، وأمرٌ استبان غَيُّـه فاجتنبـوه، وأمـرٌ اختلف عليكم فـردّوه إلى الله، أيهـا النـاس ألا أُنبئكم بأمرين خفيفٍ مؤنتُهما، عظيمٍ أجرُهما، لم يُلق الله بمثلهـما: الصمتُ، وحسنُ الخلق)[٢].

العافين عن الناس

الوصية رقم (١٦٥) (وصيـة نبويـة) قال رسـول الله ﷺ، (إنما يؤتى النـاسُ يومَ القيـامـة من إحدى ثلاث: إمـا من شبهةٍ في الـدين ارتكبوهـا، أو شهوة للذة آثـروها، أو غضبةٍ لحميّةٍ أعملوها، فإذا لاحت لكم شبهةٌ فاجلوها باليقين، وإذا عرضت

---

(١) الحديث: لم أجده.

(٢) الحـديث: طرف مّن حـديث أخرجـه ابو داود عن بـريدة رضي الله عنـه، رواه أبو داود رقم ٥٠١٢ في الأدب باب ما جاء في الشعر واسناده ضعيف. جا ١١/٧٤٥.

لكم شهوةٌ فاقمعوها بـالزهـد، وإذا عنّت لكم غضبةٌ فـادرؤوها بـالعفو، إنـه ينـادي منادٍ يـوم القيامـة: من له أجـرٌ عـلى الله فليقُم، فيقـوم العـافـون عن الناس، ألم تر إلى قوله عز وجل: (فمن عفا وأصلحَ فأجره على الله)[1].

المشاعر

الوصية رقم(١٦٦) (وصية فيها تذكرة غافل) قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى: يـا ابن آدم تؤتى كـلَّ يومٍ بـرزقك، وأنت تحـزن، ويُنقص كلّ يـوم من عمرك وأنت تفـرح، أنت فيما يكفيـك، وتطلب مـا يـطغيـك، لا بقليـل تنقـع ولا بكثـير تشبع)[2].

صفة يحبها الله

الوصية رقم (١٦٧) (وصية تحريض على الاتصاف بصفة يحمدهـا الله من عباده) قـال رسول الله ﷺ، وقد قيل لـه: يا رسـول الله، من أولياءُ الله الـذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون! فقال: (الذين نـظروا إلى باطنِ الـدنيا حـين نظر النـاسُ إلى ظاهرها، واهتموا بآجل الـدنيا حـين اهتمّ الناس بعـاجلها، فـأماتـوا منها مـا خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنْ سيترُكهم، فما عارضهم من نائلهـا عارض إلاّ رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادع إلاّ وضعوه، خَلقتِ الـدنيا عندهم فما يجددونها، وخرُبت بيـوتهم فما يعمـرونها، وماتت في صـدورهم فما يُحيونها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهُم، ويبيعونها فيشترون بها مـا يبقى لهم، ونـظروا إلى أهلها صـرعى قد حلّت بهم المثـلاتُ، فما يـرون أمـانـاً دون مـا يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون)[3].

---

(١) سورة الشورى ـ آية ٤٠.
(٢) الحديث: لم أجده.
(٣) الحديث سبق تخريجه في ص٢٤٤.
(٤) الحديث: لم أجده.

هل يغني الندم أن جفّ القلم

الوصية رقم (١٦٨) (وصية أيضاً نبوية) قال رسول الله ﷺ: (إنما أنتم خلفُ ماضين، وبقيةُ متقدمين، كانوا أكثرَ منكم بسطةً، وأعظمَ سطوةً، أُزعجوا عنها أسكنَ ما كانوا إليها، وغدرت بهم أوثقَ ما كانوا بها، فلم تغنِ عنهم قوة عشيرةٍ، ولا قُبِلَ منهم بذل فدية، فأرحلوا أنفسكم بزادٍ قبل أن تؤاخذوا على فجأة وقد غفلتم عن الاستعداد، ولا يغني الندم وقد جفّ القلم)[1].

حال المؤمن في الدنيا

الوصية رقم (١٦٩) (وصية بموعظة وذكرى) قال رسول الله ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل، وعُدّ نفسك في الموتى، وإذا أصبحتَ فلا تحدّثها بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدّثها بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لوفاتك، فإنك لا تدري ما اسمُك غداً)[2].

من شغل بالدنيا من الآخرة

الوصية رقم (١٧٠) (وصية نبوية نافعة) قال رسول الله ﷺ: (لا تشغلنّكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعةِ ربكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعةً لمعاصيكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهّدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تُزعجوا، فإنما هو موقفُ عدل، واقتضاءُ حق، وسؤال عن واجبٍ، ولقد بلغ في الإعذار من تقدم في الإنذار)[3].

---

(١) الحديث: لم أجده.

(٢) الحديث: رواه البيهقي في الشعب والعسكري عن ابن عمر مرفوعاً وأخرج البخاري عنه في صحيحه الى قوله أو عابر سبيل وزاد أحمد والنسائي أوله. كشف ٢/١٧٦.

(٣) الحديث: لم أجده.

اهتمام العاقل

الوصية رقم(١٧١) (وصية نبوية بما ينبغي أن يُقبلَ عليه ويُعرض عنه) قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس، أقبلوا على ما كلفتموه من صلاح آخرتكم، وأعرضوا عما ضُمِن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارحَ غذيتْ بنعمته في التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماسِ مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فانه نصيبُه من الآخرة، ولا يُدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد)[١] .

خطر فضول الطعام

الوصية رقم(١٧٢) (وصية نبوية فيما ينبغي أن يُترك من الفضول) قال رسول الله ﷺ: (إياكم وفضولَ المطعم، فإن فضولَ المطعم يَسم القلب بالقساوة، ويُبطِىء بالجوارح عن الطاعة، ويُصِمّ الهمم عن سماع الموعظة، وإياكم وفضولَ النظر، فإنه يبذُر الهوى، ويولّد الغفلة، وإياك واستشعارَ الطمع فإنه يُشرب القلبَ شدةَ الحرص، ويختم على القلب بطابعِ حبِّ الدنيا، فهو مفتاح كل سيئة، وسببُ إحباط كلِّ حسنة)[٢] .

ما يرجى وما يتقى

الوصية رقم (١٧٣) (وصية نبوية بما يُرجى ويتقى) قال رسول الله ﷺ: (إنما هو خيرٌ يُرجى، أو شرٌّ يتقى، وباطل عُرف فاجتُنب، وحق تيُقن فطُلب، وآخرةُ أظلَّ إقبالها فسُعي لها، ودنيا أزف نفادها فأُعرِض عنها، وكيفَ يعمل للآخرة مَن لا تنقطع عن الدنيا رغبتُه، ولا تنقضي فيها شهوتُه؟ إن العجبَ كلَّ العجب

---

(١) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

(٢) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

لمن صدّق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء، وعَرَف أن رضا الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته)[1].

إلى الله صائرون

الوصية رقم (١٧٤) (وصية نبوية) قال رسول الله ﷺ: (حَلّوا أنفسكم بالطاعة، وألبسوها قناع المخافةِ، واجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقركم، واعملوا أنكم عن قليلٍ راحلون، وإلى الله صائرون، ولا يغني عنكم هناك إلا صالحُ عملٍ قدمتموه، أو حسنُ ثوابٍ حزتُموه، إنكم إنما تقدمُون على ما قدّمتم، وتجاوزن على ما أسلفتم، ولا تخدعنّكم زخارفُ دنيا دنيةٍ عن مراتبِ جنابٍ عليّة، فكأنْ قد كشُف القناع، وارتفع الارتياب، ولاقى كلُّ امرىء مستقرّه، وعرف مثْواه ومنقلبه)[2].

المكر والخداع

الوصية رقم (١٧٥) (وصية نبوية في التحذير عن المكر والخداع) قال رسول الله ﷺ: (ولا تكونوا ممن خدعته العاجلةُ، وغرّته الأُمنية، واستهوته الخدعة فركن إلى دارٍ سريعة الزوال، وشيكة الانتقال، إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كإناخةِ راكب، أو صَرِ[3] حالب، فعلام تُعرّجون، وماذا تنتظرون، فكأنكم والله بما قد أصبحتم فيه من الدنيا كأنْ لم يكن، وما تصيرون إليه من الآخرة كأنْ لم يَزُل، فخذوا الأُهبة لأُزُوف النُّقلة، وأعدّوا الزادَ لقرب الرحلة، واعلموا أن كلَّ امرىء على ما قدّم قادم، وعلى ما خلّف نادم)[4].

---

(١) الحديث: لم أجده وفيه نفع.

(٢) الحديث: لم أجده.

(٣) صر الرجل الناقة: ربط ضرعها لئلا يضرب ولدها لبنها.

(٤) الحديث: لم أجده وهو موعظة.

نسيان الأجل

الوصية رقم (١٧٦) (وصية نبوية في ذم انبساط الأمل ونسيان الأجل) قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس: بسيطُ الأمل متقدّمٌ حلولَ الأجل، والمعادُ مضمارُ العمل، ومغتبطٌ بما احتقب[1] غانمٌ، مبتئس بما فاته من العمل نادم، أيها الناس: إن الطمعَ فقرٌ، واليأسَ غنى، والقناعةَ راحةٌ، والعزلةَ عبادة، والعمل كنزٌ، والدنيا معدن، والله ما يسرني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بُردِي هذا، وما بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء، وكلٌّ إلى نفاد وشيكٍ، وزوال قريبٍ، فبادروا وأنتم في مَهَل الأنفاس، وجدةِ الأحلاس[2] قبل أن يؤخذ الكَظَمُ[3] ولا يغني الندم)[4].

أصناف الناس في معاملة الدنيا

الوصية رقم (١٧٧) (وصية نبوية وتعريف) قال رسول الله ﷺ: (تكون أمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق، أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال وإدخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، إنما رضاهم من الدنيا سدُّ جوعة، وستر عورة، وغناهم فيها ما بلغ إلى الآخرة، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما الطبق الثاني فيحبون جمعَ المال من أطيب سبيله، وصرفه في أحسن وجوهه، يصلون به أرحامهم، ويبرون به إخوانهم، ويواسون به فقراءهم، ولَعَضُّ أحدهم على الرَّضْفِ[5] أسهلُ من أن يكسب درهماً من غير حلّه، وأن يضعه في غير وجهه، وأن يمنعه من حقه، وأن يكون خازناً إلى حينِ موته،

---

(١) احتقب: جمع.

(٢) الأحلاس: جـ حلس، وحلس البيت: كساء يبسط تحت حر الثياب. مختار الصحاح.

(٣) الكظم: مخرج النفس.

(٤) الحديث: لم أجده.

(٥) الرضف: الحجر المحمى عليه.

فأولئك الذين إن نوقشوا عُذّبوا، وإن عفي عنهم سلموا، وأما الطبق الثالث فيحبون جمعَ المال مما حلّ وحرم، ومنعه مما افتُرض أو وجب، إن أنفقوه أنفقوه إسرافاً وبداراً، وإن أمسكوه أمسكوه بخلاً واحتكاراً، أولئك الذين ملكت الدنيا أزِمَّةَ قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم)[1].

ضعف اليقين

الوصية رقم (١٧٨) (وصية نبوية في التحذير من ضعفاء اليقين وما أشبه ذلك) قال رسول الله ﷺ : (إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناسَ بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجُرّه حرصُ حريص، ولا يرده كراهيةُ كاره، إن الله تبارك اسمه جعل الرَّوحَ والفرحَ في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط، إنك لم تدع شيئاً تقرباً إلى الله إلا اجزلَ لك الثوابَ عليه، فاجعل همّك وسعيك لآخرة لا ينفد فيها ثوابُ المرضي عنه، ولا ينقطع فيها عقابُ المسخوط عليه)[2].

أجملوا في طلب الرزق

الوصية رقم (١٧٩) (وصية نبوية تحرض على أخلاقٍ سنية مُرضية) قال رسول الله ﷺ: (إنه ليس شيءٌ يباعدكم من النار إلا وقد ذكرتُه لكم، ولا شيءٌ يقربكم من الجنة إلا وقد دللتُكم عليه، إن روح القدس نفث في روعي أنه لن يموت عبدٌ حتى يستكمل رزقه، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاءُ الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته، فإنه لا يُنال ما عند الله إلا بطاعته، ألا وإن لكل امرئٍ رزقاً يأتيه هو لا محالة، فمن رضي به بورك له فيه فوسِعَه،

---

(١) الحديث: لم أجده.

(٢) الحديث: لم أجده وبمعناه أحاديث صحيحة.

ومن لم يرض به لم يُبارك فيه ولم يَسَعَـه، إن الرزق ليطلُب الرجلَ كما يطلبه أجله)[1] .

الدنيا دار بلاء

الوصية رقم (١٨٠) (وصية) نبوية مفصّلة، قال رسول الله ﷺ: (إن الدنيا دارُ بلاء، ومنزل قلعةٍ وعَنَاء، قد نزعت عنها نفوسُ السعداء، وانتُزِعت بالكُرهِ من أيدي الأشقياء، وأسعد الناس أرغبُهم عنها، وأشقاهم بها أرغبُهم فيها، هي الغاشة لمن استنصحها، والمغويةُ لمن أطاعها، والخاترةُ[2] لمن انقاد لها، والفائزُ من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها، طوبى لعبد اتقى فيها ربّه وناصحَ نفسه، وقدّم توبته، وأخّر شهوته، من قبل أن تلفِظه الدنيا إلى الآخرة، فيُصبحَ في بطن موحشةٍ مؤنسة، مدلهمّةٍ ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنةٍ ولا ينقص من سيئة، ثم يُنشر فيحشر إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو نارٍ لا ينفك عذابها)[3] .

بين يدي الساعة

الوصية رقم (١٨١) (وصية نبوية) في الأُهبة للرّحلة، قال رسول الله ﷺ: (شمروا فإن الأمر جدٌّ، وتأهبوا فإن الرحيلَ قريبٌ، وتزودوا فإن السفر بعيد، وخففوا أثقالكم فإن وراءكم عقبةً كؤداً لا يقطعها إلا المخفّون، أيها الناس إن بين يدي الساعة أموراً شِداداً، وأهوالاً عِظاماً، وزماناً صعباً، تتملك فيه الظّلمة، وتتصدر الفَسَقة، فيُضطهد فيه الآمرون بالمعروف، ويُضام الناهون عن المنكر، فاعِدّوا لذلك الايمانَ، وعضوا عليه بالنواجذ، والجؤوا إلى العمل

---

(١) الحديث: بمعناه أحاديث صحيحة ولم أجده.

(٢) الختر: الغدر يقال: ختره ـ فهو ختار ـ أي خدعه. مختار الصحاح.

(٣) الحديث: حديث موعظة ولم أجده بلفظه.

الصالح، وأكرهوا عليه النفوسَ، واصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم)[1].

حب الدنيا

الوصية رقم (١٨٢) (وصية نبوية وترغيب) قال رسول الله ﷺ: (أرغب فيها عندَ الله يحبّك الله، وازهدْ فيها في أيدي الناس تحبّك الناس، إن الزاهد في الدنيا يُريح قلبَه وبدنه في الدنيا والآخرة، ليجيئنّ أقوامٌ يوم القيامة لهم حسناتٌ كأمثال الجبال، فيؤمر بهم إلى النار) فقيل: يا نبيَّ الله أيُصلون؟ قال: (كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون وَهناً[2] من الليل، لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيءٌ من الدنيا وثبوا عليه)[3].

وصف الدنيا

الوصية رقم (١٨٣) (وصية نبوية تحرّض على صفات سنية) قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس إن هذه الدارَ دارُ التواء، لا دارُ استواء، ومنزل ترح لا منزلُ فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، ألا وإن الله خلق الدنيا دارَ بلوى، والآخرة دارَ عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثوابِ الآخرة سبباً، وثوابَ الآخرة من بلوى الدنيا عِوضاً، فيأخذُ ليعطي، ويبتلي ليجزي، وإنها لسريعةُ الذهاب، وشيكةُ الانقلاب، فأحذروا حلاوةَ رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذَ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عُمران دارٍ قد قُضي

---

(١) الحديث: لم أجده بلفظة وهو مفيد.

(٢) الوهن، والموهن: نحو من نصف الليل، قال الأصمعي: هو حين يدبر الليل. مختار الصحاح.

(٣) الحديث: لم أجده بلفظه.

خرابُها، ولا تواصلواها وقد أراد الله منكم اجتنابها، فتكونوا لسخطه متعرضين، ولعقوبته مستحقين)[1].

محاب الله من الأعمال

الوصية رقم (١٨٤) (وصية نبوية) بما يرضي الله من الأخلاق، قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس اتقوا الله حقّ تقاته، واسعوا في مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت، فكأنكم بالدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل، أيها الناس، إن من في الدنيا ضيفٌ، وما في يده عاريةٌ، وإن الضيفَ مرتحل، والعاريةَ مردودة، ألا وإن الدنيا عرض حاضرٌ، يأكل منها البرُّ والفاجِر، والآخرةَ وعدٌ صادق، يحكم فيها مَلِك قادر، فرحم الله امرأ نظرَ لنفسه، ومهد لرمِسه، ما دام رسنُه مُرخى، وحبلُه على غاربه[2] مُلقى، قبل أن ينفدَ أجله فينقطع عمله)[3].

دنيا و واتباع الهوى

الوصية رقم (١٨٥) (وصية أيضاً نبوية) قال رسول الله ﷺ: (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرةً، والآخرة قد تجمّلت مقبلةً، ألا وإنكم في يومِ عملٍ ليس فيه حساب، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل، وإن الله يُعطي الدنيا من يُحب ويُبغض، ولا يعطي الآخرةَ إلا من يحب، وإن للدنيا أبناءً، وللآخرة أبناءً، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، إن شرّ ما أتخوفُ

---

(٤) الحديث: لم أجده.

(١) الغارب: ما بين السنام الى العنق، ومنه قولهم: حبلك على غاربك، أي: اذهبي حيث شئت، وأصله: أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام. ألقي على غاربها، لأنها إذا رأته لم يهنئها شيء. مختار الصحاح.

(٢) الحديث: لم أجده

عليكم اتباع الهوى، وطولُ الأمل، فاتباع الهوى يصرفُ بقلوبكم عن الحق، وطولُ الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا، وما بعدهما لأحد خيرٌ من دنيا ولا آخرة)[١].

ملك الموت يقف على الأبواب حديث مذهل

لوصية
قم (١٨٦)

(وصية نبوية بموعظة تذكر الموت وتُؤذن بالرحيل) قال رسول الله ﷺ: (ما من بيتٍ إلا ومَلَكُ الموت يقف على بابه في كل يومٍ خمسَ مراتٍ، فإذا وجد الإنسانَ قد نفِد أكلُه، وجاء أجلُه، ألقى عليه غمّ الموت، فغشيته كرُباته، وغمرته سكراتُه، فمن أهل بيته الناشرةُ شعرها، والضاربةُ وجهها، والباكيةُ لِشجوها، والصارخةُ بويلها، فيقول مَلَكُ الموت عليه السلام: ويلكم، مِمّ الفزع، وفيمَ الجزعُ؟ ما أذهبتُ لواحدٍ منكم رزقاً، ولا قرّبتُ له أجلاً، ولا أتيته حتى أُمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت، وإن لي فيكم عودةً ثم عودةً حتى لا أُبقي منكم أحداً(*) قال النبي ﷺ: (فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لو يرونَ مكانه، ويسمعون كلامه، لذهِلوا عن ميتهم، ولبكوا على نفوسهم، حتى إذا حُمل الميت على نعشه، رفرفتْ روحه فوق النعش وهو ينادي: يا أهلي، ويا ولدي، لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبتْ بي، جمعتُ المالَ من حلّه، ومن غير حِلّه، ثم خلّفتُه لغيري، فالمهنأةُ له والتّبعةُ عليّ، فاحذروا أن يحُل بكم مثلُ ما حلّ بي)[٢].

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري تعليقاً ١١/٢٠١ في الرقائق باب في الأمل وطوله عن علي بن أبي طالب. جا ٤/٥١٠.

(٢) الحديث: لم أجده.

الشبلي العارف يعرف بالدنيا وصية بن الأدهم

الوصية رقم (١٨٧)

(وصية) من زاهد تحتوي على فوائد، روينا عن الشّبلي رحمه الله أنه قال في وصيته: إن اردت أن تنظرَ إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مَزْبلة، فهي الدنيا، وإن أردت أن تنظر إلى نفسك، فخذ كفاً من تراب فإنك منها خلقتَ، وفيها تعودُ، ومتى أردت أن تنظر ما أنت، فانظر إلى ما يخرجُ منك في دخولك الخلاءَ، فمن كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتطاول أو يتكبر على مَن هو مثلُه، وقال بعضهم: من كان همّتُه ما يُدخله في جوفه فقيمتُه ما يخرج منه، وكتب ابراهيم بن أدهمَ إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله الذي لا تحل معصيتُه، ولا يُرجى غيره، ولا يدرَك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عزّ وشبع ورَوِي، وانتقل عندما أبصر قلبُه عمّا أبصرتْ عيناه من زهرة الدنيا، فتركها وجانب شبُهها، فليرض بالحلال الصافي منها إلّا ما لا بدّ منه من كِسَرة يشُدّ بها صلبه، وثوبٍ يواري به عورته أغلظَ ما يجده وأخشنه والسلام. وقال رسول الله ﷺ (حسبُ ابن آدم لقيماتٌ يقُمن صلبْه)[1]. وروي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جيء إليه قبل الخلافةِ بحُلّة بثلاثةِ آلافِ درهم فاستخشنها، ثم جيء إليه في خلافته بثوبٍ ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فاسترقّه، وقال: عسى أخشنُ من هذا، فانظر يا أخي أين هذا من ذاك؟ رضي الله عنه، مثل هذا ينبغي أن يليَ أمورَ عبادِ الله. وكتب ابن السّماك إلى أخ له، وقد سأله أن يصف له الدنيا: أما بعد، فإن الله حفّها بالشهوات، ثم ملأها آفاتٍ، مزج حلالها بالرّزِيّات، وحرامها بالتّبعات، فحلالها حسابٌ وحرامها عقاب.

---

(١) الحديث: طرف من حديث أخرجه الترمذي عن مقدام بن معد بن يكرب رضي الله عنه. رواه الترمذي رقم ٢٣٨١في الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. جا ٤١٠/٧.

موسى عليه السلام أجاره من استجاره ومن حكمة الشعر في الرزق

الوصية رقم (١٨٨)

(وصية مختارة باجارة من استجار) كتب إلينا أبو حفص عمر بن عبد المجيد من روايته أن الله تعالى نادى موسى بن عمران، يا ابن عمران لا تخيبْ من قصدك، وأجرْ من استجارَ بك، قال: فبينما موسى عليهالصلاة والسلام في سياحته إذا بجارحٍ يطردُ حماماً، فلما رآه الحمامُ نزل على كتفه متسجيراً به، ونزل الجارح على الكتف الآخر، فلماهمّ به الجارحُ نزل الحمام على كمّه، فناداه الجارحُ بلسانٍ فصيح: يا ابن عمران، إني قاصدك فلا تُخيّبني ولا تحُل بيني وبين رزقي، وناداه الحمامُ: يا ابن عمران، إني أنا مستجير بك فأجرني، فقال موسى ما أسرعَ ما ابتليتُ به، ثم مدّ يده ليقطع من فخذه قطعةً للجارح وفاءً لهما وحفظاً لما عهدا إليه فيهما، فقالا له: يا ابن عمران، لا تعجل إنا رسولا ربك، أرسلنا إليك ليرى صحة ما عهدَ إليك:

أيا سامعاً ليس السماعُ بنافعٍ إذا أنت لم تعقلَ[1] فما أنتَ سامعُ
إذا كنتَ في الدنيا عن الخير عاجزاً فما أنت في يوم القيامة صانعُ؟

وكان ابن السماك يقول: لا تشتغلْ بالرزق المضمونِ عن العمل المفروضِ، وكنِ اليوم مشغولاً بما أنتَ عليه مسؤول غداً، وإياك والفضولَ فإن حسابها يطول، ولابن أدمة الليثي:

إني علمتُ ـ وخيرُ العلمِ أنفعُه ـ أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعيبني تطلّبُه ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني
وأنّ رزق امرىءٍ سيبلغه لا بدّ لا بدّ أن يجتازَه دوني

---

(١) تفعل: نسخة.

بعض أشراط الساعة

الوصية رقم (١٨٩)

(وصية) تتضمن علامةً باقترابِ القيامة، قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن أشراطِ الساعة، فقال: (إذا رأيتَ الناس قد ضيّعوا الحقَّ، وأماتوا الصلاةَ، وأكثروا القذفَ، واستحلّوا الكذب، وأخذوا الرّشوة، وشيّدوا البنيان، وعظّموا أرباب الأموال، واستعملوا السفهاءَ، واستحلوا الدماءَ، فصار الجاهلُ عندهم ظريفاً، والعالمُ ضعيفاً، والظلمُ فخراً، والمساجدُ طرقاً، وتكثرُ الشُّرطُ، وحلّيتِ المصاحف، وطوّلتِ المناراتُ، وخربت القلوب من الدين، وشُربتِ الخمور، وكثُرَ الطلاق وموتُ الفجأة، وفشا الفجورُ وقولُ البهتان، وحلفوا بغير الله، وأُتمن الخائن، وخوّن الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب فعندها قيام الساعة) هذا حديث حسن[١].

عند الموت

الوصية رقم (١٩٠)

(وصية) بالتأهب للموتِ بموعظةٍ في رؤيا، كان أمير المؤمنين المنصور ذات ليلةً نائماً، فانتبه مرعوباً، ثم عاودَ النوم، فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً، ثم راجعَ النوم، فانتبه كذلك، فقال يا ربيع، قال الربيع: قلتُ لبيك يا أميرَ المؤمنين، قال: لقد رأيتُ في منامي عجباً، قال: ما رأيتَ ـ جعلني الله فداءك؟ ـ قال: رأيتُ كأن آتياً أتاني فهينم[٢] بشيء لم أفهمه، فانتبهتُ فزعاً، ثم عاودت النوم، فعاودني يقول ذلك الشيء، ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو:

---

(١) الحديث: لم أجده ومعناه صحيح.

(٢) الهنمة: الصوت الخفي. مختار الصحاح.

كـأني بهـذا القصرِ قـد بـادَ أهله وعُـرّي منـه أهله ومنـازلـه
وصار رئيسُ القومِ من بعد بهجةٍ إلى حـدثٍ[1] تُبنى عليه جنـادلـه

وما أحسبْني يا ربيع إلاّ وقد حانت وفاتي، وحضر أجلي، ومالي غيرُ ربي، قم فاجعلْ لي غُسلاً، ففعلتُ، فقام فاغتسل وصلى ركعتين، وقال: أنا عـازمٌ على الحج، فهيِّىء لنا آلة الحج، فخرجَ وخرجنا حتى انتهى إلى الكوفة ونـزل النّجفَ، فأقام أياماً، ثم أمرَ بالرحيل، فتقدمتْ نوابه وجنده، وبقيت أنا وهو بالقصر، وشاكريتُه[2] بالباب، فقـال لي: يا ربيـع جئني بفحمةٍ من المطبخ، فجئتـه، فقـال لي: أخـرجْ وكن مـع دابتي إلى أن أخـرج، فلما خـرج وركب رجعتُ إلى المكان كأني أطلب شيئاً، فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة:

المـرءُ يهـوى أن يـعـيشَ وطـولُ عـيشٍ قـد يـضُـرّهْ
تـفـنى لـذاذاتُـه ويـبـقـى بـعـد حُـلو الـعـيشِ مُـرُّهْ
وتـصـرف الأيّـام حتى مـا يـرى شيئـاً يـسُـرّهْ
كـم شـامـتٍ بي إنْ هـلكـتُ وقـائـلٍ لله درُّهْ

أشرف المواقف

الوصية رقم (١٩١)

(وصيـة) باعتـراف عارفٍ في أشـرفِ المـواقف، وقف مُـطّرفُ وبكـر بن عبدالله بعرفةَ، والفضيلُ بْن عيـاضٍ، فقال مـطرف: اللهم لا تردّهم اليـومَ من أجـلي، وقال: بكـرٌ ما أشرفه من مـوقفٍ وأرضـاه لأهله لـولا أني فيهم، ورفع الفضيلُ رأسه إلى السماء وقد قبض على لحيتـه، وهو يبكي بكـاء الثّكلى ويقول: واسوأتاه منك وإن عفوت.

---

(١) الجدث: بفتحتين ـ القبر. والجندل: الحجارة. مختار الصحاح.
(٢) الشاكري: الأجير والمستخدم. اهـ قاموس.

يوم العفو من الذنوب

الوصية رقم (١٩٢) (وصية) على الحياء من الله، روينا من طريق الشيخ عبدالرحمن بن الأستاذ عن ابن باكويه الشيرازي، عن أبي الأديان، قال: ما رأيت خائفاً إلا رجلاً واحداً، كنتُ بالموقف فرأيتُ شاباً مطرقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص، فقلت: يا هذا إبسط يديك بالدعاء، فقال لي: ثَمَّ وحشةٌ، فقلت له: هذا يومُ العفو من الذنوب، فبسط يديه، ففي بسطه يديه وقع ميتاً.

لقمة بلقمة وسلام من الله

الوصية رقم (١٩٣) (وصية نبوية بالصدقة) قال رسول الله ﷺ: (أتى سائل امرأةً، في فمها لقمةٌ، فلفظتها وناولتها إياه، فلم تلبث أن رزقت غلاماً، فلما ترعرعَ جاء ذئبٌ، فاحتمله فخرجتْ تعدو في إثر الذئب، وهي تقول: ابني ابني، فأمر الله مَلكاً: إلحق الذئبَ فخذِ الصبيَّ من فِيه، وقل لأمه: إن الله يُقرئك السلامَ وقل: هذه لقمةٌ بلقمة)[١].

جنان الخلد

الوصية رقم (١٩٤) (وصية) برّ بحضور مجالس الذكر، قال عمار بن الراهب: رأيتُ مسكينةَ الطفاوية في منامي بعد موتها، فقلت: مرحباً يا مسكينةُ، مرحباً، فقالت هيهات يا عمارُ هيهات، ذهبتِ المسكنةُ وجاء الغنى الأكبر، قلت: هَيْهِ، قالت: ما تسألُ عمن أبيحَ له الجنة بحذافيرها، تظلُّ فيها حيث تشاء، قلت: وبِمَ ذاك؟ قالت: بمجالس الذّكر والصبرِ على الحق، قال عمار: وكانت تحضُرُ معنا مجلسَ عيسى بن زاذان[٢] بالأُبَلّة[٣]، تنحدرُ من البصرة حتى تأتيه

(١) الحديث: لم أجده.

(٢) زاذان: نسخة.

(٣) الأبلة: البصرة. إحدى منتزهات الأرض الأربع.

قاصدةً، قال عمار: قلت: يا مسكينةُ، فما فعل عيسى بن زاذان رحمه الله؟ قال: فضحكت وقالت:

قد كُسي حلّةَ البهاء وطافتْ بالأباريق حوله الخدّامُ
ثمّ حُلّيْ وقيل: يا قارىء أرقا فلعمري لقد براك الصيامُ

العلماء والأمراء الشرائع الإسلامية محفوظة عند الشيخ محي الدين بن العربي

الوصية رقم (١٩٥)

(وصية) ونصيحةٌ كتبتُ بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكاوس صاحبِ بلاد الشمال: بلادِ يونان، رحمه الله جوابُ كتاب كتب به إلينا، سنةَ تسعٍ وستمائة: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الاهتمامُ السلطانيُّ الغالبُ بأمر الله العزيز، أدام الله عدل سلطانه إلى والده الداعي له محمدٌ بن العربي، فتعين عليه الجوابُ بالوصيةِ الدينية والنصيحةِ السياسية الإلهية على قدر ما يُعطيه الوقت، ويحتمله الكتاب، إلى أن يُقدّر الاجتماع ويرفع الحجاب، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الدين النصيحة) قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)[1] وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين، وقد قلّدك الله هذا الأمرَ، وأقامك نائباً في بلاده، ومتحكماً بما توفق إليه في عباده، ووضع لك ميزاناً مستقيماً تُقيمه فيهم، وأوضح لك محجة بيضاء تمشي عليها، وتدعوهم إليها، على هذا الشرط ولّاك، وعليه بايعناك، فإن عدلت فلك ولهم، وإن جُرت فلهم وعليك، فاحذر أن أراك غداً بين أئمة المسلمين من أخسرِ الناس أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً، ولا يكون شكرك ـ لما أنعم الله عليك من

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في ص ٦٤.

استواء ملكك ـ بكفران النعم، وإظهار المعاصي، وتسليط النواب السوءِ بقوة سلطانك على الرعية الضعيفة، فيتحكمون فيهم بـالجهالـةِ والأغراض، وأنت المسؤول عن ذلك، فيا هذا قد أحسن الله إليك، وخلعَ خِلَع النيابـة عليك، فأنت نائبُ لله في خلقه وظلُّه الممدودُ في أرضـه، فأنصفِ المظلومَ من الظالم، ولا يغرّنك أن الله وسّع عليك سلطانـك، وسوّى لـك البلاد ومهـدها، مـع اقامتك على المخالفة والجورِ، وتعدي الحدود، فـإن ذلك الاتسـاعَ مع بقـائك على مثلِ هـذه الصفات إمهـالٌ من الحق لا إهمال، ومـا بينك وبـين أن تقفَ بـأعمالـك إلا بلوغُ الأجل المسمّى، وتصـلُ إلى الدار التي سـافر إليهـا أبـوك وأجدادك، ولا تكن من النادمـين، فإن النـدم في ذلك الـوقت غيرُ نـافع، يـا هـذا، ومن أشـدّ مـا يمـرُّ عـلى الاسـلام والمسلمـين، وقليـلٌ مـا هم، رفـع النواقيس، والتظاهر بالكفر، واعلاء كلمة الشرك ببلادك، ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين وامام العالمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عـلى أهل الذمة من أن لا يُحدثوا في مدينتهم وما حـولها كنيسـةً، ولا ديراً ولا قَلِيّـة[1]، ولا صومعة رَاهب، ولا يجددوا ما خـرِب منها، ولا يمنعـوا كنائسهم أن ينـزلها أحدُ من المسلمين ثلاث ليالٍ يـطعمونهم، ولا يـأووا جاسـوساً، ولا يكتمُـوا غشاً للمسلمين، ولا يُعلموا أولادهم القرآن، ولا يُظهروا شـركاً، ولا يمنعـوا ذوي قرابتهم من الإسلام إذا أرادوه، وأن يوقروا المسلمـين، وأن يقومـوا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوسَ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، في قلنسـوة، ولا عمـامـة، ولا نعلين، ولا فـرق شعـر، ولا يستمّـوا بـأسـماء المسلمـين، ولا يتكنّوا بكُنـاهـم، ولا يركبـوا سـرجـاً، ولا يتقلدوا سيفـاً، ولا يتخذوا شيئاً من سلاح، ولا ينقشوا خـواتمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمورَ، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم وأن يلزموا زيّهم حيثما كـانوا، وأن يشـدوا الزنـانير عـلى

(١) القلية: الصومعة.

أوساطهم، ولا يُظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلّا ضرباً ولا يُخرجوا شعانين[1]، ولا يرفعوا مع أمواتهم أصواتهم، ولا يُظهروا النيرانَ معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فإن خالفوا شيئاً مما شُورطوا عليه فلا ذمة لهم، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحل من أهلِ المعاندة والشقاق، فهذا كتابُ الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تبنى كنيسةٌ في الإسلام، ولا يُجدّد ما خرُبَ منها)[2] فتدبرْ كتابي ترشدْ إن شاء الله تعالى ما لزمت العملَ به والسلام، ثم أوقعتُ له بشعرٍ عملتُه في الوقت أخاطبُه به:

إذا أنتَ أعززتَ الهُدى وتبَعتَهُ ... فأنتَ لهذا الدين عزٌّ كما تُدعي
وإن أنتَ لم تحفلْ به وأهنتهُ ... فأنت مذلُ الدين تخفِضُه وضعا
فلا تأخذِ الألقابَ زوراً فإنه ... لتُسئل عنها يومَ يجمعُكم جمعا
يقال لعزّ الدين: أعززتَ دينه؟ ... ويُسئل دين الله عن عزّكم قطعا
فإن شهِد الدين العزيز بعزّكم ... تكن مع دين الله في عِزّه شفعا
وإن قال دين الله: كنتُ بملكه ... ذليلاً، وأهلي في ميادينه صرعى
وما زلتُ في سلطانه ذا مهانةٍ ... وفي زعمه بي أنه مُحسنٌ صُنعا
فما حجة السلطان إن كان قوله ... كما قلتُ؟ فليسكب لما قلته الدّمعا
وأدمِن لبابِ الله إن كنتَ تبتغي ... تجاوزَه عن ذنبك الضرب والقرعا
عسى جودُه يوماً يجودُ بنفحةٍ ... فيبرزُ عفو الله يدفعه دفعا
فيا ربِّ رفقاً بالجميع فيا لها ... إذا اجتمع الخصمان من وقعةٍ شنعا
فأنتَ إمامُ المتقين ورأسهُم ... إذا لم تزل تجبرُ لدينِ الهدى صدعا

(١) الشعانين: أصلها السعانين، عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم: قاموس.
(٢) الحديث: لم أجده.

لكم نـائبٍ في الأمـر أصبـح مُلحـد وأضحى لأهل الـدين يقطعهم قـطعا
فـما لـكَ لم تغلبـه واسمُـك غـالبٌ ومـا لـكَ لم تعـزلـه إذ اثـرً انَّقعـا
فيـا أيهـا السلطانُ حقق نصيحـتي لكم وارعني منكم لما قلتُـه سمعـا
فـإني لكم والله أنصـحُ نـاصـحٍ أذودُ الـرّدى عنكم وأمنعُـه منـعـا
وأجلبُ للسلطانِ من كـلّ جـانبٍ من الـدّين والدنيـا العوارفَ النّفعـا

والله ينفعني بـوصيتي، ويجازيني عـلى نيتي، والسـلام عليـك ورحمـة الله وبركاته، وحسبُنا الله.

حكم بالغات دعوة للإسلام خصوص أمة سيدنا محمد

الوصية رقم (١٩٦) (وصايا) من منشـور الحكم وميسور الكَلِم، تنسبُ إلى جمـاعةٍ من العلماء والصالحين: من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير، من صحَّ دينه صح يقينه. من استغنى عن النـاس أمنَ من عوارض الإفـلاس. الـدين أقـوى عصمـةٍ، والأمن اسنى نعمةٍ. الصبر على المصائب من أعـظم المواهب. عش مـا عشت في ظلّ يقيك، وقوتٍ يكفيك. البخيل حارس نعمةٍ، وخازن ورثةٍ. من لزم الـطمعَ عـدِم الورع. الحسـدُ شرُّ عـرض، والـطمـعُ أضرُّ غـرض. الـرّضـا بالكفاف خيرٌ من السعي للأشراف. أفضل الأعمال ما أعقبَ الأجـر، وأنفع الأموال ما أوجبَ الشكـرَ، لا تثق بالـدّولة فـإنها ظلٌّ زائـل، ولا تعتمدْ عـلى النعمة فإنها ضيفٌ راحل. ما لكَ إلا ما زجّى[1] يـوميك وتـوفر أجـرُه وثوابـه عليك. الكريمُ من كفّ أذاه، والقويُّ من غلب هواه. من ركبَ الهوى أدركَ العمى. من غـالبَ الحقّ لأظن، ومن تهـاون بـالـدين هـانَ. المؤمن غـرٌّ[2]

---

(١) زجى: كفى، وتزجى بكذا: اكتفى به. مختار الصحاح.

(٢) الغر: الشاب الذي لا يخدع غيره.

كريم، والمنافق خبٌّ[1] لئيم. إذا ذهب الحياءُ يُحلُّ البلاء. كلُّ إنسان طالبُ أُمنية، ومطلوبٌ لمنيّةٍ, علمٌ لا ينفع كدواءٍ لا ينجع. احسنُ العلم ما كان مع العمل، وأحسنُ الصمت ما كان عن الخطل[2]. إعصِ الجاهلَ تسلم، واطعِ العالم تغنم. من صبر على شهوته بالغ في مرؤته. من كثُر ابتهاجه بالمواهب اشتدّ انزعاجه للمصائب. من تمسّك بالدين عزّ نصره، ومن استظهرَ بالحقّ ظهر قهرُه. من استقصر بقاءه وأجله قصّر رجاءه وأمله. لا تبت على غير وصية، وإن كنتَ من جسمك في صحة، ومن عمرُك في فسحة، فإن الدّهر خائنٌ، وما هو كائنٌ كائنٌ. لا تخلُ نفسك من فكرةٍ تزيدك حكمةً، وتُفيدك عصمة. من جعل ملكه خادماً لدينه انقادَ له كلُّ سلطان، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل انسان. من سلك سبيلَ الرّشاد بلغ كنُه المرادَ. من لزمَ العافية سلم. ومن قبل النصيحة غنم. قلبٌ تأثّر من صادقٍ مؤثر. حدثنا الزكي أحمد بن مسعود بن شدادٍ المقري الموصليُّ بالموصل، سنة إحدى وستمائة، وكان ثقةً، قال: حدثنا أبو جعفر بن القاضي، قال: حدثنا يوسف بن أبي القاسم الدِّيار بكري، حدثنا جمالُ الإسلام أبو الحسن عليُّ بن أحمد القرشيُّ الهكاري، حدثنا أبو الحسن الكرخيُّ، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاونديُّ، قال: سمعتُ شيخي محمد بن جعفرٍ الخلديّ يقول: كنتُ مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز، حتى صرنا إلى جبل طورسينا، فصعدَه الجنيدُ وصعدنا معه، فلما وقفنا في الموقف الذي وقف فيه موسى عليه الصلاة والسلام، وقعتْ علينا هيبةُ المكان، وكان معنا قوّال، فأشار إليه الجنيدُ أن يقول شيئاً فقال (شعر):

وبدا لهُ من بعدِ ما اندملَ[3] الهوى   برقٌ تألّقَ موهناً لمعانهُ

(١) الخب: بالفتح، والكسر ـ الرجل الخداع. مختار الصحاح.
(٢) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب. مختار الصحاح.
(٣) اندمل الجرح: تماثل وتراجع الى البرء. مختار الصحاح.

يبـدو كحاشيـةِ الـرِّداء ودُونَـه صعبُ الـذرُا متمنعـاً أركـانُـه
فبـدَا لينـظرَ كيف لاحَ؟ فلم ؟يـطقْ نـظراً إليـه وصـدّه سبـحـانـه
فـالنـار مـا اشتملت عليـه ضلوعُـه والمـاءُ مـا سمحتْ بـه أجفـانـهُ

قال: فتواجدَ الجنيدُ وتواجدنا معه، فلم يـدرِ أحد منـا: أفي السماء نحن أم في الأرض، وكان بالقربِ منا ديرٌ فيه راهبٌ، فنادانا: يـا أمةَ محمـدٍ، بالله أجيبوني، فلم يلتفت إليه أحد لطيِّبِ الوقت، فنادانـا الثانيـةَ: بدين الحنيفيـةِ إلاّ أجبتُموني، فلم يُجبه أحدٌ منا، فنادانا الثالثةَ بمعبُـودِكم ألا أجبتموني، فلم يردّ عليه أحدٌ جواباً، فلما فترنا من السماع وهمَّ الجنيدُ بالنزول، قلنا لـه: إن هذا الراهبَ نادانا وأقسمَ علينا، ولم نردّ عليه، فقال الجنيد: ارجعوا بنا إليه، لعل الله أن يهديه إلى الإسلام، فناديناه فنـزل إلينا وسلم علينـا، فقال: أيّما منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلهم ساداتٌ واستاذون، فقال: لا بدّ أن يكون واحدٌ هو أكبرُهم، فأشاروا إلى الجنيد، فقال: أخبـرني عن هذا الـذي فعلتموه، هل هو مخصوصٌ في دينكم، أو معموم؟ فقال: بل مخصوصٌ، فقال الراهب: لأقوامٍ مخصوصين، أم معمومين؟ فقـال: بل لأقـوامٍ مخصوصـين، فقال: بأي نيةٍ تقومون؟ فقال: بنية الرجاء والفرحِ بـالله تعالى، فقـال: بأي نيةٍ تسمعون؟ فقال: بنيةِ السماع من الله تعالى، فقـال: بأي نيـة تصيحون؟ فقـال: بينة إجـابة العبـوديةِ للربـوبية، لَمّـا قال الله تعـالى لـلأرواحِ **﴿ألستُ بـربّكم؟ قالـوا: بلى شهـدنا﴾**[1] قـال: فما هـذا الصوت؟ قـال: نداءٌ أزليٌّ، قال: بأي نية تقعدون؟ قال: بنية الخوفِ من الله تعالى، قـال: صدقتَ، ثم قال الراهب للجنيد: مُدّ يدك، أنا أشهـدُ أن لا إله إلا الله وحـده لا شريـكَ له، وأشهد أن محمـداً ﷺ عبده ورسـوله، وأسلم الـراهب وحسُن إسلامـه، فقال له الجنيد: بمَ عرفتَ أني صـادقٌ؟ قال: لأني قـرأت في الأنجيل المُنـزلِ

---

(١) سورة الأعراف ـ آية ١٧١.

على المسيح بن مريم خواصَّ أمةِ محمد ﷺ: يلبسون الخرقة، ويأكلونَ الكِسرة، ويرضون بالبُلغة، ويقومون في صفاءِ أوقاتهم، بالله يفرحون، وإليه يشتاقون، وفيه يتواجدون، وإليه يرغبون، ومنه يرهبون، فبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام، ثم مات، رحمه الله تعالى.

من كلام الملوك وملوك المكارم
وعن عائشة أن خلال المكارم عشر

الوصية رقم (١٩٧)

(وصايا) في القول، سمعتُ محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميميَّ الفاسيَّ العدلَ، بمدينة فاس، اظنُّ في سنةِ أربعٍ وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم أربعةٌ من الملوك بأربعِ كلماتٍ، كأنما رُميتْ عن قوسٍ واحدة، قال كسرى: أنا على رَدِّ ما لمْ أَقُل أقوى مني على رَدّ ما قلتُ، وقال ملك الهند: إذا تكلمتُ بكلمةٍ ملكتني وإن كنت أملِكُها، وقال قيصر ملك الروم: لا أندمُ على ما لم أقلْ، وقد ندمت على ما قلت، وقال ملك الصين: عاقبةُ ما قد جرى به القول أشدُّ من الندمِ على تركِ القولِ. قال بعض الشعراء:

لعمرك ماشيءٌ علمتُ مكانه ... احقُّ بسجنٍ من لسان مذلَّلِ
على فيك مما ليس يعنيك قوله ... بقفلٍ شديدٍ حيثما كنتَ أقفِلِ

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: خلالُ المكارم عشر، تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا تكون في سيّده: صِدق الحديث، وصِدق الناسِ، واعطاء السائلِ، والمكافأة بالصنائع، والتذممُ للجار، ومراعاة حقّ الصاحب، وصلة الرحم، وقِرَى الضيف، وأداء الأمانة، ورأسهن: الحياء، وقال بعضهم: كتمانك سرك يُعقبك السلامة،

وإفشاؤك سرك يُعقبك الندامةَ، والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على إفشائه[1].

حفظ السر حتى عن الصديق
كلام دقيق من كلام النبوة

الوصية رقم (١٩٨) ، (وفي الحكمة) ما أقبحَ بالإنسان أن يخافَ على ما في يده فيخفيه من اللصوص، ويمكّن عدوه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سر نفسه، أو سرِّ أخيه.

جاور معي بمكة - أظنُّ سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائة - رجلٌ من أهل تونس يقال له: عبد السلام بن السّعدية، وكانت عنده جاريةٌ اشتراها بمصر في الشدة التي وقعت بمصرَ سنة سبعٍ وتسعين وخمسمائة، فقال لها: يا جارية أوصيك بأمرين: حفظ السر والأمانة، فقالت الجارية: ما تحتاجُ، فإني أعلم أن الشخص إذا كان أميناً شارك الناس في اموالهم، وإذا كان حافظاً للسر شاركهم في عقولهم، فاستحسن هذا الجوابَ منها، فسأل عنها فوجدها حُرّة قد بيعت في غلاءِ مصرَ، فأعتقها وسرّحها، فرجعت إلى امها وأخواتها، وقال معاوية: ما أفشيت سرّي إلى أحدٍ إلا أعقبني طولَ الندم، وشدّة الأسف، ولا أودعته جوانحَ صدري إلّا اكسبني مجداً وذكراً وسناءً ورِفعة، فقيل له: ولا عمرو بن العاص؟ فقال: ولا عمرو بن العاص، لأن عمرو بن العاص كان صاحبَ رأي معاوية ومشيرَه ووزيره، وكان يقول: ما كنتَ كاتمه من عدوك فلا تُظهر عليه صديقك، يريد - والله أعلم - معاوية بهذا الكلام. وكان يُنشدنا في أكثر مجالسه أبو بكر محمد ابن خلف بن صاف اللخمي استاذي في القرآت بقوس الحنية من إشبيلة، رحمه الله يوصينا بذلك:

(١) الحديث: القول لعائشة رضي الله عنها والمعنى صحيح.

احذر عدوّك مرةً واحذر صديقك ألفَ مرّه
فلربما هجرَ الصديق فكانَ أعرفَ بالمضرّهْ

وكان عمي أخو والدي يُنشدني كثيراً للشميس:

زمانٌ يمرُّ وعيشٌ يمرُّ ودهرٌ يكرُّ بما لا يسُرُّ
ونفسٌ تذوب وهمٌّ ينوب ودنيا تنادي بأن ليسَ حرُّ

ومن كلام النبوة في الوصية: من كتم سرّه كانت الخيرة في يده، ومن عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن، وضعْ أمرَ أخيك على أحسنه، ولا تظننّ بكلمةٍ خرجت منه سوءاً، وما مكافأة من عصى الله فيك بأفضلَ من أن تطيعَ الله عز وجل فيه، وعليك بإخوان الصدقِ، فإنهم زينةٌ عند الرخاء، وعصمة عند البلاء[1].

قصة في وصية

الوصية رقم (١٩٩)

(حكاية) تتضمن وصية في الثقة بالله بالمضمون، حدثني أبو القاسم البجايي بمراكش، عن أبي عبدالله الغزّالِ العارفِ ـ الذي كان بالمريَّة[2] من أقران أبي مدين ـ وأبي عبدالله الهواري بتنيس، وأبي يعزى، وأبي شعيب الساريةِ، وأبي الفضل اليشكري، وأبي النجاءِ، وتلك الطبقة، قال أبو عبدالله الغزّال: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجيَّ رجلٌ لا يتكلم ولا يسأل، ولا يصحب واحداً من الجماعة، فإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج، فلا تراه قط إلا في المجلس خاصةً، فوقع في نفسي منه شيءٌ، ووقعت منه عليّ هيبةٌ، وأحببت أن أتعرّف به وأعرف مكانه، فتبعته عشية يومٍ بعد انفصالنا من مجلس الشيخ، من حيث لا يشعر بي، فلما كان في

(١) الحديث: المعنى صحيح واللفظ لم أحده.
(٢) المرية: في الأندلس.

بعض سككِ المدينة، إذ بشخصٍ قد انقض عليه من الهواءِ برغيفٍ في يده، فناوله إياه وانصرف، فجذبته من خلفه، فقلت: السلام عليك، فعرفني، فرد علي السلام، فسألته عن ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف، فتوقف، فلما علم مني أني لا أبْرح دون أن يُعرفني، قال لي: هو مَلَك الأرزاق يأتي إليّ من عند الله كلّ يومٍ بما قُدّر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربي، ولقد لطف الله بي في بدء أمري ودخولي هذا الطريقَ، كنتُ إذا فرغتْ نفقتي وبقيت بلا شيء، سقط عليّ من الهواء بين يدي قدُر ما اشتري به ما أحتاج إلبه من القوتِ، فأنفق منه، فإذا فرغ جاءني في مثل ذلك من عند الله، لكني ما كنت أرى شخصاً، قال الله تعالى في حق مريم بنتِ عمران **﴿كلما دخل عليها زكريا المحرابَ وجدَ عندها رزقاً، قال: يا مريم أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله﴾**[1].

العطاء عن وجود ليس كعطاء عن فقد

الوصية رقم (٢٠٠) (حكاية) حُرمةٍ في سلبِ نعمةٍ، مرّ زياد ابن أبيه بالحيرة، فنظرَ إلى ديرٍ، فقال لخادمه: لمن هذا؟ قال: دير حرقةَ بنتِ النعمان بن المنذر، فقال: ميلوا بنا إليه لنسمعَ كلامها، فجاءت فوقفتْ خلفَ الباب، فكلمها الخادم فقال لها: كلمي الأمير، قالت: أُوجز أو أطيل؟ قال: بل أوجزي، قالت: كنا أهلَ بيتٍ طلعتِ الشمس علينا، وما على الأرض أحدٌ أعزّ منا، فما غربتْ تلك الشمس حتى رحمنا عدوُّنا، قال: فأمرَ لها بأوساق من شعير، فقالت: أطعمتك يدٌ شبعاءُ جاعتْ، ولا أطعمتك يدٌ جوعاء شبعتْ، فسُرَّ زيادُ بكلامها، فقال لشاعرٍ معه قيّد هذا الكلامَ، لا يُدرس، يعني: انظمه، فقال:

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٧.

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قدماً ولا تسلْ فتىً ذاقَ طعمَ الخيرِ مُنذ قريبِ

ونظمنا نحن هذا المعنى:

سلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ إن كنتَ سائلاً ولا تسألِ المعروفَ من مُحدثِ المالِ
وإن اليدَ الجوعاءَ تبخل بالذي أصابته من خيرٍ على الكاسفِ البالي
فإن غلِطتْ جادت، وتمُنّن بالذي تجود به يوماً على التِرب[1] الحالي
وإن اليدَ الشبعاءَ جادت بما تُجد على طيبِ نفس في سرورٍ وإقبالِ

الناس كلام وحديث بعدهم

لوصية قم (٢٠١)

(وفي الحكمة) ثواب الجود خلفٌ ومحبةٌ ومكافأة، وثواب البخل حرمانٌ وإتلافٌ ومذمةٌ، وكتب حكيمٌ إلى الاسكندر: اعلم أن الأيام تأتي على كلّ شيء فتُخلقه، وتخلق آثاره، وتميت الأفعال إلا ما رسخ في قلوب الناس، فأودع قلوبهم محبةً أبديةً يبقى بها حسن ذكرك، وكريم فعالك، وشرف آثارك. ولقد وفد علينا ونحن باشبيلية شيخٌ شاعرٌ يعرف بالسبتي من قرطبة رحمه الله، ولم يكن للسبتي موضعٌ ينزل فيه، فكتب إلى صاحب الديوان أبي عبدالله بن كعب:

أتحفل بالفرزدقِ والكميتِ وفي قيد الحيا شعر السُّبيتي؟
يروّعني بشعرهما أناسٌ وجهلاً رَوّعوا حيَّاً بميتِ
لئن اسكنتني بيتاً رفيعاً لتسكن من ثنائي ألفَ بيتِ

فوقع له صاحب الديوان ببيتٍ نزل فيه، واعتذر إليه ووصله بنفقة. قيل لبزرجمهر حينما قُدّم للقتل: تكلم بكلامٍ تُذكر به، فقال: أيَّ شيء أقول؟ إن

(١) الترب: الفقير.

الكلام كثيرٌ ولكن إن أمكنك أن تكونَ حديثاً حسناً فافعل، ولنا:

إنما الناس كلامٌ بعدهم[1] فلتكن خيرَ حديثٍ يُسمع

خاتمة

ختامها مسك أذكار المسلم في أحواله وتقلباته ما يقول عند الكرب عند دخول المسجد عند الخلاء عند الجماع عند الطعام عند العطاس عند النوم ـ عند اليقظة في النوم الموت ولقاء الله. عند الصباح ـ عند المساء. عند مفارقة المجلس. . . .

(خاتمة الباب) وهو خاتمة الكتاب[2]. تعويذات مذكورة، وأدعية مشهورة. فمن ذلك ما يقال عند الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلاّ الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات السبعِ والأرضِ ربُّ العرش الكريم) ويُقال عند دخول المسجد (اللهم افتح لنا أبوابَ رحمتك) ويقال عند الخروج منه (اللهم إنا نسألك من فضلك) ويقال عند دخول الخلاء (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث) وقد روينا أيضاً أنه يقال (أعوذ بالله من الخبيثِ المخبث، الرِّجسِ النَّجس الشيطانِ الرجيم) ويقال عند الخروج من الخلاء (غفرانَك) ويقال عند الجماع (اللهم جنّبنا الشيطانَ، وجنّبِ الشيطان ما رزقتنا) ويقال عند انقضاء الطعام (الحمدلله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، غير مكفي[3] ولا مودَّع[4] ولا مستغنىً عنه ربَّنا) ويقال عند العطاس(الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مباركاً عليه كما

(١) كلهم، نسخة.

(٢) يعني به كتاب الفتوحات المكية.

(٣) الذي في نهاية ابن الأثير: غير مكفور.

(٤) أي: غير متروك الطاعة.

يحبُّ ربُّنـا ويرضى) ويقـال عند النـوم إذا أخذ الإنسـان مضجعـه (اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبةً منك، ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منـك إلاّ إليك، آمنت بكتـابك الـذي أنزلت ونبيـكِ الـذي أرسلتَ، اللهم بـاسمـك أحيـا، وبـاسمـك أمـوت، سبحـانـك ربي، بـك وضعت جنبي، وبـك أرفعـه، إن أمسكت نفسي فـاغفـر لهـا، وإن أرسلتها فـاحفـظهـا بمـا تحفظ بـه عبـادك الصالحين). ويقال عند الاستيقاظ من النوم(الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) وإذا أردتَ النوم فانوِ أن تلقى ربك، ولتحبّ النوم لكون لقاء ربك فيه، كما تحبُّ الموت فإن فيه لقـاء ربك، فـإنه من أحب لقـاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، و(الله يتوفى الأنفس حين موتهـا، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسـل الأخرى إلى أجلٍ مُسمى)[1] فالنوم موتٌ أصغر، والذي ينتقل إليه بعـد الموت هـو الذي ينتقـل إليه في النـوم، الحضرةُ واحـدة، وهي: البـرزخُ، والصـورة واحـدة، واليقظة مثل البعث يوم القيامة، وإنما جعـل الله النوم في الـدنيا لأهلهـا، وما نرى فيه من الرؤيا، وجَعل بعده اليقظة، كلٌّ ذلك ضربُ مثـالٍ للموت ومـا يشاهد فيه من الرؤيا والبعث لليقظة، فالقيام من المضاجع كالبعث من القبور سواء.

ويقـال عنـد الصبـاح (أصبحنـا وأصبـح الملك لله وحـده ، والحمـد لله وحده ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذا اليـوم وخير مـا بعده، وأعـوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده) ويقال عند المساء (أمسينا وأمسى الملك لله وحده، والحمد لله وحده، لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، له الملك ولـه والحمد،

(١) سورة الزمر ـ آية ٤٢.

وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خيرَ هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذُ بك من شرها وشر ما بعدها) ويقال عند القيام من كل مجلس (سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك) ويقال عند خاتمة المجالس (اللهم أسمعنا خيراً وأطعمنا[1] خيراً، ورزقنا الله العافية وأدامها لنا، وجمع الله قلوبنا على التقوى، ووفّقنا لما يحب ويرضى، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحَمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين[2]) هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام يدعو به بعد فراغ القارىء عليه من كتاب صحيح البخاري، وذلك سنةَ تسعٍ وتسعين وخمسمائة بمكة، بين بابِ الحزورة وباب أجياد، وكان يقرؤه الرجلُ الصالح محمد بن خالد الصدفي التلمساني، وهو الذي كان يَقرأ عليَّ كتابَ الإحياء لأبي حامد الغزالي، وسألت رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد، وهو أن يقول لها: أنت طالقٌ ثلاثاً، فقال لي ﷺ (هي ثلاثٌ كما قال، فلا تحل له حتى تنكحَ زوجاً غيره) فكنت أقول: يا رسول الله، إن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة، فقال ﷺ (هؤلاء حكموا بما وصل إليهم، وأصابوا) ففهمت من هذا تقريرَ حكم: كل مجتهد وأن كل مجتهد مصيبٌ، فكنت أقول له: يا رسول الله، فما أريد في هذه المسألة إلا ما تحكم به أنت إذا استُفتيت، وما لو وقعَ منك ما كنتَ تصنع؟ فقال (هي ثلاثٌ كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره) فرأيت شخصاً قد قام من آخر الناس ورفع صوته، وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله ﷺ، يقول له: يا هذا (بهذا اللفظ) لا نحكِّمُك بإمضاء الثلاث، ولا بتصويبك حكم أولئك الذين ردوها إلى واحدة، - فاحمرَّ وجه

---

(١) وأطلعنا، نسخة.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦.

رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم -، ورفع صوته يصيح (هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، أتستحلون الفروج؟) فما زال رسول الله ﷺ يصيح بهذه الكلمات حتى اسمعَ من كان في الطواف من الناس، وذلك المتكلم يذوب ويضمحل حتى ما بقي منه على الأرض شيء، فكنت أسأل عنه، مَن هو هذا الذي أغضب رسولَ ا لله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله، واستيقظت، وكنت أراه ﷺ في تلك السنة في النوم أيضاً، فكنت أقول له: يا رسولَ الله إن الله يقول في كتابه العزيز **﴿والمُطَلَّقاتُ يَترَبَّصْنَ بأنْفسهنَّ ثلاثةَ قُروء﴾**[1] والقرءُ عند العرب: من الأضداد، يُطْلقونه ويريدون به الحيض، ويطلقونه ويريدون به الطهر، وأنت أعرفُ بما أنزلَ الله عليك، فما أراد الله به هنا: الحيضَ أو الطهر؟ فكان رسول الله ﷺ يقول لي في الجوابَ عن ذلك (إذا فَرغَ قُرؤها فأفْرِغوا عليها الماء، وكلوا مما رَزَقكم الله) فكنتُ أقولُ: يا رسول الله فإذاً هو الحيضُ، يا رسول الله، فيقول لي (إذا فرغ قُرؤها فأفرغوا عليها الماء، وكلوا مما رزقكم الله) ثلاثَ مرات واستيقظتُ.

ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من الدعاء (اللهم أغفر لي خطايايَ، وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني، اللهم اغفرْ لي جِدّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي، اللهم اغفرْ لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنت، وما أنتَ أعلمُ به مني، أنتَ المُقَدّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير، اللهم أصلحْ لي ديني الذي هو عِصمة أمري، وأصلحْ لي دنيايَ التي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي التي إليها معادي، واجعلِ الحياة زيادةً لي في كلِّ خير، واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شرٍ، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفافَ والغنى، ومن العمل ما ترضى،

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨.

اللهم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خيرُ من زكَاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذُ بك من فتنةِ القبرِ وعذاب النار، ومن فتنة النار، وعذاب القبر، ومن شرِّ الغِنى، ومن شرِّ فتنة الفقر، وأعوذ بكَ من فتنة المسيح الدجال، اللهم إني أعوذ بك من العجْز والكسل، والجُبن والفزع، والهرم والبخل وأرذلِ العمر، ومن فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من سوء انقضاء وشماتة الأعداء، ودَرْك الشقاء، اللهم إني أعوذ بك من الهمْ والحزَن، وضَلَع الدّين[1]، وغلبة الرجال، اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والمذلة، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، ومن جميع سخطك، اللهم إني أعوذ بك من الشّقاق والنفاق، ومن سوء الأخلاق، اللهم إني أعود بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئستِ البطانة، اللهم إني أعود بك من البرص والجنون والجذام ومن سيِّيء الأسقام، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ القرين ما ظهر منه وما بطن، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، اللهم إني أعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا إله إلا أنت استغفرك اللهم ربنا وأتوب إليك. اللهم كلُّ ما سألتك فيه ومنه فإني أسألك ذلك كلَّه لي ولوالديّ، ولرحمي، وأهلي، وقرابتي وجيراني، ومن حضرتي من المسلمين، ومن عرفني، أو سمع فذكرني[2]، أو لم يعرفني، ولوالديهم وأبنائهم، وإخوانهم، وأزواجهم، وعشيرتهم، وذوي رحمهم، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياءِ منهم والأموات، ومن ظنّ بي خيراً، أو لم يظنّ بي خيراً، إنك واهب الخيرات ودافع المضرات، وأنت على كلِّ شيء قدير، اللهم إني قد تصدقتُ بعِرضي ومالي وديني [3] على عبادك،

---

(١) أي ثقل الدين.

(٢) بذكري، نسخة

(٣) ودمي، نسخة.

فلا أصالبُهم بشيء من ذلك لا في الدنيـا ولا في الآخرة، وأنت الشـاهدُ عـليَّ بذلك، وصلِّ وسلم على محمد، وعلى آل محمد، وبارك على محمد، وعـلى آل محمد، كما صليتَ وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيـد، وآته الـوسيلة والفضيلة والدرجـة الرفيعـة، والمقام المحمـود الذي وعدته، إنك لا تخلفُ الميعاد، واجزه عنا وعن أمته خيـراً، فلقد بـلغ ونصـح، وبذل جهُـده في ذلك مـا قصّر، ﷺ، ربِّ أجعـل هـذا بلداً آمنـاً، وارزق أهله من الثمرات، ربنا تقبلْ منّا إنك أنت السميع العليم، وتبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا واجعلنا مسلمَين لـك ومن ذريتنا أمـةً مسلمة لك، وأرنا مناسكنا، ربنا وابعث فينا وارث رسولك منـا، يتلو علينا آيـاتك، ويعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا إنك أنت العزيز الحكيم، ربنا آتنا في الـدنيا حسنـةً، وفي الآخرة حسنـةً وقنا عـذاب النار، ربنـا أفرغ علينـا صبـراً وثبتْ أقدامنا وانصرنا عـلى القوم الكـافرين، غفـرانك ربنـا وإليك المصـير، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحْمِل علينا إصراً كما حملتَـه على الـذين من قبلنا، ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طـاقةَ لنـا به، واعفُ عنـا واغفر لنـا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافـرين. ربنا لا تزغ قلوبـنا بعد إذ هـديتنا، وهب لنا من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهاب، ربنا إنـك جامـعُ الناس ليـوم لا ريبَ فيه، إن الله لا يُخلف الميعاد، ربنا وآتنا ما وعدتنا بيسرٍ منك، في عافية، حسبُنـا الله ونعم الوكيـل، ربنا مـا خلقت هذا بـاطلاً سبحـانك فقِنـا عذابَ النار، ربنا إنك من تدخـلِ النار فقـد أخزيتَـه وما للظالمـين من أنصار، فـلا تجعلْنا منهم. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنّا وصدّقنا وسمعنا وأطعنا بتوفيقِك، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنّا سيئـاتنا، وتـوفنا مـع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رُسلك ولا تُخْزنـا يوم القيـامة إنـك لا تُخلف الميعاد، ربنا ظلمنا أنفُسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الـذين سبقونـا بالإيمـان، ولا تجعلْ في قلوبنـا غـلاً للذين

آمنوا، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أنت وليُّنا فاغفْر لنا وارحمنا وأنت خيرُ الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هُدْنا إليك، ربنا آمنّا بما أنزلت، واتّبعنا الرسول بالإيمان بما جاء به فاكتبنا مع الشاهدين، ربّ اجعلْ هذا البلدَ آمناً، واجنُبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام، ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعلْ أفئدةً من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، الحمدلله. ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبلْ دعاء، ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يومَ يقومُ الحساب، ربِّ ارحمْ والديّ كما ربياني صغيراً، رب إني وهن العظمُ مني، واشتعل الرأس شيباً، ولم أكن بدعائك ربِّ شقياً، ربِّ مسّني الضرُّ وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنتَ سبحانك إني كنت من الظالمين، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، ربِّ إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً، ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات، اللهم خذ بأزمّة قلوبنا إليك، واجعلنا ممن توكلَ واعتمدَ في جميع أمورِه عليك، وعمّنا بالرحمة التي لديك وفي يديك، واجعلنا هادين مهَديين، غير ضالينّ ولا مضلين) انتهى الباب[1]. بانتهاء الكتاب[2]. على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار.

قال الشيخ: وهذا هو الأصل بخطي، فإني لا أعمل لتصنيف مع تصانيفي مسودةً أصلاً، وكان الفراغ من هذا الباب في شهر صفرَ سنةَ تسعٍ وستين وستمائة، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

---

(١) وهو الباب الموفي ستين وخمسمئة، ويعني بالباب: كتابه هذا الوصايا رضي الله تعالى عنه.
(٢) يعني به كتاب الفتوحات المكية.

الحمدلله الذي قال في كتابه المنزلِ على نبيه المرسل (ولقد وَصيَّنا الذين أوتوا الكتابَ من قبْلِكم وإياكم أن اتقوا الله)[1] ،والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد الذي بلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصحَ الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وبلَغ من الكمال منتهاه، وعلى آله وأصحابه المتأدبين بآدابه، المتمسكين بسنته، المقتدين بهداه، وعلى كلٍّ سالك مسلكهم، وناهج منهجهم في ابتغاء مرضاة مولاه، وبعد فقد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع آخر أبواب الفتوحات المكية، المحتوي على وصايا إلهية ونبوية، ونصائح حكَمية، ومواعظَ مؤثّرة مَرْضية، لمنبع الفيوضات الربانية والمعارف الصمدانية، صاحب الأحوال والمقامات العلية، والكشوفات الظاهرة الجلية، الشيخ الأكبر المربي، محي الملة والدين ابنِ عربي، قدس سره وأفيض بره.

(١) سورة النساء آية ١٣١.

خاتمة

وفي ختام هذا الباب ـ الذي هو آخر أبواب الكتاب ـ نثبت للقراء الكرام عقيدة المؤلف العارف بالله تعالى الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه، التي ذكرها في الجزء الأول من كتابه ـ الفتوحات المكية ـ صحيفة ٣٦ ـ. طبع دار الكتب العربية الكبرى نذكرها للقارىء بالحرف.

(فيا اخوتي ويا أحبائي رضي الله عنكم، أُشْهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى، في كل لحظة وطرفة، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أشهِدكم على نفسه، بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته، ومن حضره من المؤمنين وسَمعه أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد، لا ثاني له في ألوهيته، منزه عن الصاحبة والولد، مالك، لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد، قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيز فيقدَر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء، استوى على عرشه كما

قـاله، وعـلى المعنى الذي أراده، كـما أن العرش ومـا سواه بـه استـوى، ولـه الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يُقِلُّه مكان، بل كـان ولا مكان، وهـو على مـا عليه كـان، خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحيُّ لا يؤوده[1] حفظ المخلوقات، ولا تـرجع إليـه صفة لم يكن عليهـا من صنعـة المصنـوعـات، تعـالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون بعده أو يكـون قبلها، بـل يقال: كـان ولا شيء معه، فإن القبل والبعد من صيغ الزمـان الذي أبـدعه، فهـو القيوم الـذي لا ينـام، والقهار الـذي لا يـرام، ليس كمثله شيء، خلق العـرش وجعله حـدَّ الاستـواء، وأنشأ الكـرسي وأوسعه الأرضَ والسمـوات العلى، اختـرع اللوحَ والقلمَ الأعلى، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يـوم الفصل والقضـاء، أبدع العـالم كله عـلى غـير مثـال سبق، وخلق الخلق، وأخلق الـذي خلق، أنـزل الأرواح في الأشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه، خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق، فهو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهو على كل شيء قديرٌ، أحاط الأعين وما تُخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه؟ (ألا يعلم من خَلق وهو اللطيفُ الخبير)[2] علم الأشيـاء منها قبـل وجودها، ثم أوجدها على حدّ ما علمها، فلم يزل عالماً بالأشياء، لم يتجدد له علمٌ عند تجدد الإنشاء بعلمه، أتقن الأشيـاء وأحكمها، وبـه حكم عليها من شاء وحكمها، عَلم الكليـاتِ على الإطـلاق، كما علم الجـزئيات بـإجماعٍ من أهـل النـظر الصحيـح واتفـاقٍ، فهـو عـالم الغيب والشهـادة فتعـالى الله عـما يشركون، فعّال لما يريد، فهو المريدُ الكائنـات في عالم الأرض والسمـوات، لم

(١) آده الحمل: أثقله.
(٢) سورة الملك ـ آية ١٤.

تتعلق قـدرته بشيء حتى أراده، كـما أنـه لم يـرده حتى علمـه، إذ يستحيـل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعلَ المختارُ المتمكنُ من تـرك ذلك الفعـل ما لا يريد، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي، كما يستحيـل أن تقوم الثقاتُ بغير ذاتِ موصوفة بها، فما في الوجود طاعةٌ ولا عصيان، ولا ربحٍ ولا خسران، ولا عبـدٌ ولا حر، ولا بـرد ولا حرٌّ، ولا حيـاة ولا موتٌ، ولا حصـولٌ ولا فوت، ولا نهار ولا ليـل، ولا اعتدالٌ ولا ميـل، ولا بـر ولا بحر، ولا شَفع ولا وِتر، ولا جوهر ولا عرَض، ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترَح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلامٌ ولا ضياء، ولا أرضٌ ولا سـماء، ولا تركيبٌ ولا تحليل، ولا كثـيرٌ ولا قليل، ولا غـداةٌ ولا أصيلٌ، ولا بيـاضٌ ولا سواد، ولا رقادٌ ولا سهاد، ولا ظاهرٌ ولا باطن، ولا متحـركٌ ولا ساكن، ولا يابسٌ ولا رطب، ولا قِشر ولا لبٌ، ولا شيءٌ من هذه النسب المتضادّات منها والمختلفات منها والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى، وكيف لا يكون مـراداً له وهو أوجـده؟ فكيف يوجـدُ المختارُ مـالا يريـد؟، لا رادَّ لأمره، ولا مُعقّب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزُّ من يشاء، ويذل من يشاء، ويُضل من يشاء، ويهدي من يشـاء، ما شـاء كان، ومـا لم يشأ أن يكون لم يكن، لو اجتمع الخلائقُ كلهم على أن يريـدوا شيئاً لم يـرد الله تعالى أن يريدوه مـا أرادوه، أو يفعلوا شيئاً لم يـرد الله تعالى إيجـادَه، وأرادوه عندمـا أراد منهم أن يريدون ما فعلوه ولا استطاعـوا على ذلـك، ولا أقدرهم عليـه، فـالمفر والايمـان، والطاعـةُ والعصيان من ميشئتـه وحُكمـه وإرادتـه، ولم يـزل سبحانه موصوفاً بهذه الارادة أزلاً ـ والعالَم معدوم غيرُ موجـود ـ وإن كان ثـابتاً في العلم في عينه، ثم أوجد العالَم من غير تفكـرٍ ولا تدبـرٍ عن جهل أو عـدم علم، فيعطيه التفكرُ والتدبرُ علم ما جهـل، جلَّ وعـلا عن ذلة، بـل أوجده عن العلم السابقِ وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجـدته عليـه، من زمان ومكـان وأكوانِ وألـوان، فلا مـريدَ في الـوجود عـلى الحقيقة

سواه، إذ هو القائلُ سبحانه (وَما تشاؤونَ إلا أنْ يشاء الله)[1]. وإنه سبحانه كما علِم فأحكم وأرادَ فخصّص، وقدّر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن، أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى، لا يحجُب سمعه البعدُ فهو القريب، ولا يحجُب بصره القربُ فهو البعيد، يسمع كلام النّفس في النفس، وصوتَ المماسّة الخفية عند اللمس، ويرى السواد في الظلماء، والماء في الماء، لا يحجبه الامتاجُ، ولا الظلماتُ ولا النور، وهو السميع البصير، تكلم سبحانه لا عن صمتٍ متقدم، ولا سكوتٍ متوهم، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته، من علمه وإراداته وقدرته كلَّم به موسى عليه السلام. سماه التنزيلَ، والزبورَ والتوراة والأنجيلَ، من غير حروف ولا أصواتٍ ولا نغم ولا لغات، بل هو خالقُ الأصوات والحروف واللغاتِ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسانٍ، كما أنَّ سمعه من غير أصمْخة ولا آذان، كما أن بصره من غير حدَقة ولا أجفان، كما أن إرادته في غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظرٍ في برهان، كما أن حياته من غير بخارِ تجويف قلبٍ حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته لا تقبل الزيادةَ والنقصان، فسبحانه سبحانه من بعيدٍ دانٍ عظيم السلطان، عميم الإحسان، جسيم الامتنان، كلُّ ما سواه فهو عن جوده فائض، وفضلهُ وعدلهُ الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم، وأبدعَه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه، ولا مدبِّر معه في ملكه، إن أنعمَ فنعَّم فذلك فضله، وإن أبلى فعذَّب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسبَ إلى الجور والحيف، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ فيتصفَ بالجزع لذلك والخوف، كلُّ ما سواه تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء، والآخذُ بها من شاء، هنا وفي يوم النشور، لا يحكمُ عدله في فضله

(١) سورة الانسان ـ آية ٣٠ ـ وسورة التكوير ـ آية ٢٩.

ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منزلتين، فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك، إذ لا موجود كان ثَمَّ سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان، أو شقياً لما كان من ذلك في شان، لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم، وقد قال تعالى في الصلاة: هي خمس وهي خمسون، ما يُبدل القولُ لديّ وما أنا بظلام للعبيد، لتصرُّفي في ملكي، وإنفاذ مشئتي في مُلكي، وذلك لحقيقةٍ عمِيَت عنها الأبصارُ والبصائر، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر، إلا بوهب إلاهي، وجود رحماني، لمن اعتنى الله به من عباده، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده، فعلم حين أُعْلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه، ولا موجود لنفسه إلا إياه **﴿والله خلقكم وما تعملون[1]﴾**و **﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون[2]﴾ (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين[3]﴾**.

الشهادة الثانية وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بتوحيده، فكذلك أُشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره، واجتباه من وجوده ذلك، سيدنا محمد ﷺ، الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه، وأدى أمانته، ونصح أمته، ووقف في حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه، فخطب وذكر، وخوّف وحذّر، وبشر وأنذر، ووعد وأوعد، وأمطرَ وأرعد، وما خص بذلك التذكير أحداً

(١) سورة الصافات ـ آية ٩٦.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٣.

(٣) سورة الأنعام ـ آية ١٤٩.

من أحد، عن إذن الوَاحد الصمد، ثم قال: (ألا هل بلغت؟) فقالوا: بلغت يـا رسول الله، فقـال ﷺ (اللهم اشهد) وإني مؤمن بكـل ما جـاء به ﷺ ممـا علمت وما لم أعلم، فمما جـاء به: فقـرر أن الموت عن أجـل مسمى عند الله إذا جـاء لا يؤخر، فـأنا مؤمن بهـذا إيمانـاً لا ريب فيـه ولا شـك، كـما آمنت وأقـررت أن سؤال فتاني القبـر حق وعـذاب القبـر حق، وبعث الأجسـاد من القبـور حق، والعرض عـلى الله تعـالى حق، والحـوض حق، والميـزان حق، وتـطاير الصحف حقٌ، والصـراط حق، والجنة حق، والنـار حق، وفريقـاً في الجنة، وفريقاً في النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفةٍ، وطائفةٌ أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر، وشفاعـة الملائكـة والنبيين والمؤمنـين، وإخراجَ أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم، ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأييد للمؤمنـين الموحدين في النعيم المقيم في الجنـان حق، والتأييـد لأهل النـار في النار حق، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله عُلم أو جُهل حق.

فهـذه شهادتي عـلى نفسي أمانـة عند كـلٍّ من وصلت إليـه أن يؤديهـا إذا سئلها حيثما كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيـمـان، وثبتنا عليـه عند الانتقـال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأَلنَا منها دار الكـرامة والـرِّضوان، وحـال بيننا وبـين دارٍ سَرابيلهـا من القَطِران، وجعلنـا من العِصـابـة التي أخـذت الكتب بالأيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريَّان، وثقل له الميزان، وثبتت لـه على الصراط القدمان، إنه المُنعم المحسان، فالحمدُ لله الذي هـدانا لهـذا وما كنـا لنتهديَ لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق).

ملحق مختصر في بيان أدب المريد مع شيخه، وعمله على عدم تغير قلب شيخـه ـ من كتاب النصـرة النبويـة لأهل الـطريقة الشـاذلية. تـأليف العـالم الأستاذ الشيخ مصطفى بن اسماعيل حبش المدني رضي الله تعالى عنه.

قال القطب العارف بالله تعالى سيدي الشيخ عبدالوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في النفحات القدسية ما نصه: أعلم رحمك الله تعالى أن أحداً لم يبلغ قطُّ إلى حالة شريفة إلا بملاقاة المشايخ، ومعانقة الأدب معهم، وملازمة خدمتهم وذلك لأن طريق القوم طريق غيب غير محسوسة، فلا يُسلك فيها إلا بالقلوب وانقيادها لمربيها. وقد ذكر الشيخ محي الدين رضي الله تعالى عنه في باب أسرار القوم من الفتوحات المكية أن المريد إذا صدق مع شيخه كان كلٌّ منهما تلميذاً لصاحبه من وجه، وشيخاً من وجه. لأن ما فُتح به على الشيخ إنما كان ببركة صدق المريد، وكلُّ ما جاء للعبد بواسطة فتلك الواسطة بمرتبة الشياخة.

قال الشيخ الأكبر قُدس سره الأنور: وللشيخ ـ إذا مات المريدُ دون وصوله إلى المقام الذي كان عليه ـ أن ينزل إلى مرتبة المريد ويعمل عليه حتى يصل، فإذا وصل خلع ذلك على المريد في قبره فيكمله بذلك ويُبعث كاملاً انتهى. ثم قال الشعراني: ومن صحب الأكابر على غير طريق الاحترام حُرم فوائدهم وبركات نظرهم، ثم لا يظهر عليه قطُّ من آثارهم شيء ولو تكلف هو ذلك، فإن أفعاله تكذبه.

وفي كلام سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله تعالى عنه أنه ما لم يكن المريد يعتقد في شيخه كلَّ الاعتقاد لا ينتفعُ به. وكان الأمام أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول: من حُرم احترامَ الشيوخ ابتلاه الله تعالى بالمقت بين العباد، وفي رواية: كلُّ مريد جلس مع شيخه على غير الأدب نزع الله تعالى منه نور الايمان. وكان أبو تراب النخشيُّ رضي الله تعالى عنه يقول: إذا ألِف القلبُ الإعراض عن الله تعالى صحِبته الوقيعة في أولياء الله تعالى. وكان الإمام أبو القاسم القشيري يقول: لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الأدب مع الشيخ إلا قولُ موسى عليه السلام للخضر (هل أتّبعك على أن تعلمنِ مما علمتَ رُشداً؟) لكان في ذلك كفاية، فإن موسى لما أرادَ صحبة

الخضر حَفظ شرط الأدب، فاستأذن أولاً في الصحبة، ثم شرط عليه الخضرُ أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكمه، ثم لمّا خالفه موسى تجاوز عنه المرة الأولى والثانية، فلما صار إلى الثالثة التي هي آخر حدّ القلة، وأول حدّ الكثرة سئمه فقال (هذا فراقُ بيني وبينك). وكان أبو علي الدقاق يقول: من خالف شيخه في شيء خرج عن طريقه وانقطعت الوصلة بينه وبينه ولو جمعتهما البقعة. وكان يقول: من صحب شيخاً من الشيوخ، ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة. على أن الشيوخ قالوا: .عقوق الاستاذين لا توبة عنه. أي تكاد أن لا تقبل لشدة قبحه. وكان أبو سهل الصعلوك يقول: من قال لاستاذه: لِمَ لم يفلح. وكان بعضُ الأشياخ له مجلس في القرآن فأبدله بمجلس قوّال، ودام على ذلك، فقال مريدٌ بقلبه: كيف ترك تفسير القرآن وأبدله بكلام البشر؟، فناداه الشيخ: يا فلان: من قال لشيخه: لِمَ لم يفلح، فقال المريد: التوبة.

قلت: ويجاب عن أبي سهل بأنه عدل عن القرآن لعدم وجود الداعية إلى سماعه في ذلك الوقت فلذلك تنزل إلى سماع كلام الخلق إجلالاً لكلام الحق تبارك وتعالى والله أعلم. وكان أبو جعفر الخلدي يقول: من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه الكلاب التي تؤذيه. وزار أبا يزيدالبسطامي رضي الله تعالى عنه مرة سيدي شقيقٌ البلخي وأبو تراب النخشبي رضي الله تعالى عنهما، فقدّم اليهما السفرة، فقالا لخادمه: كل معنا يا فتى، فقال: أنا صائم، فقال له سيدي أبو تراب: كلْ ولك أجر شهر فأبى، فقال له سيدي شقيق: كل ولك أجرُ صوم سنة، فأبى فقال سيدي أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى، فسرق ذلك الشاب بعد سنة فقُطعت يده. وسمعت الشيخ الصالح تقي الدين الأشموي يقول: كلُّ مريد لا يرى خطأ شيخه أحسن من صوابه هو لم ينتفع به، وكان سيدي سهلٌ يقول: كان رجلٌ مشهوراً بالولاية بالبصرة، وكان خبازاً فمضى اليه شخص من أصحابي فسافر إليه فوجده

مستنقباً خوفاً من شرار النار، فقال في نفسه: لو كان هذا ولياً لله تعالى ما أحرقه شرار النار، فقال له الشيخ: يا ولدي إنك استصغرتني وما بقيت تنتفع بكلامي، وإلا كنت أفدتك فوائد. فرجع إلى سهل فذكر له القصة، فقال: ما استصغر أحدٌ فقيراً إلا حرم فوائده، ارجع اليه بالحرمة، فرجع اليه فانتفع بزيارته. وكان الأشياخ كلهم يقولون: جميع ما حلّ بالحلاج إنما كان من دعوة عمرو بن عثمان المكي عليه. وكان أبو علي الدقاق يقول: لما نفى أهل بلخ محمدَ بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق في أحوالهم، فلم يخرج من بلخ بعده صادق، مع أنها كانت أكثر بلاد الله تعالى صوفية. وكان أحمد بن يحيى الأبيوردي يقول: تغيُّر خاطر الشيخ على المريد يلحقه عقوبة ولو بعد موت الشيخ. وكان الشيخ داود بن باخلا شيخ سيدي محمد وفا يقول: لا يصح من مريد أن يجازي أستاذه أبداً، لأن ما استفاده منه لا يقابل بالأعواض. وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول: إياكم والاعتراضَ على الأشياخ، واصبروا تحت جفائهم لكم. وما قال شيخ للمريد قطُّ جاء يطلب الطريق: قف ساعة إلا لما رآه من قلة أدب المريد، ولو رأى عنده أدباً لبادر لأخذ العهد عليه؛ فإن المريد لو أتى الشيخ بهمة وهي متوقدة لم يجز له أن يقول له: قف ساعة، لأنه يطفىء نار عزمه. وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول للمريد: يا ولدي ألق حبلك وأسبابك وكلَّ ما اعتمدت عليه من معمولاتك ومعلوماتك بين يدي شيخك، حتى يلقمها حكمه وحكمته، فلا يبقى لك عمدة إلا على حقه، ولا تتوصل إلى خير إلا بصدقه ليسري بك إلى حضرة ربك في حالة محو نفسك ليلاً، ويخرجك من مواطن تحكّم العدو إلى مقامات حكم المولى، وهناك لا تزلزلك الزلازل وإن اشتدت. وكان يقول ملازمة الأستاذ أفضل من سفر المريد إلى مكة، لأن الاستاذ إنما وُضع لترقية المريد إلى معرفة رب البيت قبل البيت، وكيف للمريد الاشتغال عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وُضع

للناس؟ فإن قلب الأستاذ هو حضرة الحق التي احتوت على جملة أرواح أئمة الهدى، فإن الشيخ وارث علوم الأنبياء. وكان يقول: إياك أن تقيس حال أستاذك على حالك. فتهلك، لأن الشيخ في أمان الله عز وجل، وإنما يبكي ويتضرع لأجل أتباعه: إما ليعلمنهم كيف يعملون؛ وإما انها شفاعة غيبية فيهم. وكان يقول: من وجد من شيخه حرجاً ومشقة وجب عليه الرضا، فإن لم يقدر فالصبر، ويسأل كشف الحجب عنه حتى يطلعه الله على مراد شيخه له، فإنه إذا اطّلع عليه ذهب الضيق والحرج وبادر هو إلى ذل الأمر. وكان يقول: ما دام معلمك يولّد عندك المعلومات بالتعليم فهو أبوك، فإذا تحققت روحُك بنوره وصار علمه يتجلى فيك بملعومات بديهية فهو سيّدك، وإنما يوحي اليك حينئذ ربُّك في حجاب قلب شيخك فاعرف تغنم. اهـ

تم الكتاب بعونه تعالى

فهرس عام كتاب الوصايا

تم الكتاب بعونه تعالى

نفحات

قدسية تجلى الله بها على :

الإمام الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي

وصايا فريدة من نوعها تقارب الستين والخمسمائة
وصيّة مشتملة على كثير من العبر والحكم والمواعظ
النابعة من قلبه الكبير والفيّاض بالنّور والمعرفة
والهداية. فيها فائدة لكل مؤمن يريد أن
يزكي نفسه ويربيّها إذا التزم بهذه
الوصايا العظيمة الشأن.